صراع الأمم

وحروب الجيل الخامس

سيد عبد النبي محمد

تقديم اللواء / محمد التهامي



صراع الأمم وحروب الجيل الخامس

تأليف

سيد عبد النبي محمد

تقديم

اللواء/ محمد التهامي

الكتاب: صراع الأمم وحروب الجيل الخامس

الكاتب: سيد عبد النبي محمد

تقديم: اللواء / محمد التهامي

الطبعة: 2019



الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

محمد ، سيد عبد النبي

صراع الأمم وحروب الجيل الخامس / سيد عبد النبي محمد, تقديم: اللواء / محمد التهامي

- الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

354 ص، 18 سم.

الترقيم الدولى: 8 – 499 – 446- 977- 978

أ – العنوان   رقم الإيداع : 9851 / 2019

صراع الأمم وحروب الجيل الخامس



تقديم

تعتمد الدراسات الإستراتيجية لتوصيف التطور الحاصل على الحروب منذ القرون السابقة، وحتى الآن، إطلاق مصطلح "الأجيال" للتمييز بين أدواتها وإداراتها من جيل إلى آخر.

أما ما وصلت إليه الحروب البشرية اليوم، التي تسمى حروب الجيل الخامس، فتعتمد - في الأساس- على خلق تناقضات ما بين الدولة والمجتمع، باستغلال كافة الوسائل، لأحداث الخلل في العلاقة بينهما؛ إذ يقول الكاتب سمير فرج إن الجيل الخامس يعتمد في إستراتيجيته على احتلال العقول لا الأرض، وبعد احتلال العقول سيتكفل المحتل بالباقي، فهو يستخدم العنف غير المسلح، مستغلًا جماعات عقائدية مسلحة، وعصابات التهريب المنظمة، والتنظيمات الصغيرة المدربة، من أجل صنع حروب داخلية تتنوع ما بين اقتصادية وسياسية واجتماعية للدولة المستهدفة، وذلك لاستنزافها عن طريق مواجهتها لصراعات داخلية، بالتوازي مع مواجهة التهديدات الخارجية العنيفة.

الأجيال الجديدة من الحروب.. هى حرب يتم فيها احتلال عقلك لا احتلال ارضك... وبعد ان يتم احتلالك ستتكفل أنت بالباقى... ستجد نفسك في ميدان معركة لا تعرف فيها خصمك الحقيقى... انها حرب ستطلق فيها النار في كل اتجاه... لكن يصعب عليك ان تصيب عدوك الحقيقى... وبالأحرى هى حرب من يخوضها يكون قد اتخذ قرار بقتل كل شيئ يحبه ...انها حرب تستخدمك انت في قتل ذاتك وروحك... وفي النهاية ستجد نفسك كنت تحارب بالوكالة لصالح رجل جالس في مكان أخر اختار أن يخرج مشهد سينمائى جديد لفنون الانتحار الجماعى..حرب المنتصر فيها لم

يدخلها ولم ينزل الميدان، وذلك بالظبط التوصيف الطبيعى لحالة حاملى السلاح في ميدان الدماء الموجود بطول المنطقة وعرضها.

والجيل الخامس من الحروب أو ما يسمى الجيل الرابع المتقدم، يستخدم العنف المسلح عبر مجموعات عقائدية مسلحة وعصابات التهريب المنظم والتنظيمات الصغيرة المدربة صاحبة الأدوار الممنهجة، حيث يستخدم فيها من تم تجنيدهم بالتكنولوجيا المتقدمة.. والسبل الحديثة لحشد الدعم المعنوي والشعبي..والاختلاف بينها وبين الجيل الرابع هو أن الجيل الرابع كان يعتمد على تقنيات حرب اللاعنف، لكن الجيل الخامس يستخدم العنف بشكل رئيسي معتمداً على التقنيات الحديثة ويُقصد بالتكنولوجيا المتقدمة الأسلحة المتطورة، والتي استخدمت ضمن تكتيكات حرب العصابات، مثل الصواريخ المضادة للدروع والطائرات، والعمليات الانتحارية، ونصب الكمائن، والأعمال الإرهابية ومهاجمة مدنيين أو هجمات انتحارية من أجل تحقق الأهداف بإستنزاف وإرهاق الجيوش وإرغامها علي الانسحاب من مواقع معينه وفي الصين مثلاً تم استخدام هذه التقنيات في مظاهرات حاملى السكاكين حيث ارتكب مهاجمون مسلحون بسكاكين، مجزرة حقيقية قتل فيها 30 شخصا في محطة للقطارات جنوب غرب الصين، في عملية لا سابق لها و"إرهابية" على حد وصف الشرطة الصينية.

هذا الجيل الجديد من الحروب الذى تواجهه المنطقة العربية الأن سيتم فيه استخدام عمليات مركبة تتحالف فيها تقنيات حرب اللاعنف والميليشيات المسلحة والاختراق السياسي وانماط من العنف المجتمعى. والجزء الجديد في حروب الجيل الخامس هو صناعة تكتلات صراعية على سبيل المثال صناعة حروب داخلية سياسية واقتصادية اجتماعية من داخل الدولة المستهدفة، واستنزاف هذه الدولة التي تعانى من صراعات داخلية بمواجهة تهديدات خارجية عنيفة.

ولأن التفكيك الساخن يقوم على العنف بأشكاله المتعدده، فصاحب المخطط لم ينسى أن يصنع لنا العدو السوبر، والذى يتم فيه اجبار الدول التي تشترك في مصالح او التي لديها القليل من القواسم المشتركة ضد عدو مشترك... حيث يتم صناعة "العدو السوبر" مثل داعش على سبيل المثال وبناء وشيطنة العدو حتى تستطيع أمريكا اختراق دول تخطط للاستيلاء عليها بالاستنزاف العسكرى والأمنى خارجها... خاصة وأن محاربه تنظيم ليس له قوام رئيسى أشبه بالدخول في

حرب أشباح، وهذا هو المطلوب صناعة حرب استنزاف لطاقة الدولة الرئيسية ، وتشتيت تركيزها في أنماط من الحروب الصغيرة والمتوسطه داخليا وخارجيا.

في مصر مثلا ستسعى أمريكا الى استبدال شعارات الديمقراطية وحقوق الأنسان، بحقوق الأقليات وشعارات الفتنة الطائفية، وستبدأ الولايات والمتحدة الامريكية وبريطانيا في الترويج لشخصيات سياسية ذات طابع طائفي خلال الأيام القادمة، بالإضافة الى العمل على انضاج تجارب الميليشيات في ليبيا، والاعتماد على العائلات والقبائل في انشاء حالة صراع داخلية تارة بينها وبين بعضها وتارة بينها وبين الدولة، بالتزامن مع وهو نشر أنماط من حروب اللاعنف بالتتابع بهدف تشتيت تركيز الدولة، وفي الوقت نفسه البدء في تشكيل ميليشيات منظمة تستهدف تحويل النمط السلمى في المظاهرات الى نمط عنيف، وبالتزامن مع المظاهرات والاعتصامات في العاصمة أو في المدن الكبرى، يتم طرق أبواب المناطق الحدودية بقصف من الميليشيات الأرهابية، ويصاحب هذا حرب بين القبائل والعائلات في الصعيد بهدف تشتيت التركيز, وذلك بهدف تشتيت جهود الدولة لإنقاذ الموقف.

كل ذلك بالتزامن مع حرب نفسية يتم فيها الإعلان عن سقوط مناطق حدودية أو مدن حدودية بهدف التأثير في معنويات الجماهير، وهنا يأتي الدور الامريكى وفق مبدأ الشراكة المتساوية لإدخال الدولة المصرية في حالة تفاوض مع هذه الميلشيات، مع محاولة تطبيق حظر جوى على سماء مصر، وهذا جزء من سيناريوهات الإدارة الامريكية الحالية في كسر إرادة مصر.

صانعو حروب الجيل الخامس على استخدام التقنيات الحديثة، التي تتراوح ما بين القوة المسلحة، كالصواريخ المضادة للدروع، والعمليات الانتحارية، ونصب الكمائن، والأعمال الإرهابية، أو القوة غير المسلحة، التي يكون فيها العدو فاعلًا بدون أن يظهر بشكل مباشر. كما تشمل التقنيات الإرهاب الإلكتروني، وتهييج الشعوب، لجعلها لاعبًا أساسيًا، يجري تحريكها بحسب أهداف سياسية لدول أخرى.

ويرى بعض الخبراء أن من بين التقنيات أيضًا استحداث حالة فوضى في مواقع الصراع بين أطراف محلية، تتيح للدول الكبرى التدخل وتوجيهها لمصلحتها. ومن التطبيقات العملية لهذه النظرية ما حدث في العراق عام 2003 وثمة وجهة نظر ترى أنّ “الربيع العربي” هو أحد هذه

التطبيقات. كما يرى الخبراء أن إغراق المناطق المستهدفة بالمخدرات هو أحد الأسلحة الفعالة لحروب الجيل الخامس.

لواء/ محمد التهامى

إستشـــارى نـــظم المعلومات

مقدمة

في دراسة مستفيضة عن العلاقة بين التصرفات السلوكية لحياة بعض أنواع الحيوانات التي تعيش في تجمعات، ومنها الشمبانزي في الأدغال، كنوع من دراسة الصفات الجينيه لها، ومقارنتها بالسلوك البشري للعيش في مجتمعات وجد العلماء بعض نقاط التقارب السلوكي بينها، وبين البشر.

عندما يبتعد أحد قردة الشمبانزي عن جماعته في الأدغال، ويقع في منطقة جماعة أخرى مجاورة يكون رد الفعل دائما عدائيا إذ تستفرد به قردة الجماعة الأخرى، وتهاجمه، وتأكله.

أما إذا تلاقت مجموعتان، وكانتا متقاربتين في العدد فالصورة مختلفة، إذ تقف المجموعتان إحداهما مقابل الأخرى، وتصيحان في غضب، وترميان بالحجارة، وتهزان الأشجار بعصبية، وتستمر المبارزة الاستعراضية حتى يقتنع أحد الفريقين أنه أقل عددا، أو أضعف من الفريق الآخر، فينسحب.

تعيش قردة الشمبانزي في الغابات، وتجتمع في جماعات يقارب تعداد الواحدة منها مئة وخمسين قردا، وتقتات غالبا بثمار الأشجار في الغابات، والأدغال. ولما كانت الأشجار المثمرة قليلة فمن غير المستغرب أن يبتعد أحد الأفراد عن مجموعته بحثا عن القوت، وإتقاء للجوع.

فهل هناك عقلانية تدفع القرد إلى الحساب للتأكد مثلا من عدد أفراد المجموعة المعاديه قبل أن تبدأ بممارسة العنف؟!، أي المهاجمة. ولما كان هذا التصرف ما يشابه الخلافات بين البشر في المجتمعات البدائية فقد قام أحد الباحثون بدراسة هذه الظاهرة بشكل أكثر تفصيلا[1].

وكانت النتائج مفاجئه فقد وضح أنه إذا التقطت مجموعة من القردة مجموعة أخرى قليلة العدد، فإنها تستعرض قوتها، ولا تمارس الصياح، ولا الحركات الغاضبة بل على العكس ، تقوم بهدوء، وبلا تردد بمهاجمة المجموعات الصغيرة، وتقضي عليها، وإذا استفردت بأنثى صغيرة السن، فإنها تلاطفها، وتقوم باستمالتها، ومعاشرتها.

أما إذا كانت الأنثى، ومعها طفلها فإنها تهاجمها، وتقتل طفلها، وتأكله. أما إذا كان ذكرا فإنها تهاجمه بوحشية قائلة فيمسك به اثنان بينما يهاجمة الثالث، ويعض أطرافة، ويمزق جلدهُ، وقد يأكل كبده، ويشرب دمه ثم تأكله القردة بشكل جماعي.

هذه المهاجمات لا تأتي، أو تقع بالمصادفة فالقردة الشمبانزي دوريات تبحث بمنهجية عن الذكور في الجماعات المجاورة، وتستفرد بها كلما ظهرت في مجالها، أو أتيحت لها فرصة مهاجمتها، ومن نتائج البحوث سقوط ما يقارب ثلث الذكور في مجتمع قردة الشمبانزي ضحايا مثل هذه العمليات.

وهدف هذا العنف بالنتيجة خفض عدد المقاتلين في القبيلة المجاورة ، بمهاجمتها بعد إضعافها، والاستيلاء على أرضها، ونسائها، وأطفالها، وزيادة مساحة الأرض، وتحسين إمكانية التكاثر فيها.[2]

ويعتقد العلماء أن هناك سجلا جينيا لهذا السلوك، وأنه ينتقل بالوراثة عبر أجناس المخلوقات.

ولا شك في أن هناك تصرفات مشابهة في الخلافات البشرية، والصراعات، والحروب التي تنتج عنها.

ومن يحب أن يقرأ أخبار العرب في الجاهلية يمكنه أن يلاحظ نقاطا مشابهة كثيرة مشتركة في هذا السياق.

إن الفائدة من ذكر هذه الدراسات عن القردة، وعاداتها في محاولة فهم خلفيات الصراعات البشرية قبل الدخول في تقنياتها، فالحاجة إلى القتال ليست بالضرورة دفاعيه إذ يظهر من أبحاث

كثير من العلماء أن الحاجة إلى تكبير حجم الجماعة (العائلة، أو المجموعة أو القبيلة) هي من الموروثات الجينية (من الأصول الحيوانية).

ولا يمكن في بعض الظروف زيادة عدد إفراد القبيلة دون زيادة مساحة الأرض التي تمارس عليها سيادتها، وذلك لتأمين الطعام.

وهذا يفسر طبعا سلوك القردة في الأدغال كما تمكن العلماء من مراقبتها [3].

إلا أنه يصعب عدم ملاحظة شفرة التقارب بين سلوك القردة، وبعض سياسات الإنسان أكانت في الفترات السابقة لنشوء الدول، أم بعدها.لاسيما عندما تواجه مهمة فهم جروب البشر في العصر الحديث، ومحاولة تفسيرها.

يجبرنا المنطق العلمي أن نبالغ في الدقة في بعض الأحيان ذلك أننا نتعامل مع مسائل جديدة نسبيًا في ساحة النقاش العربي.

فالقضايا التى تتعلق بالفكر السياسي، والعسكري، وشئون الحرب، والسلم لا تقبل البحث، والنقاش بالطريقة نفسها التي يتم فيها وصف ابتكار تكنولوجي جديد، فالأولى تتعلق بالإنسان، وثقافته، وتستوجب معرفه متقدمة بالاعتبارات المركبة التي تؤدي إلى اتخاذ موقف دون آخر، وإلى قرارات الدخول في النزاع، أو التفاوض فيه. بينما تتعلق الثانية بحدث علمي.

مع سنوات الربيع العربي الأولى، انتشر الحديث بقوة عن حروب الجيل الرابع، وهي حروب بدأت منذ مطلع التسعينات، وتسمى الحروب غير المتماثلة التي تتجاوز الحروب التقليدية بين دولتين، أو تحالفين بل يكون العدو فيها ليس دولة، وأحيانا غير معروف الملامح، وانسحب هذا المفهوم الأمريكى في بداياته على حروب الإرهاب المتتابعة التي خيضت ضد جماعات، وتنظيمات، وكيانات غير واضحة الملامح، وتوصف بسيولة كبيرة، وانتشار واسع.

ومع التحولات العربية ظهرت نسخة متقدمة من حروب الجيل الرابع سوف تؤسس بحسب الكتابة الإستراتيجية للجيل الخامس.

برزت هذه الحرب مستثمرة قوة الإعلام، والاتصال، وتكنولوجيا المعلومات حيث أخذت الإشاعة، والأخبار المفبركة، والفقاعات الدعائية، والحروب النفسية أداة أساسية في إدارة

الصراعات سواء في الجوانب الفكرية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وتركز على المناطق الرخوة في المجتمعات، وتحاول أن تتسلل من خلالها.

في أواخر سنتين ازداد الحديث عن الجيل الخامس من الحروب الذي تزداد فيه قوة التأثيرات الدعائية، والحروب الإعلامية، واستخدام شبكات الإعلام المجتمعي، والعنف الذي يبدو غير منظم، ويعتمد هذه الحروب أساسا على خلق تناقضات واسعة بين المجتمع، والدولة، واللعب بقوة في المناطق الاجتماعية، والاقتصادية الرخوة من أجل خلق هشاشة تقود إلى دولة فاشلة بالمعنيين السياسي، والأمني، والاقتصادي.

يستخدم هذه الحروب تكنولوجيا الاتصال بقوة، وتبني خططها في نشر الإرباك السياسي، والاجتماعى بالطرق المعتادة، والطبيعية ما يجعل البعض يعتقد أن المعركه تدار من الداخل، ويمكن فيها الفصل بين الخارج، والداخل.

يعتمد مخططو معارك التقول، والتخريب النفسي، والاجتماعي على قواعد بيانات واسعة، وشاملة توفر التفاصيل كافة عن أحوال المجتمعات، وبنيتها التاريخية، ومناطق الهشاشة فيها، وتصل إلى محو الثقة بالمؤسسات العامة، وخلق شرخ عميق بين الدولة، والمجتمع، وكسر الروح المعنوية، والثقة بالنفس، وبالتالي خلق الفوضى ورفع مستوى الخوف ثم قيادة الجماعات، والأفراد بقوة الإيحاء التي توفرها الدعاية عبر منافذها المتعددة.

تبدأ حروب الجيل الخامس بالعنف غير المسلح، أوالعنف المسلح، والمنظم، ويمتد إلى إغراق المجتمعات المستهدفة بالمخدرات، وقد تستهدف زرع شبكات للفساد على شكل رجال أعمال، ومستثمرين يعملون على تخريب النظام الاقتصادى من خلال توريط القطاعات الاقتصادية بصفقات، وأعمال تهز الثقة به، وتزيد من الفجوة بين المجتمع، والدولة.

يستثمر هذا الجيل من الحروب في تكنولوجيا الاتصال، والإعلام، وما شهدته من تحولات عميقة في آخر عقدين، وبالتالى فهي تعتمد على مبدأ الحرب الأقل تكلفة لخلق تهيئة اجتماعية واسعة؛ لإفشال النظم السياسية المستهدفة، وتماسكها، ولم تتجاوز تلك المحاولات موجات من الإشاعات، وأعمال عنف محددة.

العالم من حولنا ليس بريئا، ونحن لدينا مواقفنا، ومصالحنا، ومصلحتنا اليوم أن نواجه حرب الإشاعات بالمزيد من الحريات الإعلامية، والمزيد من الهيمنة.

مراجع

Jane Good all The champanzees of cambe patterns of انظر – 1
behavior > 80

Wilson and wrangham leathal violence in champanzees 2003 راجع – 2
wrangham 1999 a muller 2008

Leathal violence in champanzees3-

الفصل الأول

تعريف الحرب

تُعرّف الحرب لغة كما ورد في معجم المعاني الجامع أنّها قتال بين فئتين، وجمعها حُروب، وعكسها سِلْم، وإذا قيل استعرت الحَرْب؛ أي أنّها أصبحت شديدة، وقوية، أمّا إذا قيل وضعت الحرب أوزارها، فهذا يعني أنّ القتال انتهى، ومصطلح الحَرْبُ بينهم سجال يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز، أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة للطرف الآخر، ودارُ الحَرْبِ هي بِلاد الأعداء، ورجل الحَرْبْ هو صاحب الخبرة في إدارة، وتسيير المعارك الحربيّة.

وفي القانون الدولي العام فإن التعريف التقليدي للحرب: هو أنّها عبارة عن نزاع مسلّح بين فريقين من دولتين مختلفتين؛ إذ تُدافع فيها الدول المتحاربة عن مصالحها، وأهدافها، وحقوقها، ولا تكون الحرب إلّا بين الدول، أمّا النّزاع الذي يقع بين جماعتين من نفس الدولة، أو النزاع الذي يقوم به مجموعة من الأشخاص ضد دولة أجنبية ما، أو ثورة مجموعة من الأشخاص ضد حكومة الدولة التي يقيمون فيها، فلا يعد حربًا، ولا علاقة للقانون الدولي به، وإنما يخضع للقانون الجنائي.

أما التعريف الحديث للحرب فقد تم توسيعه؛ ليشتمل على أي نزاع مسلح، ولو تم تتوافر فيه عناصر التعريف التقليدي من امتلاك الجماعة المسلحة لصفة الدولة، وإن كان النزاع قائم من قِبَل دولة لحسابها الخاص، وليس لغرض جماعي، كما أصبحت النزاعات الأهلية التي تحدث في نفس الدولة تندرج تحت مسمى الحرب.

والحرب اليوم هي وضع نتيجة حاسمة للخلافات الدولية المرتبطة بالكيانات الاقتصادية، والاجتماعية للدول المشاركة في الحرب؛ وذلك عن طريق الإجبار، والقتال بعد أن يتعثّر حل

الخلاف بالطرق السلمية؛ الأمر الذي يدعو كل دولة مشاركة في النزاع؛ لأن تعطي لنفسها الحق في أن تكون الحكم الأول، وصاحبة السلطة العليا في أي نزاع بهدف الدفاع عن مصالحها القومية، وأهدافها، إذن فإنّ كلمة حرب تشير بمعناها اللغوي إلى القتال، وليس شرطًا أن تكون عادلة، وإنما قد تكون لوقوع العدوان من طرف على طرف آخر؛ وهي عبارة عن صراع بين طرفين يسعى كلٌّ منهما للتغلب على الطرف الآخر، وتدمير قوته، وكيانه.

تاريخ الحرب:

بالرغم من كره جميع شعوب العالم للحرب؛ إلّا أنّها تعد ظاهرة إنسانية قديمة، فلم يخلُ أيّ عصر من العصور القديمة من اشتعال الحروب التي كانت ضحاياها عشرات الآلاف من الناس، فتاريخ الحرب قديم جدًا، فمنذ أن هبط آدم عليه السلام على الأرض، والنزاعات قائمة، كما لا تخلو صفحات التاريخ من النزاعات، والحروب بين الأمم، وخاصة بين الإمبراطوريات، والممالك القديمة، ومن الأمثلة على الحروب في العصور القديمة:

- الحرب عند الإغريق:

كانت الحرب عند الإغريق قوية، وشديدة العنف، وتمثّلت حروبهم في تحكم اليونان بالشعوب الأخرى، وإخضاعهم لها بالعنف، والقوة، كما كانت هناك عداوة شديدة بين إسبارطة، وأثينا، والتي نشب عنها وقوع الحرب بين أثينا، وشبه جزيرة بيلوبونيز بتحريض من إسبارطة، وقد انتهت هذه الحروب بسيطرة إسبارطة على أثينا، وجعلها واحدة من مستعمراتها، كما وقعت حرب طويلة بين اليونان، ومملكة طروادة، وامتدت من سنة 1193ق.م إلى 1114ق.م، بالإضافة إلى الحروب التي قام بها الإسكندر المقدوني، ووالده في آسيا، والتي سيطر من خلالها على العالم بقوته، وجبروته.

- الحرب عند الرومان:

لقد ضمّت الإمبراطورية الرومانية عددًا كبيرًا من الأقاليم التي خضعت لها بالقوة، وقد كانت مركزًا قويًا على مر التاريخ، وعُرِفَت بجيشها القوي، حتى أنّها سيطرت على شمال أوروبا، وبلاد المشرق، ومن الأمثلة على حروب الرومان:

- **الحروب الإيطالية، وحربها مع اليونان:**

والتي نجم عنها سيطرة الرومان على مختلف المناطق الإيطالية، واليونانية، بالإضافة إلى الحروب البونيقية الشهيرة الثلاثة، والتي انتصر فيها الرومان، وانطلقوا منها للسيطرة على بلاد الشام، وآسيا الصغرى، وقد تواجه الرومان مع الفرس في تلك الأثناء.

- **الحرب في الجاهلية:**

ساد النظام القبلي في الجاهلية، والذي ولّد العداء بين القبائل، وظهرت فكرة النصرة لبعضهم سواء كانوا ظالمين، أو مظلومين، وانتشر الثأر، ولم تكن هناك أي حكومة تنظم علاقات الأفراد ببعضهم البعض، فكانت أسباب الحرب في الجاهلية إما بسبب التنافس على أماكن الرعي، أو للسرقة، والنهب، أو للحفاظ على موارد الماء، فقد كانت أرزقاهم مرتبطة بسيوفهم، ورماحهم، ومعاشهم في أيدي غيرهم، فمن يدفعهم عمّا يمتلك شنوا عليه الحرب، وكانت الحرب في الجاهلية ما إن بدأت حتى تمتد إلى أن يتم القضاء على القبيلة الخاسرة، فكان العرب في العصر الجاهلي يمدحون الحرب، ويحبون سفك الدماء، ومن أمثلة حروب الجاهلية حرب داحس، والغبراء بين قبيلة عبس، وقبيلة ذيبان.

ـ أنواع الحروب:

للحرب أنواع عدة، منها:

- **حَرْب أهلية، أو حَرْب طائفية:**

وهي عبارة عن نزاع مسلح يكون بين أفراد الدولة الواحدة.

- **حَرْب إعلامية:**

وهي حرب قائمة بين أجهزة الإعلام في الدول المتحاربة.

- **الحرْبُ الباردةُ:**

وهي حرب بمكيدة كلّ طرف من الأطراف المتنزاعة للطرف الآخر دون أن يكون هناك قتال، وهي الحرب التي دامت لأكثر من 50 عامًا بين الاتحاد السوفييتي سابقًا، والولايات المتحدة الأمريكية.

- **حَرْب الاستنزاف:**

وهي عبارة عن حرب غير متصلة، وإنّما تهدف إلى استنفاذ قوي العدو، وإنهاء مواردهُ.

- **الحَرْب العالمية:**

وهي الحرب التي تشترك فيها دول عدة من دول العالم.

- **ـ حَرْب خاطفة:**

وهي عبارة عن هجمة سريعة، ومفاجئة تكون جوية، وبرية، وتقوم في أساسها على الهجوم الصاعق.

- **حَرْب نفسية:**

وهي عبارة عن محاولات هادفة للتأثير على معنويات، ونفسية المشاركين في الحرب أثناء وقوعها.

- **حَرْب العصابات:**

وهي حرب يكون أحد أطرافها جنود غير نظاميين؛ حيث يهاجمون العدو كلما وجدوا فرصة لذلك، ويفرّون إلى مكان آمن، وهكذا.

- **حَرْب وقائية:**

وهي حرب دفاعية لحماية البلاد من الغزوات المحتمل وقوعها.

- **حَرْب شاملة:**

وهي الحرب التي يمتد التدمير فيها إلى المدن، وجميع السكان المدنيين.

وقد تعدّدت أهداف الحروب، ووسائلها، وظهرت مسميات لحروب جديدة، فلم تعد الحرب فقط هي: وسيلة لبسط نفوذ دولة على دولة أخرى، وقد ظهرت اليوم الحرب المدنية، والحرب الاقتصادية، والحرب الآيديولوجية، والتي تهدف إلى نشر معتقدات سياسية، ودينية معينة، بالإضافة إلى الحرب ضد الأمراض، والحرب الكيماوية، والحرب البيولوجية، والحرب ضد الجهل.

أسباب الحروب، وآثارها، والحد منها:

للحرب أسباب متعددة، ومختلفة، فقد يكون سبب الحرب؛ لتوسيع نفوذ دولة على حساب دولة أخرى، أو لتحقيق مصالح معينة لمجموعة من الأفراد المختلفين على تلك الأمور، أو للحصول على مناطق الرعي الجيدة، أو الطعام، كما حصل في العصور القديمة عندما أعلنت القبائل الجائعة في آسيا الوسطى الحرب على من يجاورها للحصول على الأرض الخصبة بعد أن جفّت أراضيها، ومراعيها، كما قد تكون الحرب في بعض الأحيان ضرورية لحصول دولة ما على استقلاليتها، ولدفاع شعب معين عن حريته، واستقلاله، وتحرير نفسه من أغلال دولة أخرى تكون قد فرضت هيمنتها بقوة السلاح.

أمّا آثار الحروب، وأضرارها فهي كبيرة جدًا، ومؤثرة على المجتمعات البشرية سلبًا؛ حيث تُهدِر موارد الشعوب، وثرواتهم، وتودي بحياة الكثير من الأشخاص دون سبب عقلاني، كما أنّها سبب لمنع تقدم البشرية على مختلف الأصعدة سواء اقتصاديًا، أو اجتماعيًا، أو غير ذلك، كما تزيد الحروب من معدل ارتكاب الجرائم، وتزيد من نسبة البطالة في المجتمع، وتُضعِف معنويات الأفراد، وتُضعِف الأخلاق، والقيم الحسنة في المجتمع.

لقد بذلت شعوب الأرض جهودًا كبيرة للحد من الحروب بعد أن أصبحت واعية تمامًا لما تسبّبه من تدمير، وفتك، وتخريب، بالإضافة إلى قدرتها على إنهاء حياة الجنس البشري؛ خاصة عندما تستخدم الأسلحة الفتاكة فيها مثل أسلحة الدمار الشامل، وتجسيدًا لهذه الجهود قامت العديد من المنظمات العالمية الداعية إلى وقف الحرب، والحد من آثارها، مثل: عصبة الأمم، وهيئة الأمم المتحدة، والمحاكم الدولية مثل محكمة عدل لاهاي، والتي عملت بدورها على تخفيف حدوث الحروب، واللجوء إلى الوسائل السلمية لحل النزاعات.

الفصل الثاني

الحروب الأهلية

مفهوم الحرب الأهلية:

يُشير مفهوم الحرب الأهلية (بالإنجليزية: Civil war) إلى ذلك النزاع الذي ينشأ بين أكثر من طرف داخل حدود أراضي الدولة نفسها، حيث تختلف أشكال هذه الحرب تبعًا لدوافعها، فهناك من يسعى فيها إلى الحصول على الاستقلال، والحكم الذاتي، ويصنّف هذا النوع من الحروب تحت خانة الصراعات الثورية، وهناك من يهدف فيها إلى فرض الحكم، والسيطرة على الحكومة المركزية لدولة معينة، وتسمّى الحروب الأهلية العرقية، وأيًا كانت أهدافها فإنّها غالبًا ما تضمّ مجموعة من العناصر المختلفة، وهي تختلف تمامًا عن تلك الحروب التي تنشأ بين دولة، ودولة أخرى.

يُشير المفهوم اللغوي للحرب الأهلية إلى تلك الحرب التي تنشب بين مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون في دولة معينة، ومن الأمثلة على هذه الحروب:

الحرب الأهلية الإسبانية التي امتدت ما بين عام 1936م لغاية عام 1993م.

أضرار الحروب الأهلية:

- تعتبر الحروب الأهلية أقل ضررًا مقارنة مع الحروب المباشرة التي تنشأ بين أكثر من دولة، إلا أنها تأخذ وقتًا أطول، وتظل مستمرة، وتتكرر أكثر من الحروب الأخرى، علمًا أنّ عدد الوفيات الناتج عن هذا النوع من الحروب يكون أكبر، فقد لوحظ أنّ معظم الوفيات المُسجلة في

التاريخ، وتحديدًا بعد انتهاء الحرب الباردة، ولغاية وقتنا الحاضر تعود للحروب الأهلية، إلى جانب العديد من الأضرار، والآثار السلبية الأخرى، التي يتمثل أبرزها في تراجع القوة الاقتصادية للدولة، حيث يؤثر هذا النوع من الحروب بصورة سلبية للغاية على معدّل الناتج المحلي الإجمالي؛ ويؤدي إلى انخفاضه بشكل ملحوظ، إضافةً إلى دورها الكبير في تراجع عملية الاستثمار، وتعطيل الأنشطة التجارية، وزيادة معدلات البطالة، وتزيد من حدّة المشكلات الاجتماعية الناتجة عن ذلك، ويجدر بالذكر أنّ هذه الآثار السلبية لا تقتصر فقط على داخل حدود الدولة التي تشهد هذا النوع من الحروب، بل تمتد لتصل كافة الدول المجاورة لها، وخاصةً من الناحية الاقتصادية، كما تتسبّب في تراجع مستوى الأمان فيها، وتجعلها تحت وطأة العنف بأي وقت.

الحرب الأهلية الأمريكية من الأمثلة على الحروب الأهلية الحرب الأهلية الأمريكية التي نتجت بصورة مباشرة عن العديد من الأسباب، حيث تعتبر العبودية المنتشرة داخل المجتمع من القضايا المحورية التي أدّت إلى نشوب هذه الحرب، والقيم الثقافية المعتمدة فيه، إلى جانب العديد من السياسات، والممارسات الاقتصادية، ووضع الحكومة الفيدرالية آنذاك، وقد سادت هذه الظروف لمدّة ليست قليلة تصل إلى ثمانين عامًا، ممّا أدى إلى نشوب هذا النزاع للمطالبة بالتغيير.

وقد حدث جدل واضح حول المستقبل الذين ينتظر حالة العبودية المنتشرة في البلاد، وخاصة في الأقاليم الجنوبية التي كان يعمل فيها حوالي أربعة ملايين إفريقي، وأولادهم، وأحفادهم كعبيد في المزارع، وعليه كانت العبودية ركنًا رئيسيًا من أركان اقتصاد هذا الإقليم، حيث كان هناك قانون يسمح ببيع العبيد، أو استئجارهم بين الناس من منطلق أنهم سلعة خاصة تحت مُلك أصحابها يحقّ لهم التصرّف بها، وتمّ اعتبارهم أنهم جزء من موارد، وثروات المنطقة، إذ كان سعر العبيد مرتفعًا بصورة ملحوظة، وبالتالي انخفضت أسعار السلع، مثل: الأراضي، والقطن، وغيرها، وكان إلغاء الرّق أحد أهداف تلك الحرب.

الحرب الأهلية:

هي الحرب الداخلية في بلد ما التي يكون أطرافها جماعات مختلفة من السكان. كل فرد فيها يرى في عدوه، وفي من يريد أن يبقى على الحياد خائنا لا يمكن التعايش معه، ولا العمل معه في نفس التقسيم الترابي. ولكن بتعدد، وتنوع الأسباب المقدمة لنشوء الحروب الأهلية يبقى الحل الأكثر نجاحًا لها على مدى العصور التفاوض السلمي.

يكون الهدف لدى الأطراف السيطرة على مقاليد الأمور، وممارسة السيادة. أما أسباب الحرب، فقد تكون سياسية، أو طبقية، أو دينية، أو عرقية، أو إقليمية، أو مزيج من هذه العوامل.

ويعتبر اللجوء إلى الحرب الأهلية حالة قصوى من حالات حق دفع الظلم، والثورة على حكومة، أو فئة حاكمة أخلت بحقوق الشعوب، والمواطن، كما جاء في دستور الثورة الفرنسية الصادر عام 1793، أو بموجب مبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها المتضمن في ميثاق الأمم المتحدة.

تتصف الحروب الأهلية بالضراوة، والعنف، وبالنتائج الاقتصادية، والاجتماعية المدمرة على المدى القريب، والمؤثرة بعمق على المدى البعيد؛ لأنها تشمل مناطق آهلة بالسكان، وتكون خاضعة لهجمات متقطعة، وغير منتظرة، وتفرق بين الأهل، والجيران فتشل الحياة الاقتصادية، وتمزق النسيج الاجتماعي، ويحتاج المجتمع إلى عدة عقود من الزمن لإعداة البناء، والتوازن، والوئام.

وكثيرًا ما تشكل الحروب الأهلية فرصة لتدخل الدول الكبرى، أو المجاورة في مجريات الأمور الداخلية للدولة المعرضة لمثل تلك الحروب. ذلك أن وقوع مثل تلك الحروب يضعف كثيرا من سيادة الدولة، ويزيل التماسك الداخلي في وجه التدخل الخارجي، كما أن احتمالات التغير في موازين القوى داخليا قد يؤثر على الدول المجاورة سلبا، وإيجابا فترى بعض الدول في انتصار فريق على فريق تهديدا لأمنها.

أو للتوازن في تلك المنطقة من العالم، أو على صعيد أوسع. وقد تلجأ الحكومة إلى معاملة الفريق الثائر كطرف في حرب عادية، وذلك بغية الالتزام بقواعد الحرب، كحماية الأسرى، وتجنب محاكمتهم كخونة، وعدم اللجوء إلى الأخذ بالثأر. إلا أن ذلك يفترض سيطرة الثوار على إقليم جغرافي محدد، وقيام سلطة تمارس مهام السيادة على تلك الرقعة، وأن تكون القوات الثائرة خاضعة لنظام عسكري، وتطبق القواعد المرعية في القانون الدولي.

حروب أهلية (مرتبة زمنيا):

حرق كولومبيا بولاية كارولاينا الجنوبية على يد ويليام شيرمان.

حروب الأخوة بين ألفونسو ملك ليون، وسانشو ملك قشتالة 1067-1072.

الحرب الأهلية النرويجية 1130-1240.

حرب الوردتين في إنجلترا 1455-1485.

حرب أونين في اليابان 1467-1477.

الحروب الدينية الفرنسية 1562-1598.

الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1865.

الحرب الأهلية الروسية 1917 -1921.

الحرب الأهلية في فلندا 1918.

الحرب الأهلية الأيرلندية 1922-1923.

الحرب الأهلية الصينية 1928-1937, 1945-1949.

حرب فيتنام 1930-1975.

الحرب الأهلية الإسبانية 1936-1939.

الحرب الأهلية اليونانية 1946-1949.

الحرب الأهلية البارجوية 1947.

الحرب الأهلية في كوستاريكا، 1948.

الحرب الكورية، 1950-1953.

الحرب الأهلية الإندونيسية، 1965-1966.

الحرب الأهلية النيجرية، 1967-1970.

الحرب الأهلية الباكستانية، 1971.

الحرب الأهلية اللبنانية، 1975 – 1990.

الحرب الأهلية الموزمبيقية 1975-1992.

الحرب الأهلية السريلانكية 1983 – 2009.

الحرب الأهلية اليوغسلافية 1991- 2001.

الحرب الأهلية الأفغانية 1992-2001.

الحرب الأهلية الجزائرية 1992-2002.

الحرب الأهلية البوروندية 1993 – 2005.

الحرب الأهلية النيبالية 1996 – 2006.

الحرب الأهلية العراقية 2006-2008.

الحرب الأهلية السورية، 2011 - ما زالت مستمرة.

الحرب الأهلية الليبية، 2011 – 23 أكتوبر 2011.

الحرب الأهلية اليمنية، 2015 - ما زالت مستمرة.

الحرب الأهلية العراقية الثانية 2014 - ما زالت مستمرة.

الحرب الأهلية الليبية الثانية 2014 - ما زالت مستمرة.

الحرب الأهلية اللبنانية

الحرب الأهلية اللبنانية: هي حرب أهلية متعددة الأوجه في لبنان ، واستمرت من عام 1975 إلى عام 1990، وأسفرت عن مقتل ما يقدر بـ 120 ألف شخص. في عام 2012، كان ما يقرب من 76 000 شخص لا يزالون مشردين داخل لبنان.كان هناك أيضا نزوح لما يقرب من مليون شخص من لبنان نتيجة للحرب.

فقبل الحرب، كان لبنان متعدد الطوائف ، حيث كان المسلمون السنة، والمسيحيون الأغلبيات في المدن الساحلية، حيث كان المسلمون الشيعة في الأساس في الجنوب، ووادي البقاع إلى الشرق، وكان أغلب سكان الجبال من الدروز، والمسيحيين.

فقد كانت الحكومة اللبنانية تدار تحت تأثير كبير من النخب بين المسيحيين المارونيين تم تعزيز الصلة بين السياسة، والدين في إطار ولاية القوة الاستعمارية الفرنسية في الفترة من عام 1920 إلى عام 1943، وكان الهيكل البرلماني مؤيدا لموقف قيادي بالنسبة للمسيحيين. ومع ذلك، كان لدى البلد عدد كبير من السكان المسلمين، كما أن العديد من جماعات عموم العرب، واليسارية قد عارضوا الحكومة الموالية للغرب. وقد ساهم إنشاء دولة إسرائيل، ونزوح مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين إلى لبنان خلال عامي 1948 و 1967 في تغيير التوازن الديموغرافي لصالح السكان المسلمين. وكان للحرب الباردة تأثير غير تكاملي قوي على لبنان، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بحالة الاستقطاب التي سبقت الأزمة السياسية في عام 1958، منذ أن انحاز الماروني إلى جانب الغرب، في حين انحازت المجموعات اليسارية، والعربية إلى جانب الدول العربية المنحازة إلى الاتحاد السوفييتي.

وقد بدأ القتال بين الموارنة، والقوات الفلسطينية (معظمهم من منظمة التحرير الفلسطينية) في عام 1975، ثم شكلت الجماعات اليسارية، والعربية، والإسلامية اللبنانية تحالفا مع الفلسطينيين. خلال فترة القتال، تحولت التحالفات بسرعة، وبشكل لا يمكن التنبؤ به. وعلاوة على ذلك، شاركت القوى الأجنبية، مثل إسرائيل، وسوريا، في الحرب، وحاربت جنبا إلى جنب مع فصائل مختلفة. وتتمركز أيضا قوات حفظ السلام ، مثل: القوة المتعددة الجنسيات في لبنان، وقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان.

وكان اتفاق الطائف لعام 1989 بداية النهاية للقتال. وفي يناير 1989، بدأت لجنة عينتها جامعة الدول العربية في صياغة حلول للنزاع. وفي مارس 1991، سنّ البرلمان قانونا للعفو عن جميع الجرائم السياسية قبل سنة. في مايو 1991 ، حلت الميليشيات، باستثناء حزب الله، في حين بدأت القوات المسلحة اللبنانية في إعادة البناء ببطء باعتبارها المؤسسة الوحيدة الرئيسية غير الطائفية في لبنان. ظلت التوترات الدينية بين السنة، والشيعة بعد الحرب.

أسباب الحرب:

كانت للحرب الأهلية أسباب عدة منها سياسية، واقتصادية.

أسباب سياسية:

اعتبرت أزمة 1958 بمثابة التهيئة للحرب الأهلية، ومن ثم بدأ التصادم المسلح بين الجيش اللبناني، والمقاومة الفلسطينية في عام 1973، وظهور حلف ماروني في مواجهة المقاومة الفلسطينية، وتكوين مليشيات، ورفض لبنان لقرارات مؤتمر القمة العربية في شأن الفلسطينين.

أسباب اقتصادية:

تمركز جميع المصالح الاقتصادية في العاصمة بيروت، بينما تردي الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية في جنوب لبنان، والهيكل الاقتصادي اللبناني بتقسيماته القطاعية، واختلال توزيعاته الجغرافية ارتبط إلى حد كبير بالاعتبارات الطائفية، والسطوة السياسية، والذي أسهم إلى حد كبير في فداحة الخسائر التي مني بها لبنان.

بداية الحرب:

يختلف في تاريخ بدء الحرب، لكن يتفق الكثيرون أنها بدأت في 13 أبريل 1975 حيث كان هناك محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم الماروني بيار الجميل قام بها مسلّحون، وأدّى إلى مقتل مرافقة جوزيف أبو عاصي، أنطوان ميشال الحسيني، وردًّا على هذه الحادثة حصلت حادثة عين الرمانة التي هوجمت فيها إحدى الحافلات المدنية، وكان يتواجد فيها ركاب فلسطين (توضيح) يين، ولبنانيين مما أدى إلى مصرع 27 شخص.

أطراف الصراع:

الأطراف كانت تتقاتل ضمن محاور دينية، وسياسية، هذه الأطراف تمثلت في المسيحيين الموارنة ،الشيعة، السنة، والدروز، منظمة التحرير الفلسطينية، والإسرائيليون، وكذلك الجيش السوري، وأطراف أخرى متفرقة. في البداية كانت هناك 3 جبهات رئيسية:

الجبهة اللبنانية بزعامة كميل شمعون. هذا الفصيل كان يهيمن عليه المسيحيون الموارنة. وسرعان ما حصلوا على المعونة من سوريا ثم من إسرائيل لاحقًا. كانت للميليشيا التابعة للجبهة المسماة القوات اللبنانية بقيادة بشير الجميل دور أساسي في الحرب.

مجموعات الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة كمال جنبلاط، السياسي الدرزي البارز.

منظمة التحرير الفلسطينية بجميع قواها، وأطيافها، والتي تحالفت مع الحركة الوطنية اللبنانية.

حيث كان الاقتتال في بداية الأمر ما بين الجبهة اللبنانية، وتحالف الحركة الوطنية اللبنانية مع منظمة التحرير الفلسطينية. بشكل عام لم تكن أطراف الصراع في لبنان متمايزة تماما، وكانت التحالفات تتغير خلال الحرب، وفي خضم الأحداث كانت أطراف الصراع كالتالي:

الجيش اللبناني.

القوات اللبنانية.

حزب الكتائب اللبنانية.

حزب الوطنيين الأحرار.

منظمة التحرير الفلسطينية.

الحركة الوطنية اللبنانية.

الحزب التقدمي الاشتراكي.

إسرائيل.

سوريا.

الولايات المتحدة الأمريكية.

حركة أمل.

الحزب السوري القومي الاجتماعي.

اشتراك الأقباط.

لمح الرئيس المصري محمد أنور السادات في خطبة له إلى أن أقباط مصر حاربوا إلى جانب حزب الكتائب في الحرب الأهلية اللبنانية، وقال أنه تلقّى هذه المعلومة بصفة شخصية من اتصالاته مع قائد من منظمة التحرير الفلسطينية، وقال إن قوات منظمة التحرير الفلسطينية ألقت القبض على ثلاث أقباط. وفي تقرير للاستخبارات نشر في جريدة الحزب الديموقراطي الإسبوعية عام 1981 ذكرت السلطات المصرية نفسها أنهم لم يستطعوا إثبات اشتراك الأقباط بالحرب اللبنانية.

كما تردد تدريب الأقباط على الأسلحة في معسكرات القوات اللبنانية. يقول الناشط القبطي اللبناني إدوارد البباوي أن الأقباط لم يُكَوِّنوا أيّة تنظيمات سياسية، أو فصيل عسكري في الحرب الأهلية، وفي حال مشاركة أقباط في الحرب إلى جانب الأحزاب المسيحية، فهي كانت أعمال فردية لم تكن الطائفة تشجعها.

المرحلة الأولى 1975-1977:

المجازر، والاقتتال الطائفي:

سبقت الأحداث الدامية العديد من الإشكاليات التي هيّأت للحرب. فعام 1969، اقتتل الجيش اللبناني مع المسلحين الفلسطينيين، والتي أدّت إلى الاعتراف بحق الفلسطينيين بامتلاك السلاح على الأرض اللبنانية من خلال ما عرف باتفاق القاهرة. في عام 1975، خرجت اضطرابات مختلفة في لبنان كان أخطرها مظاهرة الصيادين في صيدا، والتي أدت إلى مقتل معروف سعد. والعديد من المناوشات بين المسيحيين، والفلسطينيين في مناطق مخيم تل الزعتر، والكحالة. كما قام الفلسطينيين بالعديد من الأعمال الفدائية ضد إسرائيل مما جعل العالم يعتبر لبنان مرتعا للإرهابيين.

أما الشرارة الحقيقية لبدء الحرب الأهلية اللبنانية كانت في 13 أبريل 1975 عندما قام مجهولون بمحاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب الذي نجى من المحاولة، ولقي أربعة أشخاص حتفهم في المحاولة, اثنين منهم حراس شخصيين لجميّل. ردّت ميليشيات حزب الكتائب على محاولة الاغتيال بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

القيادة العامة إلى مخيم تل الزعتر مرورًا بمنطقة عين الرمانة. أدّى الكمين الذي نصبه مقاتلوا حزب الكتائب إلى مقتل 27 فلسطينيًا. سميت الحادثة بحادثة البوسطة، والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء القتال في كل أنحاء البلاد. بانتشار الخبر، سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية، والكتائبية في أنحاء المدينة.

في 6 ديسمبر 1975، عُثر على أربعة جثامين لأعضاء من حزب الكتائب فقامت الميليشيات المسيحية بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت، وقتلت المئات من الفلسطينيين، واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية (التي كانت آنذاك تدوّن مذهب حاملها) فيما عرف لاحقًا بالسبت الأسود. أدّت عمليات القتل لاندلاع الاشتباكات على نطاق واسع بين المليشيات. فانقسمت بيروت، ولبنان معها، إلى منطقتين عرفتا بالمنطقة الشرقية، وأغلبها مسيحيين، والمنطقة الغربية التي كانت مختلطة مع أكثرية إسلامية.

كانت بيروت الشرقية محاطة بمخيمات الفلسطينين المحصنة مثل: منطقة الكرنتينا، ومخيم تل الزعتر. في 18 يناير 1976، قامت الميليشيات المسيحية باقتحام منطقة الكرنتينا ذات الأغلبية المسلمة، والواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية، والتي كان يسكنها أكراد، وسوريون، وفلسطينيون. قتلت الميليشيات المسيحية 1500 من سكان المنطقة. ردت الميليشيات الفلسطينية بعدها بيومين باقتحام بلدة الدامور المسيحية، وقتل المئات من السكان المسيحين. هرب الآلاف من السكان بحرًا حيث كانت الطرق مقطوعة. أدّت هاتين الحادثيتين إلى هجرة جماعية للمسلمين، والمسيحين حيث لجأ كل منهم إلى المنطقة الواقعة تحت نفوذ طائفته. انقسمت بيروت الشرقية، وبيروت الغربية بشكل متزايد إلى بيروت المسيحية، والمسلمة.

التدخل السوري:

في يونيو 1976، كانت الميليشيات المارونية على وشك الهزيمة. طالب الرئيس سليمان فرنجية سوريا بالتدخل بحجة أن ميناء لبنان سيغلق، وهو مصدر أساسي للمنتجات الواردة إلى سوريا. كان التخوف المسيحي قد نمى بعد مجزرة الدامور. ردت سوريا بإنهاء دعمها لجبهة الرفض الفلسطينية، وبدأت دعم الحكومة ذات الأغلبية المارونية.

الأمر الذي جعل سوريا في نفس صف إسرائيل، والتي بدأت بدعم الميليشيات المارونية بالسلاح، والدبابات، والمستشارين العسكريين في مايو 1976. بناء على طلب الرئيس، دخلت القوات السورية لبنان، واحتلت طرابلس، وسهل البقاع متفوقة بسهولة على قوات الحركة الوطنية اللبنانية، والميليشيات الفلسطينية. فرضت سوريا حظر التجوال إلى أنه فشل في وقف الاشتباكات. بدعم سوري، استطاعت الميليشيات المسيحية اقتحام دفاعات مخيم تل الزعتر، والذي كان تحت حصار، وقصف متواصل طوال أشهر. أدى حصار، واقتحام المخيم إلى مقتل الآلاف من الفلسطينين مما أثار غضب العالم العربي ضد سوريا. في أكتوبر 1976، وافقت سوريا على اقتراح قمة جامعة الدول العربية في الرياض، والذي أعطى لسوريا حق بالاحتفاظ ب 40 ألف جندي هي جوهر قوات الردع العربية التي كانت مهمتها فك الاشتباكات، واسترجاع الأمن.

كانت عدة دول مشاركة في قوات الردع العربية إلى أنها سرعان ما فقدت الاهتمام منسحبةً، وتاركةً الأمور مرة أخرى في يد سوريا. تنتهي الحرب الأهلية رسميا، ويحل الهدوء المؤقت

بيروت، ومعظم أنحاء لبنان باستثناء منطقة الجنوب حيث تتواجه منظمة التحرير الفلسطينية مع الميليشيا المسيحية التي تدعمها إسرائيل.

الهدوء الحذر:

كان لبنان مقسمًا حيث كان الجنوب، وغرب بيروت تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية، والميليشيات المسلمة بينما كانت بيروت الشرقية، والقسم المسيحي من جبل لبنان تحت سيطرة الميليشيات المسيحية. كان الخط الفاصل بين بيروت الغربية، والشرقية يسمى الخط الأخضر.

في 1976 تتحالف الأحزاب، والتيّارات المسيحية اليمينية، وهي حزب الكتائب بقيادة بيار الجميل، تيار المردة بقيادة سليمان فرنجية، حزب الوطنيين الأحرار بقيادة كميل شمعون، حراس الأرز بقايدة إتيان صقر، والتنظيم مكوّنة الجبهة اللبنانية. بينما تتكوّن القوات اللبنانية، وهي الجناح العسكري للجبهة اللبنانية من الميليشيات التابعة لتلك الأحزاب، ويتولى بشير الجميل نجل بيار الجميل قيادتها

المرحلة الثانية 1977-1982:

حرب المئة يوم:

حرب اندلعت في 1 يوليو 1978 بين القوّات السورية، والمليشيا المسيحية بعد أن تعرّض بشير الجميل للتوقيف على حاجز سوري حدثت مواجهات في بيروت الشرقية، وخاصة في منطقة الإشرفية التي تعرّضت لقصف شديد من قبل القوات السورية. توقفت المعارك بعد حصول وقف إطلاق نار بين الطرفين، وانسحاب السوريين من بيروت الشرقية.

غزو إسرائيل لجنوب لبنان عام 1978:

في 14 مارس 1978 قامت القوات الإسرائيلية بغزو جنوب لبنان حتى نهر الليطاني ردًّا على العمليات التي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقوم بها ضد إسرائيل منطلقة من لبنان. الهدف من الغزو كان خلق منطقة عازلة بعرض 10 كيلومترا داخل الأراضي اللبنانية وبطول الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية. إسرائيل وجدت أن احتلال الأراضي كان سهلا، وسرعان ما سيطرت على

10% من جنوب البلاد. مجلس الأمن يصدر قرارًا يطالب فيه إسرائيل بالانسحاب من لبنان، وينشئ قوات اليونيفل المنوط بها حفظ الأمن في الجنوب.

بحلول مايو 1978 تنسحب إسرائيل من معظم جنوب لبنان باستثناء منطقة تسميها إسرائيل "منطقة أمنيّة" يتراوح عرضها ما بين 4 و 12 كلم على طول الحدود الجنوبية للبنان. تثبت إسرائيل جيش لبنان الجنوبي العميل له بقيادة سعد حداد على طول الحدود. تبقى إسرائيل مسيطرة على المنطقة الحدودية حتى عام 2000 حين تنسحب فجأة تاركة أعضاء جيش لبنان الجنوبي، حيث يفرّ بعضهم إلى إسرائيل، ويعتقل حزب الله الباقين منهم، ويقدمهم للسلطة اللبنانية حيث تتم محاكمتهم.

الاقتتال داخل القوات اللبنانية:

في يونيو 1978، وإثر مقتل عضو بارز في حزب الكتائب على يد قوات المردة، أرسل بشير الجميل قواته بقيادة سمير جعجع إلى مدينة إهدن لاختطاف طوني فرنجية، قائد ميليشيات المردة، وابن الرئيس سليمان فرنجية، لإجباره على تسليم المسؤولين عن مقتل العضو الكتائبي. إلا أن العملية انتهت بمقتل طوني فرنجية، وعائلته، والمقاتلين التابعين له. سميت الواقعة فيما بعد بمجزرة إهدن. أنهى سليمان فرنجية ارتباط حزبه تيار المردة بالجبهة اللبنانية بعد مقتل ابنه.

في عام 1980، أرسل بشير قواته إلى مدينة الصفرا؛ لقتال داني شمعون، قائد ميليشيا نمور الأحرار الجناح العسكري لحزب الوطنيين الأحرار.

تمت العملية بموافقة كميل شمعون والد داني شمعون، ورئيس حزب الوطنيين الأحرار، والرئيس السابق للجمهورية اللبنانية، والذي كان يرى أن قوات ابنه خرجت عن السيطرة. تم القضاء تمامًا على ميليشيات النمور فيما سمي بمجزرة الصفرا. لم يتم قتل داني شمعون حيث ذهب؛ ليعيش في بيروت الغربية التي كانت ذات أغلبية مسلمة. أصبح بشير بذلك المسيطر الأوحد على القوات اللبنانية.

الاقتتال بين سوريا والقوات اللبنانية:

ما بين يوليو، وأكتوبر عام 1978 قام الجيش السوري بمحاصرة بيروت الشرقية معقل القوات اللبنانية فيما سمي بحرب المئة يوم. تم خلال تلك الفترة قصف شديد لبيروت الشرقية وحي

الأشرفية، ولم ينتهي الحصار، والقصف إلا بعد وساطة عربية أدت إلى وقف إطلاق النار. خرج بشير الجميل من تلك الحرب، وهو يعتبر نفسه منتصرًا. في عام 1981، تصادمت سوريا مع ميليشيا بشير الجميل مرة أخرى بعد سيطرة القوات اللبنانية على مدينة زحلة. في تلك المعركة، استغاث بشير بإسرائيل، فأرسلت طائرات حربية أسقطت مروحيتين سوريتين.

قصف إسرائيل لبيروت:

في 17 يوليو 1981، قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية مبنى مُكوّن من عدة طوابق كان يضم مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية. بعثة الأمم المتحدة في لبنان قدّرت عدد القتلى ب 300 وعدد المصابين ب 800 مصاب. أدّى القصف إلى استياء دولي، وحظر مؤقت لتصدير المنتجات الأمريكية لإسرائيل.

إسرائيل تخطط للغزو:

في أغسطس من عام 1981، أُعيد انتخاب رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيجن لفترة ثانية، وفي سبتمبر من نفس العام بدأ بيجن، ووزير الدفاع أرئيل شارون التخطيط لغزو لبنان مرة أخرى لطرد منظمة التحرير الفلسطينية. كانت خطة شارون حسب قوله هي "القضاء على البنية التحتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والقضاء، إذا أمكن، على قيادة المنظمة؛ قد يتطلّب ذلك ضرب بيروت الغربية، حيث مقرات، ومراكز قيادة المنظمة".

أراد شارون تأمين وصول بشير الجميل لرئاسة الجمهورية اللبنانية. مقابل مساعدة إسرائيل لبشير، أراد شارون من بشير أن يوقع اتفاقية سلام مع إسرائيل تضمن أمن حدود إسرائيل الشمالية للأبد. في يناير 1982 قابل شارون بشير الجميل على متن سفينة قبالة السواحل اللبنانية، وناقشا خطة تقتضي وصول القوات الإسرائيلية إلى مشارف بيروت، ومحاصرة بيروت الغربية فيما تقوم ميليشيات القوات اللبنانية باقتحام بيروت الغربية، والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية.

المرحلة الثالثة 1982-1983:

الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982:

كانت إسرائيل قد أعدت خطة الغزو، وتنتظر الذريعة لبدء تنفيذ الخطة. في 3 يونيو 1982 قامت منظمة أبو نضال بمحاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن. بالرغم من أن أبو نضال كان قد انشق من فتح، ومنظمة التحرير الفلسطينية بل أنه اغتال العديد من أعضاء منظمة التحرير، وحاول اغتيال ياسر عرفات، وأبو مازن، إلى أن إسرائيل اتخذت من العملية ذريعة؛ لتنفيذ مخططها باجتياح لبنان، والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية. أمر شارون، وبيجن بضرب معاقل منظمة التحرير الفلسطينية، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت الغربية مما تسبب في مقتل 100 شخص.

ردت منظمة التحرير الفلسطينية بإطلاق الصورايخ، والمدفعية من جنوب لبنان على شمال إسرائيل. كان ذلك بمثابة الذريعة المباشرة لإسرائيل بالقيام بالاجتياح.

في 6 يونيو 1982 بدأت إسرائيل غزو لبنان من حدودها الجنوبية. في غضون بضعة أيام تستولي القوات الإسرائيلة على مدن الجنوب الهامة مثل: صور، وصيدا؛ لتدخل بعد ذلك بيروت الشرقية بدعم ضمني من القادة، والميليشيات المارونية. عندما اجتمعت الحكومة الإسرائيلية للموافقة على خطة الغزو، وصف شارون الخطة بأنها وصول القوات الإسرائيلية إلى 40 كم في العمق اللبناني للقضاء على معاقل منظمة التحرير الفلسطينية، وخلق "منطقة أمنية موسعة" تجعل شمال إسرائيل خارج مدى صواريخ منظمة التحرير. كما ادّعى شارون أن بيروت هي خارج الصورة. في الواقع، أمر رئيس الأركان رفائيل إيتان، ووزير الدفاع الإسرائيلي أرئيل شارون القوات الإسرائيلية بالتوجه مباشرةً إلى بيروت وفقًا لخطة وضعها شارون في سبتمبر 1981.

حصار بيروت:

بحلول 15 يونيو كانت القوات الإسرائيلية تعسكر خارج بيروت. طالبت الولايات المتحدة منظمة التحرير بالخروج من لبنان. أصدر شارون الأوامر بشن غارات على بيروت الغربية لاستهداف 16,000 من الفدائيين الفلسطينيين المُحصنين فيها. استمر حصار بيروت لمدة 7 أسابيع

قطعت خلالها إسرائيل الكهرباء، وإمدادات الماء، والطعام عن المدينة. هاجمت القوات الإسرائيلية بيروت الغربية عن طريق البر، والبحر، والجو، وأدّى القصف العشوائي إلى مقتل آلاف من المدنيين.

في هذه الأثناء كان فيليب حبيب مبعوث الولايات المتحدة في المنطقة يتفاوض مع إسرائيل، ومنظمة التحرير الفلسطينية لإنهاء الحصار. في 12 أغسطس توصل حبيب إلى هدنة تقتضي خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وانسحاب القوات الإسرائيلية، ووصول قوات أمريكية، وفرنسية، وإيطالية للإشراف على خروج مقاتلي منظمة التحرير، وتأمين الحماية للمدنيين العُزَّل من الفلسطينيين.

وصلت القوات الفرنسية، والأمريكية، والفرنسية تباعًا في 21، 24 و26 من أغسطس. في 30 أغسطس أشرفت القوات المتعددة الجنسيات على خروج منظمة التحرير من بيروت بحرًا إلى اليونان، ومن اليونان إلى سوريا، وتونس، والأردن، والجزائر.

رغم خروج منظمة التحرير إلّا أن إسرائيل ادعت أن 2,000 من الفدائين ما زالوا يختبؤون في مخيمات اللاجئين على أطراف بيروت. انسحبت القوات متعددة الجنسيات مبكرًا من لبنان بعد أسبوعين فقط من وصولها، وقبل انسحاب القوات الإسرائيلية كما كانت تنص اتفاقية وقف إطلاق النار. كان من المفترض أن تبقى القوات متعددة الجنسيات لمدة شهر.

في هذه الأثناء، وفي 23 اغسطس، وتحت الإحتلال الإسرائيلي، انتخب بشير الجميل رئيسًا بهامش بسيط، وبمقاطعة النواب المسلمين للجلسة. كانت الدوائر المسلمة تتخوف من علاقة بشير بإسرائيل، ودعمها له بالسلاح أثناء الحرب. في 11 سبتمبر، قابل بشير الجميل رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجين في إسرائيل، ووعده باتخاذ الخطوات لبدء علاقات دبلوماسية بين لبنان، وإسرائيل بمجرد أن يتسلم رئاسة الجمهورية اللبنانية. تم اغتيال بشير في 14 سبتمبر 1982 وقبل أيّام من الموعد المحدد لتسلمه الرئاسة عندما فَجّر حبيب الشرتوني، وهو عضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي مبنى حزب الكتائب في بيروت الشرقية.

مجزرة صبرا، وشاتيلا:

قام شارون، وإيتان بإرسال القوات الإسرائيلية إلى بيروت الغربية في خرق لاتفاقية حبيب. قامت تلك القوات بنقل 200 مقاتل من ميليشيا القوات اللبنانية بقيادة إيلي حبيقة إلى المخيمات بحجة القضاء على 2,000 من مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية مختبئين في المخيمات. اقتحمت القوات اللبنانية مخيمي صبرا، وشاتيلا في السادسة مساءً من 16 سبتمبر، وقتلت ما يقرب من 3500 فلسطيني بمساعدة الجيش الإسرائيلي الذي كان يحاصر المخيمين، والذي كان يشعل القنابل المضيئة في السماء؛ ليتمكن مقاتلي القوات اللبنانية من الرؤية طوال الليل.

كان شارون، وقادة الجيش الإسرائيلي يتابعون المجزرة من على سطح مبنى سفارة الكويت المطل على المخيمين. وفقًا للتقارير الإسرائيلة لم يكن وسط الضحايا "أيّاً من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية".

أدّت المجازر في صبرا، وشاتيلا إلى سخط دولي على إسرائيل، ومطالبة شعبية دولية للمجتمع الدولي للتدخل. عادت القوات متعددة الجنسيات كقوات حفظ سلام. انتخب البرلمان اللبناني أمين الجميل ليخلف أخيه في رئاسة الجمهورية اللبنانية. في عام 1999 أصدر الحارس الشخصي السابق لحبيقة، روبير حاتم، كتابًا ادّعى فيه أنّ مجزرة صبرا، وشاتيلا تم التخطيط لها بواسطة كل من حبيقة، وحافظ الأسد بهدف إحراج إسرائيل.

معاهدة 17 أيار، وانسحاب إسرائيل:

في 17 مايو 1983 وقّع أمين الجميّل، والولايات المتحدة، وإسرائيل على اتفاق ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان بشرط انسحاب القوات السورية. نص الاتفاق أن "حالة الحرب بين لبنان، وإسرائيل قد انتهت، ولم يعد لها وجود" وهو ما جعل الاتفاقية فعليًا اتفاقية سلام.

اعتبر اللبنانيون المسلمون الاتفاقية محاولة إسرائيل السيطرة الدائمة على جنوب لبنان. اعتبر البعض أمين الجميّل خائنًا، وأن الاتفاقية اتفاقية استسلام. رفضت سوريا الانسحاب.

حرب الجبل:

في أغسطس 1983 انسحبت إسرائيل من جبل الشوف مزيلة الفاصل ما بين الدروز، والمسيحيين؛ لتندلع معارك عنيفة، ودامية بين الحزب التقدمي الاشتراكي، مدعومًا من بعض القوى

الفلسطينية، من جهة، والقوات اللبنانية، والجيش اللبناني من جهة أخرى. ارتفعت بسرعة وتيرة المعارك على مختلف الجبهات؛ لترتفع معها أعداد القتلى بسرعة هائلة إذ كان يسقط مئات المقاتلين من الطرفين كل بضعة أيام. اعتبرت حرب الجبل إحدى أعنف فصول الحرب اللبنانية. انتهت المعارك بهزيمة مدوية للقوات اللبنانية، وانسحاب المقاتلين المسحيين إلى بلدة دير القمر، ومن ثم إلى بيروت الشرقية. ارتكبت مجازر متبادلة من الطرفين وسقط المئات من الأبرياء.

من نتائج حرب الجبل أنها فتحت الطريق للمقاومة نحو الجنوب، وأصبح السوريون قادرين على تسليح المقاومة كما أنها أدت إلى بداية سقوط اتفاق 17 أيار. لم تدم سيطرة الحزب الاشتراكي على مدينة سوق الغرب التي عاد، وسيطر عليه الجيش اللبناني، وبقيت سوق الغرب منطقة صراع حتى دخول الجيش السوري إليها، وانتهاء الحرب الأهلية اللبنانية.

الهجمات على الأهداف الأمريكية:

ما بين عامي 1983 و 1984، تم استهداف العديد من المصالح الأمريكية. في أبريل 1983 قتل 63 شخصًا في انفجار انتحاري استهدف السفارة الأمريكية في بيروت. في أكتوبر 1983 قتل 241 جنديًا أمريكيًا و 58 جنديًا فرنسيًا في هجوم انتحاري استهدف معسكر القوات الأمريكية، والفرنسية في بيروت.

في يناير 1984 قُتل رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت. في سبتمبر 1984 وقع هجوم آخر على السفارة الأمريكية في بيروت في مبناها الجديد الأكثر تحصينا. أدّى التفجير إلى مقتل 7 لبنانيين، وأمريكيين اثنين.

في تلك الأعوام ظهر حزب الله كقوة شيعية تقاوم الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب. انبثق حزب الله من صفوف حركة أمل الشيعية. تبنّ حزب الله فكر الثورة الإسلامية في إيران، وحصل منذ بداياته على الدعم من حرس الثورة الإيرانية.

المرحلة الرابعة 1984-1990:

حرب المخيمات:

بانسحاب القوات المتعددة الجنسيات من لبنان، سيطرت حركة أمل على بيروت الغربية. في أبريل 1985، وبدعم من سوريا، هاجمت حركة أمل، والحزب التقدمي الاشتراكي ,المرابطون. في مايو 1985 هاجمت حركة أمل الفلسطينيين في صبرا، وشاتيلا، وبرج البراجنة. استمرت حرب المخيمات ما بين عامي 1985 و 1986 تم أثناءها حصار المخيمات، ومنع المساعدات من الوصول إليها، وتدمير المخيمات تدميرًا شبه كليّ.

حكومة ميشال عون، و"حرب التحرير":

قبيل انتهاء فترة رئاسة أمين الجميل في 1988 وعند اجتماع مجلس النواب اللبناني لانتخاب رئيس جديد، كان الانقسام على أشدّه ما أفشل الجهود للاتفاق على رئيس جديد، وأدخل البلاد في مأزق دستوري، سلّم الرئيس أمين الجميل الجنرال ميشال عون، عماد الجيش اللبناني آنذاك، منصب رئاسة الجمهورية حسب تفسيره للدستور اللبناني، بينما أصرت الكتل الوطنية، والإسلامية على تفسير الدستور بالشكل الذي ينص على تولي رئيس الوزراء مهمات رئيس الجمهورية لحين انتخاب رئيس جديد. بذلك أصبح للبنان رئيسين، وحكومتين، حكومة عسكرية مسيحية في بيروت الشرقية مدعومة من النظام العراقي، وحكومة مدنية مسلمة في بيروت الغربية مدعومة من سوريا.

في مارس 1989، بدأ ميشال عون بحرب ضد الجيش السوري سماها "حرب التحرير" وادّعى أنه يحارب من أجل استقلال لبنان. تخللت المعارك معارك داخلية بين المسيحيين أنفسهم، حيث قام الجيش بمقاتلة القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع للسيطرة على أحياء جونية، ومنطقة الميناء، ومحطة الكهرباء، والمطار الخاص.

كان الدعم العسكري، والاستخباراتي الكبير الذي حصل عليه عون من العراق، والدعم المالي، والإعلامي من منظمة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى عدم تدخل حزب الله في القتال، عوامل إيجابية مكنت العماد عون من الصمود أمام الجيش السوري، وحركة أمل، والحزب التقدمي الاشتراكي، وألوية الجيش التي دعمت الحص، إلى أن تسبب دخول العراق للكويت في دفع المجتمع الدولي للإسراع في إنهاء حرب لبنان. أدّت هذه الحرب إلى تدمير كبير لبيروت الشرقية، وهجرة كبيرة للسكان المسيحيين.

اتفاق الطائف:

في أغسطس 1989 توصّل النواب اللبنانيون في الطائف بوساطة السعودية إلى اتفاق الطائف الذي كان بداية لإنهاء الحرب الأهلية. لدى عودة النواب اللبنانيين من مدينة الطائف انتُخب رينيه معوض رئيسًا للجمهورية، ولكن ميشال عون رفض الإعتراف بمعوّض، ورفض اتفاق الطائف، وذلك؛ لأن الاتفاق يقضي بانتشار سوري على الأراضي اللبنانية. قُتل رينيه معوّض بعد انتخابه بـ 16 يوم، وخلفه إلياس الهراوي. رفض ميشال عون الاعتراف بإلياس الهراوي أيضا.

تم إقصاء ميشال عون من قصر بعبدا الرئاسي، وإعدام المئات من أنصاره في أكتوبر عام 1990 بعملية لبنانية-سورية مشتركة، وبمباركة أمريكية حيث فرّ، ولجأ إلى السفارة الفرنسية، وتوجّه من بعدها إلى منفاه في باريس.

إنهاء الحرب:

انتهت الحرب اللبنانية الأهلية بإقصاء ميشال عون، وتمكين حكومة إلياس الهراوي, وبإصدار البرلمان اللبناني في مارس 1991 لقانون العفو عن كل الجرائم التي حصلت منذ 1975. في مايو تمّ حل جميع الميليشات باستثناء حزب الله، وبدأت عملية بناء الجيش اللبناني، كجيش وطني غير طائفي.

- الحرب الأهلية السورية

مع المرحلة المسلحة من الثورة السورية التي دخلت الآن شهرها الرابعين والثلاثين، تغير الكثير منذ اندلاع الاحتجاجات الأولى في مارس 2011. لاقى أكثر من 130 ألف شخص حتفهم، وتوقفت الأمم المتحدة بعد ذلك عن العدّ نظرًا لندرة المعلومات الموثوقة. لطالما كانت الجوانب السياسية، والعسكرية للصراع معقدة، إلا أن طبيعة هذا التعقيد هي التي تغيّرت؛ لأن أطراف الصراع أعادوا تقييم مواقفهم مع استمرار الحرب الأهلية.

مع انتهاء الجولة الثانية من محادثات السلام التي جرت في مدينة جنيف السويسرية، وتحوّل الديناميات القائمة على أرض الواقع في ظلّ محاربة قوات المتمردين السورية لمتطرفي الدولة الإسلامية في العراق، والشام (داعش)، وإعادة هيكلة قوات المتمردين المعتدلة، بات الوقت الآن مناسبًا لتقييم مصالح اللاعبين الرئيسيين، وقدراتهم.

اللاعبون الدوليون:

روسيا: تحتل المرتبة الثانية بعد إيران، وهي الداعم الرئيس، والقوي لسوريا. يحمي حقّ النقض (الفيتو) الذي تتمع به روسيا في مجلس الأمن الدولي الأسد من تدخل الأمم المتحدة، ويحمي استمرار بيع روسيا للأسلحة المتطورة، والأسلحة الصغيرة، والأسلحة الخفيفة التقليدية نظام الأسد من المعارضة ذات التسليح الضعيف نسبيًا، والتي تمردت ضده. إن مصالح روسيا المتداخلة مع الدول الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة، يقطع الطريق أيضًا أمام العمل الخارجي واسع النطاقٍ ضد الأسد، والذي قد يضر بالعلاقات مع القوة العظمى السابقة.

تتحمل روسيا بسعادة ما تواجهه من ازدراء دولي نتيجة دعمها للأسد، وذلك لتتمكن من المحافظة على إمكانية الوصول إلى قاعدتها البحرية الأخيرة النائية في طرطوس، والتي لا تزال تشكل رمزًا للامتداد الروسي العالمي؛ ومن تثبيط التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية لبلد معين؛ والأهم من ذلك، لتبقى قوة موازية للهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط. يشير السببان الأخيران إلى أن موسكو لن تتخلى بسرعة عن تحالفها طويل الأجل مع آل الأسد حتى، وإن تمكنت المعارضة السورية من ضمان علاقات عسكرية جيدة مع روسيا بعد سقوط الأسد.

الولايات المتحدة الأمريكية: أرادت الولايات المتحدة في البداية سقوط الأسد؛ لأن الأغلبية السنية في سوريا قد تظاهروا سلميًا من أجل ذلك؛ ولأن نهاية الأسد قد تساهم في تدهور قدرة إيران على دعم حزب الله ضد أحد حلفاء الولايات المتحدة الأساسيين أي إسرائيل. حين قمع الأسد بعنف الاحتجاجات، وأجبر السُنة على تشكيل ميليشيات دفاع محلية لمحاربة النظام، لم تكن الولايات المتحدة راغبة بتزويد المتمردين بالأسلحة المضادة للطائرات التي يحتاجونها؛ ليتمكنوا من هزيمة نظام الأسد، خوفًا من وقوع أسلحة مماثلة بين أيدي المتطرفين السُنة.

بالإضافة إلى ذلك، لم تكن الولايات المتحدة مستعدة لمهاجمة قوات الأسد في شكلٍ مباشر بسبب الاعتراضات الروسية، ولأن الرأي العام الأمريكي لا يريد خوض حربٍ أخرى في الشرق الأوسط. الشيء الوحيد الذي أضعف رغبة الولايات المتحدة بالهجوم – استعمال الأسد للأسلحة الكيميائية – عندما وافق الأسد على اقتراح روسي يقضي بتسليم الأسلحة.

مع انتهاء المناقشات حول الأسلحة الكيميائية، ووقوع المعارضة الخارجية ضدّ الأسد في حالة من الفوضى، وسيطرة الإسلاميين على حركة التمرد، وعدم الرضا الأمريكي العام عن الحروب الخارجية، تشعر إدارة أوباما أن لا خيارات أخرى أمامها غير اتخاذ إجراءات لمنع الحرب الأهلية من زعزعة استقرار الدول المجاورة لسوريا، ومن إلحاق الضرر بأمن الولايات المتحدة. وبالتالي، فإن أكبر مخاوف الإدارة المباشرة تتمحور حول اللاجئين في الدول المحيطة، وعدد المقاتلين الأجانب الكبير الذين يقاتلون في سوريا تحت راية الجماعات الجهادية التي أيدت حرب تنظيم القاعدة على الولايات المتحدة. في مفارقة لافتة، أصبح من الممكن الآن، وبشكلٍ واضح أن تبدي الولايات المتحدة استعدادًا للعمل مع حكومة الأسد حول هاتين المسألتين في حال استمرت الحرب إلى ما لا نهاية.

تركيا، وقطر، والمملكة العربية السعودية تُعد تركيا، وقطر، والمملكة العربية السعودية أكبر خصومٍ للأسد على الصعيد الإقليمي، وتنقسم الخصوم هذه وفقاً لذوق كلّ واحدةٍ منها في الصراع بالوكالة. تفضل المملكة العربية السعودية أغلب الجماعات ذات التفكير الوطني، ربما؛ لأن أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في التسعينيات، والجهاديين في أوائل القرن العشرين تحدوا حكم العائلة المالكة. وبهذا دعمت السعودية سطوع نجم الشخصية القبلية السورية أحمد الجربا داخل الائتلاف

الوطني السوري، ودعمت ثوار الجبهة السورية الخاضعين لقيادة غير إسلامية في شمال غرب سوريا.

بالإضافة إلى الولايات المتحدة، تُعتبر السعودية أيضًا الداعم الرئيس للجيش السوري الحرّ/ والمجلس العسكري الأعلى، الذي يُعتبر على الأقل أقل إسلامية من غيره من الائتلافات المتمردة، والأساسية الأخرى في سوريا. أما تركيا، وقطر فقد فضلتا الحلفاء الإسلاميين الإقليميين؛ لأنهم يتمتعون بتنظيم جيد، وبسبب تدني احتمال خطر النكسة. (يحكم الإسلاميون المعتدلون تركيا، في حين اختارت قطر دعم الجماعة الإسلامية الأقوى على الصعيد الإقليمي أي الإخوان المسلمين). عملت قطر، وتركيا معًا؛ لتعزيز نفوذ جماعة الإخوان المسلمين السورية على المعارضة الخارجية، التي تراجعت رغم ما بذلته الدولتان من جهود جبارة في هذا المجال. في ساحة المعركة، يبدو أن تركيا قد غضت الطرف عن الجهاديين السُنة الذين عبروا إلى شمال سوريا في حين اتُهمت قطر على نطاق واسع بدعم الميليشيات الإسلامية السلفية المحافظة الموحدة تحت لواء الجبهة الإسلامية.

تأمل هذه البلدان الثلاثة بنهاية سريعة لحكم الأسد، وقد أصيبت بخيبة أمل عندما فشلت الولايات المتحدة في تحقيق ذلك من خلال تسليح المتمردين، أو من خلال مهاجمة النظام على أثر استخدامه للأسلحة الكيميائية. لا تزال كلّ من تركيا، وقطر ملتزمةً بالسعي لسقوط الأسد، إلا أن الدولتان لم تقطعا علاقاتهما بإيران، مما يشير إلى أنهما قد تعمدان إلى التهرب من رهاناتهما في حال بقي الأسد. في غضون ذلك، تخوض المملكة العربية السعودية حربًا إقليمية باردة مع إيران، وتبدو غير مستعدة لتقديم أي تنازلات في سوريا. والآن يبدو أن المملكة العربية السعودية وقطر تريدان توحيد عملائهما المتمردين تحت راية تنظيمٍ واحدة.

إيران: إن سوريا هي الحليف الاستراتيجي الرئيس لإيران في المنطقة، فهي بلد مهم لإعادة تموين حزب الله حليف إيران في لبنان، والذي يشكل رادعًا هامًا ضد أي عمل عسكري إسرائيلي ضد إيران. وبما أن آل الأسد آمنوا حماية طرق الإمداد هذه، فمن غير المرجح أن تعتقد إيران بإمكانية قيام أي نظام سياسي "غير أسدي" بالشيء عينه.

وقد أثبتت إيران جدية التزامها بالحفاظ على نظام الأسد من خلال المساعدة في توفير وقود، وأسلحة بأسعار منخفضة، ونشر أفراد قواتها المسلحة، بما في ذلك قوة القدس الخاصة، لتدريب القوات السورية شبه العسكرية، وتنسيق العمليات العسكرية ضد المتمردين. من المحتمل أن شجعت

إيران مشاركة حزب الله العلنية في الحرب إلى جانب النظام العلوي، حتى وإن كان ذلك على حساب سمعته الإقليمية كمدافع عن العرب السنة.

حكومة الأسد: تتمتع الحكومة السورية بقوة أكبر من تلك التي يتمتع بها معارضوها على الصعيدين العسكري، والسياسي. منح التغيير الأمريكي في سبتمبر 2013 في ما يتعلق بتهديد الولايات المتحدة بشن غارات تأديبية لصالح توقيع اتفاق يقضي بإزالة مخزونات الأسلحة الكيميائية في سوريا، وتدميرها الرئيس الأسد فرصة دبلوماسية لكسب الوقت، وإحباط اتفاق السلام. ما لم تتغير موازين القوى، سيستفيد الأسد من دفاع روسيا عنه، ومن مساندة إيران العسكرية، والمالية. في ظلّ موقف مفيد كهذا، لعب وفد النظام في جنيف ببطء؛ ليضمن أن المعارضة لن تحصل إلا على فائدة ضئيلة من المشاركة في هذا المؤتمر.

عسكريًا، يستفيد الجيش العربي السوري من دعم قوات الدفاع الوطني شبه العسكرية المهنية المتزايدة، وعدد لا يحصى من الميليشيات الشيعية المحلية، والأجنبية. اتقنت القوات الحكومية فنًا قديمًا من فرض الحواجز، والحصار، والقصف القديم، وبالتالي تجويع المدنيين حتى الموت، وقتل عشرات آخرين بنيران المدفعية، والبراميل المتفجرة سيئة السمعة ذات التأثير المدمر المتزايد.

تشجع حكومة الأسد بثقة انقسام المعارضة من خلال الوسائل المباشرة، وغير المباشرة. ولكن، من دون قوات الدفاع الوطني، حزب الله، وكثرة الميليشيات الشيعية، ما كان الجيش العربي السوري ببساطة ليحصد هذا الموقع المفيد نسبيًا الذي يحتله اليوم.

الميليشيات الموالية للحكومة: في المراحل الأولى من الصراع السوري، نسبت تقارير النشطاء، والإعلام هجومات "البلطجية" المسلحة إلى ما عُرِف بميليشيات الشبيحة – أي عصابات من العلويين، وأحيانًا الشيعة الذين أخذت أهدافهم الإجرامية أساساً أكثر ميلًا للسياسة. في حين استمر ذلك بالتأكيد، كما زعم البعض، وغالبًا بعلم أفراد قوات الأمن المتمركزة، وتوجيهها، ظهرت التنظيمات المسلحة القائمة على أسس طائفية أكثر قيمة من الناحية الاستراتيجية منذ أوائل العام 2013.

كشف تقييم الأداء العسكري السوري في العام 2012 أن الجيش العربي السوري يفتقر إلى القدرة العددية، والقيادية التي تتيح له الحفاظ على فعالية العمليات في المحافل المحلية العديدة. ابتداءً

من منتصف العام 2012 وحتى أواخره، بدأ الجيش العربي السوري بدمج – مع تدريب واضح، ومساعدة تنسيقية من الحرس الثوري الإيراني – "اللجنة الشعبية" القائمة لميليشيات الحماية المحلية لتتحول إلى قوة منظمة، ومدربة شبه عسكرية تمنح أفرادها أجرًا، قوات الدفاع الوطني.

لذاك، أصبحت قوات الدفاع الوطني جزءًا حيويًا من البنية العسكرية السورية، وغالبًا ما كانت تُستخدم للحفاظ على الأراضي التي تسيطر عليها، ولتعزيز الهجمات المنسقة.

أدى حزب الله اللبناني دورًا بارزًا في الصراع منذ أواسط العام 2012 وأمّن للنظام موقفًا مميزًا. بيّن نشر وحدات من قوات حزب الله الخاصة؛ بغرض توجيه هجوم الجيش العربي السوري، وقيادته في القصير في مايو، ويونيو 2013 قيمة القوة التي شددت تشديدًا عظيمًا على التدريب على حرب المدن في السنوات الأخيرة. علاوةً على ذلك، استفاد الجيش العربي السوري كذلك من تكتل الميليشيات الشيعية الكبيرة على نحو متزايد، والتي يمكن ربط عددٍ كبير منها بالمنظمات التي سبق، وظهرت في العراق، كعصائب أهل الحق، كتائب حزب الله، كتائب اليوم الموعود، وتنظيم بدر.

وقد اتسع نطاق هذه القوات من حيث القوى البشرية، والانتشار الجغرافي على مدى الأشهر 9 – 12 الماضية وبدت، وكأنها تتمتع بمصادر تمويل متينة.

المعارضة الخارجية: يُعتبر الائتلاف الوطني السوري الهيئة الرئيسة التي تمثل مختلف فصائل المعارضة السورية خارج سوريا. أضعف الاقتتال الداخلي الدائر بين الجماعات المتنافسة الائتلاف على الصعيد الهيكلي. واحتدم الاقتتال الداخلي؛ ليصل إلى ذروته في 18 يناير 2014 حين قاطع ثلث أعضائه التصويت على المشاركة في محادثات جنيف الثانية. ونتيجةً لذلك، انسحب المجلس الوطني السوري الخاضع لسيطرة الإخوان، والذي يُعتبر أحد مكونات الائتلاف الوطني السوري الرئيسية، من الائتلاف.

نتج الاقتتال الداخلي عن الصراعات القائمة بين مؤيدي الفصائل الإقليميين، أو الاختلافات المتضاربة حول مستقبل سوريا. يعاني الائتلاف الوطني السوري أيضًا نقصًا شبه كامل في الدعم من الجماعات الإسلامية الكبرى المشاركة في القتال داخل سوريا، في حين تبدو الفصائل الأكثر اعتدالًا، وقومية حاليًا حيادية فيما يتعلق باتخاذ موقف بشأن الائتلاف الوطني السوري.

الجيش السوري الحر/ مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر: لم يمثل الجيش السوري الحر تنظيمًا عسكريًا خاصًا لفترة طويلة. اليوم، يمثل اسم الجيش السوري الحر أكثر من مجموعة، أو مظلة تضم أساسًا الوطنيين، وغالبًا المجموعات العلمانية.

أما المجلس العسكري الأعلى، فيمثل نفسه كبنية متماسكة مع عناصر محلية، إقليمية ووطنية تحت قيادة سليم إدريس. إلا أن البنية القيادية، لم تثبت نفسها على الصعيد الوطني، وبدا إدريس موزعًا للمساعدة العسكرية أكثر من كونه قائدًا. تميّز مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر ببعض الروابط المتينة بالوحدات المجاورة للحدود الجنوبية مع الأردن، والحدود الشمالية مع تركيا إلا أن المجموعات المشاركة في ساحة المعركة غالبًا ما كانت تعمل عسكريًا على عاتقها استنادًا لديناميات محلية.

عانى مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر ضربةً أضعفت عزيمته حين تأسست الجبهة الإسلامية المنافسة في 22 نوفمبر 2013. وكانت ثلاث مجموعات من مجموعات الجبهة الجديدة السبعة (لواء التوحيد، صقور الشام، وجيش الإسلام) قد شملت سابقًا قسمًا هامًا من قوة مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر العسكرية، لا سيما في شمال سوريا. ومما لا شكّ فيه أن الانشقاق هذا حثّ تقريبًا قوات أخرى من مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر في إدلب، وحلب على تشكيل مجموعاتها الخاصة تحت راية المجلس بعد بضع أسابيع: جبهة الثوار السوريين، وجيش المجاهدين على التوالي. كانت ثقة المجموعتان بالجبهة الإسلامية متزعزعة (جيش المجاهدين على نحو أقل)، وكانتا كذلك مناهضتين بشدة لداعش. مؤخراً في 14 فبراير، شكلت 49 مجموعة محلية صغيرة في جنوب سوريا الجبهة الجنوبية، التي يُقال أنها تحافظ على روابط مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر بـ"غرفة العمليات" (المدعومة من ممثلي الجيش، والمخابرات من مختلف دول الأعضاء في أصدقاء سوريا البالغ عددهم 11) في عمّان، الأردن.

يشير دمج القوى المعتدلة تحت عدة جبهات إقليمية – وجميعها تُقيم روابط واضحة مع القيادة، والتنظيمات المرتبطة بمجلس القيادة العسكرية خارجيًا– إلى وجود رعاية من دولة خارجية لا سيما المملكة العربية السعودية، تسعى إلى إعادة تنشيط المنظمة. وتُعد إقالة زعيم مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر سليم إدريس مؤخراً في 16 فبراير، التي اعتُبِرت على نطاقٍ واسعٍ إجراءً غير فعال، واستبداله بقائد الجبهة الجنوبية الرئيسة، عبد الإله البشير (الرئيس الحالي لمجلس

القيادة العسكرية العليا للجيش الحر في محافظة القنيطرة)، دليلاً آخر على أن هذه الخطوة ترمي إلى تعزيز مجلس القيادة العسكرية العليا للجيش الحر. يعطي تعيين البشير الأولوية للقوات الجنوبية على تلك التي كانت مرتبطة سابقًا بإدريس في الشمال، ويواجه رغبةً أشاع عنها أنصار المعارضة الخارجية منذ فترة طويلة بتشجيع حملة منسقة تنطلق من الجنوب نحو دمشق.

الجبهة الإسلامية: تمثل الجبهة الإسلامية المنظمة العسكرية الوحيدة، والأقوى التابعة للمعارضة في سوريا، مع ما يقدر بنحو 50 ألف – 60 ألف مقاتل في 13 من أصل 14 محافظة سورية. ويدعو ميثاق الجبهة الإسلامية السياسي لإقامة دولة إسلامية في سوريا تحكمها الشريعة، إلا أنه غامض في ما يتعلق بتفاصيل ما قد يتضمن ذلك فعلًا. في حين أن مختلف المجموعات المكوِّنة السبعة في الجبهة الإسلامية هي بالتأكيد مجموعات إسلامية، فأنها تمثّل في الحقيقة شريحة واسعة نسبيًا. وقد دمجت مجموعة واحدة، لواء الحق، فعليًا وحدات محلية في مدينة حمص تتراوح أيديولوجياً بين السلفية المتشددة والمعتدلة الصوفية، في حين أن مجموعة أحرار الشام تُعلن عن نفسها كسلفية العقيدة، تنسق بشكلٍ مكثفٍ مع جبهة النصرة المرتبطة رسميًا بتنظيم القاعدة في سوريا، وتضم قيادتها عضو سابق في تنظيم القاعدة، يُفترض بوجود علاقة شخصية تربطه بأسامة بن لادن، وأيمن الظواهري.

نظرًا لهذه الوقائع، تبدو الجبهة الإسلامية منظمة تترقب بحذر الأشهر المقبلة. ومن المرجح أن تجعلها ميولها العسكرية المطلقة لاعبًا لا مجال إطلاقًا للشكّ في أهميته بالنسبة للمعارضة السورية بأكملها.

من هنا لا شكّ أن أي سياسة تعتمدها المعارضة، وتتجاهل فيها الجبهة الإسلامية، أو تعارضها ستفشل بالتأكيد في ميدان القتال. إلا أن الجبهة الإسلامية لم تعمل بعد على ضم بنى المجموعة المُكوِّنة السبعة في منظمةٍ واحدة. في يناير، بدت الانقسامات واضحة في بيانات الجبهة العامة المتضاربة. وظهرت الاختلافات كذلك جلية بين المجموعات المكونة للجبهة الإسلامية حول ما إذا كانت ستعترف بالمعارك مع داعش، وتدافع عنها علنًا، وبالتالي تشير إلى أن اتساع الأيديولوجيات داخل الجبهة الإسلامية يمكن أن تشكل نقطة ضعفٍ.

جبهة النصرة: إنها المجموعة الرسمية التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا، ولاعب استراتيجي ذو أهمية كبيرة داخل المعارضة المسلحة في سوريا. رغم العلاقات المعترف بها مع تنظيم القاعدة،

أثبتت جبهة النصرة منذ منتصف العام 2012 وحتى أواخره مستوى ملحوظًا من البراغماتية في المسائل الدينية، والسياسية، والعسكرية.

لقد أثبتت قواتها العسكرية باستمرار مستويات من الاحتراف، والقيادة الفعّالة، والسيطرة مكنتها من التفوق على الجماعات المعتدلة نسبيًا. بينما تمثل جبهة النصرة منظمة أصغر حجمًا عدديًا بالمقارنة مع معظم أعضاء الجبهة الإسلامية، فإن مقاتليها غالبًا ما يمثلون شيئا أقرب منه إلى القوات الخاصة، مضطلعةً بدور مواجهة بارز في العمليات الهجومية. ولما كانت المجموعة تحارب بفعالية، ولا تسعى للسيطرة على المعارضة، فعلاقتها تبدو صحية مع مختلف الجماعات المتمردة السورية بدءًا من المعتدلة وصولًا إلى السلفية. إن توفير الخدمات الاجتماعية على نطاق واسع للسكان المدنيين من خلال قسم الإغاثة، وتجنيب صفوف المدنيين تكبد الخسائر في مناطق معادية للأسد ساهمت في منح المجموعة هذه دعمًا شعبيًا هائلًا.

وقد رسخت جبهة النصرة وجودها بشكلٍ ملموس في سوريا، وستستمر في أداء دورٍ بارز في الصراع. وقد وسعت جبهة النصرة كذلك عملياتها في لبنان من خلال جناحٍ خاص يُعرّف أفراده عن أنفسهم بأنهم جبهة النصرة في لبنان التي تتعاون تعاونًا وثيقًا مع كتائب عبد الله عزام المرتبطة بتنظيم القاعدة. يمكن القول أن جبهة النصرة تمثّل أصول تنظيم القاعدة الأكثر قيمة، وهي على هذا النحو ستستمر في تلقي الدعم المالي من الجهات المانحة الخاصة في الخارج الرامية إلى المحافظة عليها على المدى الطويل.

الدولة الإسلامية في العراق، والشام (داعش): منذ نشأتها كمجموعة مسلحة فاعلة في سوريا في أواخر أبريل/ أوائل مايو 2013، ركزت داعش على السيطرة على المناطق في شرق، وشمال سوريا، وعلى المحافظة على هذه السيطرة لا سيما في المناطق المجاورة للعراق، وتركيا. ومع تقدم ذلك، بدأت داعش بإنشاء نقاط مركزية أكثر في الداخل السوري في حماه، وحمص، والمناطق المحيطة بدمشق، وفي شكلٍ ملحوظ في القلمون، والغوطة الشرقية. ومع توسع نفوذها، وارتفاع مستوى الثقة بها، بدأت داعش بفرض قوانين سلوكية قاسية، وخطفت معارضيها، وسجنتهم وأعدمتهم في بعض الأحيان. وشاعت عمليات قطع الرؤوس العلنية، والأهم من ذلك، ارتفعت حدة أعمال العنف ضدّ المجموعات المتمردة الأخرى.

منذ أن تحوّلت الجماعات الإسلامية الأخرى عن داعش في أوائل يناير 2014 بسبب سلوكها السيئ، فقدت داعش أراضي في شمال سوريا إلا أنها وحدت سيطرتها في سلسلة من البلديات الرئيسة التي كانت تسيطر عليها سابقًا مع آخرين. حافظت داعش على سيطرتها على مدينة الرقة (عاصمة المحافظة الوحيدة التي لا تخضع لسيطرة الحكومة)، والعديد من البلديات الرئيسة في شمال حلب، وأجزاء كبيرة من ريف الرقة، وأجزاء من جنوب الحسكة. وردت المجموعة أيضًا من خلال تنفيذ عمليات تفجيرية عبر سيارات مفخخة، وانتحاريين استهدفت المنشآت الرئيسة للجبهة الإسلامية، وجبهة ثوار سوريا، وجيش المجاهدين، ونقاط التفتيش التابعة لهذه المجموعات، وشخصياتها القيادية. رغم أن حدة هذه الهجمات الانتقامية قد تتقلب مع مرور الوقت، إلا أنه من غير المحتمل أن تتوقف تمامًا.

رغم انكار تنظيم القاعدة لأي علاقات تربطه بداعش انكارًا كليًا، لا تزال المجموعة منظمة تتمتع بتنظيم عسكري فعال، وتستفيد من مصادر تمويل موثوق بها. ورغم عزلتها المتزايدة في سوريا، من المرجح أن تبقى داعش قوية في محافظة الرقة، وشمال حلب، وشرقها، ما لم تقرر الجبهة الإسلامية شنّ هجوم مكلفٍ ضدها. لن تكون الجماعات المتمردة الأخرى قادرة على التصدي بفاعلية لقوات الحكومة السورية ما دامت داعش تحافظ على جناحها الخاص.

يشير ذلك إلى أن مستويات العدائية المتزايدة بين داعش، وجبهة النصرة ستكون حاسمة في تحديد مستقبل داعش في سوريا. تحتفظ جبهة النصرة بدعم شعبي مهم على الأرض بين المدنيين، والمجموعات المتمردة الأخرى، الأمر الذي قد يلحق ضررًا شديدًا بداعش في حال توسعت المعارك بين جبهة النصرة، وداعش لتتحول إلى حملات أكثر إقليمية، وحتى وطنية.

الخاتمة:

قد تثير مجموعات الأطراف المشاركة في النزاع السوري ودوافعها الحيرة، ولكن في نواحٍ كثيرة اتسمت الأيام الأولى من الحرب الأهلية السورية بالتعقيد. وكان عدد من دوافع القوى الفاعلة غير واضح، وكانت القوات المسلحة التابعة لطرفي النزاع غير مكتملة، مما جعلها ليّنة. أما اليوم فقد باتت مصالح المتحاربين، وأشكالهم أكثر وضوحًا. ولكن، والوضوح في هذه الحالة لا يشكل سببًا يدعو للتفاؤل بإمكاينة انتهاء الصراع سريعًا. اليوم بات إخضاع ما كان بالإمكان ذات يوم تحديد شكله، وقولبته أقل احتمالًا.

الفصل الثالث

الحرب الإعلامية

الإعلام:

مما لا شكّ فيه أنّ للإعلام تأثير واضح في تسيير مجريات الأمور في الحياة العامة، فبعد أن تطورت التكنولوجيا أصبحت وسائل الإعلام متوفرة في كلّ وقت وحين، ولا يمكن لأي شخص أن يبتعد عن تأثيرها سواءً كانت تلفازًا، أم مذياعًا، أم صحيفة، وقد تم إطلاق مصطلح السلطة الرابعة على وسائل الإعلام في المجتمعات نتيجة تأثيرها القوي في اتخاذ القرارات، فهي فعليًا لا تتخذ القرار كما في السلطة التنفيذية، ولا تستطيع تشريع القوانين، والأنظمة كما في السلطة التشريعيّة، إلا أنّها من خلال تسيير وجهات النظر للمواطنين تضغط على بقيّة السلطات للتشريع، واتخاذ القرارات، ومن الأدوار التي لعبت فيها وسائل الإعلام دورًا بارزًا في التأثير في الناس ما يسمى بالحرب الإعلامية.

مفهوم الحرب الإعلاميّة:

الحرب الإعلاميّة هي عبارة عن بث الأفكار، والإشاعات، والمعلومات الخاطئة، والمغلوطة، وغير السويّة بين الناس من خلال الفضائيات، والإذاعات، والإنترنت، والجرائد؛ بهدف تغيير وجهات النظر، وتسييرها باتجاه ما هو مطلوب منها، وتحقيق التضليل الإعلامي، والتلاعب بالرأي، والوعي العام، وسلوك المواطنين، وتعدّ الحرب الإعلاميّة من أخطر أنواع الحروب نظرًا لتأثيرها في نفسيّة متلقي المعلومة، وعمل غسيل دماغ لما يؤمن، ويقتنع به مما يجعله يغيّر الواقع اتباعًا لما تلقى، وترسّخ في عقله، كما أنّها تعدّ حربًا باردة لا يمكن التنبؤ بنتائجها، ونهايتها، وفي بعض الحالات لا يمكن معرفة المسؤول عنها، كما تأتي الحرب الإعلاميّة مرافقة لبقية أنواع

الحروب سواء كانت عسكريّة، أم اقتصاديّة، أم سياسيّة، وقد تكون في حالة السلم بهدف فساد عقول الشباب، والأمة، ونشر الفوضى، والإرباك بين صفوفهم.

آثار الحرب الإعلاميّة:

تؤدي الحرب الإعلاميّة إلى التأثير في نفسيّة المستمع، وتثبيط عزيمته، وسلب الإرادة منه، وبالتالي سهولة السيطرة عليه، فكم من حرب تم تحقيق النصر فيها؛ بسبب ما تم بثه من أفكار، ومعلومات بين الجنود، ونظرًا إلى أهمية الحرب الإعلامية امتلكت القوات العسكرية محطات خاصة بها لتبث ما تريد من معلومات بين المواطنين، وبين الجنود للتحكم في سير الأمور، ومن جهة أخرى قد يكون للحرب الإعلامية نتائج إيجابية من خلال رفع معنويات المواطنين، والجنود في أرض المعركة، وبالتالي حماية أموالهم، وممتلكاتهم من سيطرة العدو عليها، لكن في هذه الحالة يجب توخي الدقة، والحذر عند بث المعلومات؛ لأنّها يجب أن تكون حقيقيّة، وقريبة من الواقع حتى لا تكون النتائج سلبية عند معرفة المواطنين، والجنود بالحقيقة، والواقع، لذلك على الأمة، والدول، والمجتمع التنبّه إلى خطورة هذه الحرب الإعلاميّة، وترسيخ المبادئ، والقيم، والأفكار السليمة عند المواطنين، والجنود العسكريين؛ لتحصينهم ضد أي هجمات قد تكون مستترة تحت غطاء العلم، أو التثقيف، أو المساعدة من الخارج.

الحرب الإعلامية، والنّفسية، و أثارها المتوقّعة على الشرق الأوسط

يسعى ارتباط الحرب الإعلامية بالحرب النفسية إلى أزمة عامّة على نحو متزايد. والهدف هو في الواقع تهديد النّظام القائم الاقليمي.

الحرب الإعلامية بجنب الى الحرب النّفسية تُعرف كدعاية ضدّ العدو في دعمها للعمليات العسكرية، وفقا لإدورد بيرنيز. وبالتالي الدعاية، والرعب هما كلاهما من الأدوات الرئيسية للحرب النّفسية.

تخلق الحروب الإعلامية عادة تفاوتا بين الحجم الفعلي للتهديدات الإرهابية, أو أحداث مماثلة، و تصوّرها العام (Dobkin، 1992). و يبدو أن "قوة التّسريبات"، بعد إنشاء موقع "ويكيليكس"، كانت وسيلة مشجعة للجمهور المتشوق للديموقراطية، وكشف حقيقة الظّلم، وخيانة الأمانة. وحاليا تظهر التسريبات جوانبها السّلبية في نشر صور قذرة لدلول، و أحداث غير مؤكّدة.

خفّف إنشاء موقع "ويكيليكس" قدرات الحكومات على الرّقابة الإعلامية، وإغفال أخبار معيّنة. و هذه مرحلة مهمّة لأنّ الدول أصبحت مجرّد عامل فاعل في سيناريو أكبر. و في العصر الحاضر، تتأثر التصريحات الرسمية أيضا بصيغة الأخبار.

و قد تمكّنت جميع التسريبات، وكذلك التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى وسائل الإعلام التقليدية مثل: الإذاعة، والتلفزيون، والصحافة، من زراعة نشر الحماس في الجمهور العام، أو الحكومات. من خلال هذه التسريبات في حشد تفاعل الأفراد في المجتمع كذلك الحكومات مما زاد من تضخيم الأمور إلى مستوى درامي (Manahan، 2010) و مما ولد مفاهيم مثل "العداوة" و "الصداقة" غالبا من علاقات إعلامية افتراضية بدلا من علاقات واقعية بين دولة، ودول.

يعَتبر الباحث الأمريكي نعوم تشومسكي وكالات الأنباء مؤسسات مرتبطة تماما بالحكومات، وبالتالي يعتقد أن الحكومات نفسها لا تزال مسؤولة عن المعلومات المنتشرة (Di Maggio, 2008، ص 164).

و استثبتت مسؤولية الحكومات عن انتشارالمعلومات، وتزويرها مثل ما فعلت الحكومة الأمريكية في حروب العراق، وأفغانستان، في تداولها مصطلحات مثل: "حروب نظيفة" أو "حروب ضرورية" أو "حروب الاختيار" لإخفاء مصالح الأنظمة الحكومية، أو لتوصيف العدو "بالإرهابي"؛ لنزع الشرعية عنه.

تسييس وسائل الإعلام عامل طبيعي في حالة إعلام الأحزاب، أو الجمعيات السياسية، كما في حالة قناة "مكملين" في تركيا التي نشرت التسريبات المصرية المؤخّرة، أو كما في حالة قناة "الجزيرة" المشهورة التي تستمرّ بدعايتها لصالح جماعة الإخوان المسلمين: هي حالة مثالية لتسوّس وسائل الإعلام في حين أن يجب عليها تثقيف الجمهور على التفكير المستقلّ (Schechter، 2003).

و يجب أن تتحمّل وسائل الإعلام دورها المسؤول كجزء لا يتجزء من مشروع، ودور تربوي، وصادق.

في الواقع، على مر التاريخ، بعض المجازر مبالغة، أو مقلّلة في التقدير، كما هو الحال في سوريا، حيث يقولون بسهو، وغرّة أكثرية مشاهدي الأحداث الدّموية أن لا يفهموا ما يجري هناك.

وفي سياق المسؤولية الإعلامية تبرز أيضا أهمّية التاريخ في متابعة العدالة الاجتماعية، ورفاهية الشّعب.

و تلفت الحرب الإعلامية انتباه الناس إلى جوانب معيّنة إهمالا جوانبا أخرى. إذا يتجوّب أن وسائل الإعلام تخلق أحداث العالم، ولا تصوّرها ببساطة، من اللاّزم أن الصحفيون يتحمّلوا مسؤوليتهم بقدر متشابه للسياسيين, مع أن وسائل الإعلام ليست صاحبة القرار. وفي هذه المسألة قدّم جيك لينش ـ عالم بريطاني مقيم في أستراليا ـ فكرة "صحافة السلام" (Lynch ,2011). فعلا بإمكان الطريقة التي نختارها لكتابة الأخبار أن تحسّن الأمور على الأرض. هذا صار حاليا رأيا منتشرا.

على سبيل المثال, وفقا لبعض صناع الرأي، خسرت أمريكا الحرب في فيتنام؛ بسبب الحملة الصحافية اللتي أدت إلى تثبيط عزيمة الجنود على الأرض ,(De Angelis, 2007).

و في أيامنا هذه، أهمّية الحرب النفسية كاستراتيجية عسكرية لها دلائل عديدة. مثلا: دمج الجيش البريطاني ضمن صفوفه ٢٠٠٠ جندي لإجراء حرب نفسية؛ لكي يتقن نوعا جديدا من أساليب الحرب.

وهكذا، الأمن، والقانون، والنظام، والتنمية هي مترابطة على نحو متزايد مع القوة العسكرية. وقد كان هذا الارتباط واضحا منذ أعلن جورج بوش الحروب في العراق، وأفغانستان، واستراتيجية "كسب القلوب، والعقول" في النضال الأمريكي للديموقراطية في الشرق الأوسط.

الحروب الإعلامية, السياسة، والمفكّرون:

كثيرا ما تلجأ التيارات السياسية الشرعية، أو غير الشرعية إلى آراء بعض المعلّمين في حروبها الإعلامية. مثلا يعتبرالشيخ يوسف القرضاوي المنظر الأول لجماعة الإخوان المسلمين. و كان القرضاوي قد اتّهم الإمارات العربية المتّحدة في فبراير ٢٠١٤ بموقفها المعاد للجماعات الإسلامية في الإقليم, ولذلك رفض هوية دولة الإمارات الإسلامية. فعلا الهبت تصريحات القرضاوي، والدعم القطري له الحرب النفسية على الإمارات.

على نحو مماثل, في الماضي, أشار أنصارالغزو الأمريكي في العراق إلى المواقف السياسية لمثقّفين علمانيين غرببين مثل: كريستوفر هيتشنز. و راجع داعمو القضية الفلسطينية المثقّف العلماني المعروف نعوم تشومسكي بالإضافة إلى مرشدين روحيين عديدين. وهناك كثير من الأمثلة التاريخية الأقدم مثل استغلال فكرالفيلسوف الألماني فريدريش نيتشه في مشروع النّازيين السياسي في الثلاثينات.

في هذا الصدد, رفض بعض المفكّرون، والمرشدون تشويه فكرهم في خدمة جماعات سياسية معيّنة. مثلا: صرّح علي الحسّيني السيستاني ـ مرجع إيراني في العراق ـ اعتراضه على استخدام أفكاره من قبل الأحزاب العراقية في سياسياتها الإسلامية, ولذلك انتقدت أحزاب الشيعة، والسنّة العراقية آية الله السيستاني تكرارا.

حروب إعلامية، ونفسية في التاريخ:

و سوف أقدّم الآن أمثلة ترتيبا زمنيا من التاريخ خلال القرنين العشرين، والحادي والعشرين عن أمثلة عن حروب نفسية، وإعلامية في الإطار الدولي وكذلك في الشرق الأوسط.

في الحروب العالمية الأولى، والثانية استخدمت الحرب النفسية لإقناع العدو على استسلامه، وعلى هيمنة الدول الأوروبية في العالم. صنعت وسائل الاعلام الموافقة الوطنية في الدول الأروبية؛ لدعم جهودها العسكرية في القرن العشرين (دي إنجيليس، 2007). بينما في الحرب العالمية الأولى استخدم الراديو كأداة أولية في الحرب النفسية، والإعلامية، في الحرب العالمية الثانية فازت بريطانيا على ألمانيا من خلال السينما، والصحافة.

في وقت لاحق, صارت حرب إعلامية أثناء الحرب الباردة بين الاتّحاد السوفياتي، والولايات المتّحدة الأمريكية، حيث كانت تهدف أمريكا إلى تدمير الشيوعية، وإلى تمثيل ذاتهاها كبطل للحرّية العالمية.

و زوّرت الحكومة العراقية الأخبار خلال حرب الخليج الثانية (١٩٩٠ ـ و١٩٩١)؛ لأنّها صوّرت القوات المتعدّدة العالمية كهاجمة العراق في طريقة وحشية إهمالا عدوانها على الكويت مع الأدعاء بأن الأرض الكوايتية عراقية من منظور تاريخي (Taylor، 1992).

و في الانتفاضة الفلسطينية الأولى في عام ١٩٨٧ فاز الفلسطينيون في الحرب الإعلامية؛ لأنّهم نجحوا في نشر الصورة الواقعة غير قابلة للشك كضحايا الاحتلال الإسرائيلي في طريقة لا يمكن تمييزها. بينما في الانتفاضة الثانية في عام ٢٠٠٠ فاز الإسرائيليون في الحرب الإعلامية؛ لأنّ وسائل الإعلام الاعلامية نجحت في نشر صورة عن الفلسطينيين بأنّهم غير واقعيين، وهم من يرفض عملية السّلام؛ على وجه الخصوص, بعد اتفاقيات كامب ديفيد في عام ٢٠٠٠ تُصوّر عملية السلام كمُستحيلة، والدولتان كمستمرّة في نزع الشرعية عن العدو (De Angelis, 2007).

و صُنعت الحاجة الملحّة المذكورة إلى حرب في أفغانستان، والعراق (٢٠٠١ و ٢٠٠٣) من خلال الحرب الإعلامية، ودعاية الولايات المتحدة الأمريكية (Schechter، 2003).

تعارض العلاقة القوية بين حزب الله اللبناني، وإيران، وسوريا، التي أنجبت ما يسمّى حاليا "محور المقاومة"، القوى الإقليمية الأخرى كما لو هذه شكّلت كيانا متجانسا. لذلك ولّدت الحرب الإعلامية، وهم قطبين سياسين فقط في الإقليم.

و في العقد الأخير بدأ الرئيس تشافيز في فنزويلا حربا إعلامية، والثورة البوليفارية ضدّ الإمبريالية الأمريكية, والتي تهدف إلى الاشتراكية العالمية، وزعزعة استقرار "العدو البرجوازي" (Manwaring، 2012).

يتّهم رئيس تركيا أردوغان من ٢٠١٣ وسائل الإعلام الغربية بحرب نفسية ضدّ الحكومة التركية؛ بسبب الصحفيين السجناء، قائلا أن هذه المسألة تعتمد على سلطة القضاء المستقلّة بحد ذاته.

استخدمت قوات الدفاع الإسرائيلية وسائل الإعلام الاجتماعية مثل: تويتر، الفيسبوك, اليوتيوب، وإينستاجرام في حربها النفسية جنبا على عمليتها العسكرية الأخيرة في قطاع غزة في أغسطس ٢٠١٤.

والحرب الإعلامية ضدّ مشروع الطاقة النووية الإيراني متواجدة منذ حين، وما زالت منقوشة، وحولت انتباه الجمهور من إسرائيل التي أيضا تمتلك المواد النوية دون عائق.

ونشاهد حاليا الحرب الإعلامية المحتدمة ما بين النّظام السّوري، والمعارضة السياسية المتعدّدة اللتي تروّج فيديوات عارضة عنف العدو لدعايتها، ونزع الشرعية المتبادل عن بعض من

خلال وسائل الإعلام الاجتماعية.

وأخيرا, واحد مثال حديث من حرب إعلامية هو: التهويل، والإخطارية المنتشرة في وسائل الاعلام الإيطالية عن الجهاديين في ليبيا، وقربهم الجغرافي الحاضر من السّاحل الإيطالي. فعلا سبّب تركيز الأخبار عن القرب الجغرافي للجهاديين شعور قلق نفسي، وتهديد في الجمهور, و يصنع الوهم أن البُعد لا يهدّد خلافا عن القُرب.

وفي ضوء هذه الأمثلة تستطيع الحرب الإعلامية أن تولّد "حرب نفسية" على الجمهور, ويهدف هذا نوع الحرب إلى تعزيز الفوضى، وعدم الاستقرار على المستوى النفسي في المجتمع. إنّها ليست استراتيجية فعّالة للاعتقاد بأن السرد المضاد حول معلومات غير مؤَكّدة يكون كافيا، أو مفيدا، وليس حتى لتصنيع دلائل جديدة؛ لمعارضة الشائعات المنتشرة.

الخوف العام في كلّ الحلات نابع من القناعة المبرّرة بأن وسائل الإعلام تخلق الحقائق، ولا تعكس الواقع ببساطة.

ما ينبغي تجنبه في المستوى الاجتماعي هو: التسبب في الشعور بالتهديد، من ناحية أمنية، أو من حيث العزلة الإقليمية، وهو ما حاول تجنّبه كلّ بلد في تاريخ الشّرق الأوسط طوال العقود.

يفكّر فهد الشليمي، محلّل سياسي لمنتدى "سلام، وأمن الخليج", أن لا ينبغي على الدول بناء العلاقات الإقليمية، والاستراتيجية استنادا على القضايا الشّخصية. هذه هي الوسيلة التي من خلالها الحرب الإعلامية لن تؤثر النّاس، والأمن في طريقة مباشرة؛ لأنّها تعمل على صنع فجوة بين انتشار المعلومات المزعومة، والواقع اليومي. وإذن يجب على العلاقات العالمية أن تكون مبنية على أساس المصالح المتبادلة.

الخطر الأكبر هو: أن وسائل الإعلام تهمل وظيفتها الأصلية تدريجيا بينما كانت وظيفتها تمثيلا دقيقا، وعلميا للأحداث الماضية، والمعاصرة, وإبلاغ المجتمع، فإن دور وسائل الإعلام أصعب اجتماعيا.

وتؤثرالفجوة الدّاخلية في التفكير، والإيديولوجيا في المجتمعات العديدة على الثقة المتبادلة الإقليمية أيضا.

شهدت السنوات الأخيرة متغيرات هائلة في العلاقات الدولية، وتفاعلاتها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية، والاجتماعية، ولعل أبرز التطورات المتسارعة كانت في تقنية، وتكنولوجية وسائل الإعلام، ونظم الاتصالات، والميديا الإلكترونية المتطورة جدا، وقد أصبح العالم قرية كونية صغيرة، ودخلت قوة وسائل الإتصال، والإعلام كقوة جديدة من القوى الأساسية للدول الحديثة ليست أقل أهمية من القوتين العسكرية، والاقتصادية، بل سبقتها في تطبيقاتها.

والحرب الإعلامية بين الدول ليست حديثة العهد، فقد استخدمها الأمريكيون في كل حروبهم التي خاضوها ضد دول كانت آمنة، ومستقرة، فهم يروجون بكثافة لأمر ما قبل شن حروبهم، بالإضافة إلى اختلاق أسباب، ومبررات أصلا لا وجود لها على الأرض، ومن ثم يبدأون بالتدخل من أجل حلها، كما فعلوا في العراق، وفي أفغانستان، وليبيا، ويوغسلافيا، وسوريا، وتحت ذرائع مختلفة من أجل الهيمنة على العالم، وتحقيق أهدافهم السياسية.

وسخرت الدول الغربية بقيادة أمريكية قواها الإعلامية في خدمة مشاريعها التوسعية العسكرية، والاقتصادية، وغيرها نحو الشرق، وسلطت أبواق فضائياتها لخلق ظروف سياسية، وثقافية، واجتماعية مواتية لاستمرار نفوذها، ونهب ثروات، وطاقات تلك البلاد بدون آية خسائر تذكر. كما كلفت مؤسسات بكاملها بتأليف شعارات لهذه الدولة، أو تلك كما فعلوا في ما يسمى (بدول الثورات البرتقالية) كأوكرانيا، وجورجيا، ومن ثم استخدموا شعارات أخرى في دول ما يسمى الربيع العربي.

ولم تتوقف الآلة الإعلامية الغربية، والأمريكية عند هذا الحد بل استمرت، وذهبت إلى تصوير مقاطع فيديو لأطفال تحت الأنقاض، أو لمدرسة تم تدميرها في استوديوهات، وفي دول بعيدة عن أرض المعركة، وبعد ذلك اتهمت روسيا بتنفيذها، كما اعتمدت فضائيات كثيرة على شهود عيان لا وجود لهم في مكان الحدث.

وقد تحدث المستشرق الروسي فياتشيسلاف ماتوزوف: عن أنه لا يمكن لأي تنظيم إرهابي أن يستمر لو لا الدعم المادي، والإعلامي، ورعايته من دولة ما، وقد أتى على سبيل المثال بتنظيم "داعش" الذي يلقى دعما إعلاميا، وماديا، وأن المؤسسات الغربية روجت (للثورات البرتقالية)، ومن ثم لما يسمى بالربيع العربي من أجل قلب أنظمة حكم في الدول التي تشهد أحداثا دامية في الشرق الأوسط، وأضاف أنه منذ عام 2011 عندما بدأت ما يسمى بالثورات في كل من تونس،

ومصر، وليبيا، وسوريا، واليمن، كيف أصبحت هذه الثورات ممكنة خلال فترة قصيرة من الزمن؟ وقال: إنه هناك قوة كانت تنظم خروج الناس إلى الشارع ضد الحكومات، معتمدة على وسائل إعلام معاصرة، وهذه القوة تستفيد من الصراعات السياسية.

فيما تحدث الصحفي أكثم سليمان: عن دور الإعلام الغربي، وكيف يسيطر على عقول المجتمع، وقال: إن الإعلام يجتاج إلى قصص، وحكايات، وهناك جهات تعطي هذا الإعلام اللاهث خلف الربح المادي ما يحتاجه، فهل يمكن أن نتوقع من هذا الإعلام أن يقف وقفة نقدية؟، ويقول لحظة من أين جاءت هذه الصورة؟، وما مدى مصداقيتها؟، أم أنه سيشعر أنه حصل على ما يريد؛ ليتابع حياته، وبلغة أخرى وسائل الإعلام، والدعاية في وسائل الإعلام فإنه لا يمكن فهمها بعد دخولها في عالم ما بعد الحداثة على طريقة أربيعنيات، وخمسينيات القرن الماضي، "أي اكذب اكذب، وسوف يصدقونك" فهذه نظريات لم يعد أحد يتعامل بها، وما يحدث حاليا هو نظرية المنظومة، أي أنه هناك المحرر، وهناك الموظف، وهناك التقني، وهناك رئيس التحرير، وكل هذا تابع لمنظومة أكبر، ومن يفهم هذه المنظومة المعقدة يمكن أن يسير الإعلام بما فيه، ويكون الصحفي مقتنع أنه حر، ويكون المشاهد، أو المستمع مقتنعا أنه يعيش حالة حرية إعلامية بينما يحرك كل شيء من مكان آخر، وهذه هي الحالة عمليا التي نعيشها في الغرب، والإعلام يستغل في الغرب من أجل الكذب.

وقال المستشرق فياتشيسلاف ماتوزوف: إن الحرب الإعلامية هي واحدة من الحروب المتنوعة التي يخوضها الغرب ضد روسيا، وضد دول أخرى لا تخضع لأوامر أمريكية، وقد رأينا كيف تعرضت بعض الدول العربية التي لم تسير في الركب الأمريكي لحرب إعلامية، وسياسية، وعسكرية، وما الموجة الإعلامية التي تشنها الولايات المتحدة، والغرب ضد روسيا إلا أحد أساليب الحرب، وعلى روسيا أن ترد بسياستها على أرض الواقع، فمثلا: هناك دعم من قبل روسيا الفيدرالية للشعب الأوكراني الذي لا يوافق على أساليب الفاشية، والانقلاب الفاشي الذي حصل في كييف، والدعم الإعلامي يساعد السياسة.

وأتى الصحفي أكثم سليمان بمثال عن الترويج الإعلامي الغربي وبثه لأحداث كاذبة في مدينة حلب عندما كان الجماعات الغربية تسيطر على جزء منها، وقال: كان الإعلام الألماني يسلط الضوء على حلب، وعلى أطفال حلب، ومعاناتهم قبل تحريرها، وكان الإعلام يروج أنه كان يوجد

في الجانب الشرقي من حلب 250 ألف مدني، ويظهرون صورا لأطفال، بينما لم تظهر وسائل الإعلام، ولا صورة طفل واحد في مدينة الموصل العراقية التي يسكنها مليون ونصف مليون إنسان، وهذا يعني أن هناك قضية عندما يظهرون صورة طفل التي وظيفتها ليست التعاطف مع أطفال حلب، ولا الموصل، ولا أي طفل في العالم، إنما صورة الطفل لها وظيفة واحدة ألا، وهي: تعطيل العقل؛ لأن الطفل ينهض فيك غرائز العناية، والاهتمام، والمحبة وما إلى ذلك، من أجل أن يوقف العقل عن التفكير، وطرح الأسئلة، فهل يمكن أن تكون كل المدينة أطفال، ويأتي الطيران الروسي لقتل الأطفال؟!، ولماذا لا يقتل الطيران الروسي أطفالا في سان بطرسبورغ، وهي قريبة إليه إذا كانت هذه من هوايته؟! لذلك تصور أن كل أطفال حلب بعد انتهاء المعركة، واتضاح أن الغرب خسر هذه المعركة، لم نشاهد منذ ذلك اليوم لا صورة طفل، ولا صورة رجل، ولا امرأة، ولا عجوز، ولا أي شيء من حلب، فلم يعد يهتم الإعلام الغربي بأي شيء بحلب، ولا لمرة واحدة.

إذا باستطاعتنا أن نقول إن العمل الإعلامي في الحالة السورية، وغيرها كان يمهد لعمل سياسي، وعسكري، العمل السياسي يتمثل في مجلس الأمن، واستصدار قرارت بالتدخل كما جرى في ليبيا.

الحرب النفسية الإعلامية:

محاولات تضبيب العقول بوسائل الأعلام هي إحدى ظواهر الحرب النفسية، التي يُشكّل توخي تعميمها إلى تغيير وجهات التفكير نحو حالة من الجمود، على ثوابت من المُسلّمات المعلوماتية المغايرة للحقائق، والضارة على أية حال بمعارف الجمهور، المتلقي للإعلام.

مدارس الحرب النفسية الإعلامية:

يمكن من حيث تسمية أنواع المدارس الإعلامية المتخصصة في تصدير الحرب النفسية، ضد خصوم الفكر، أو العقيدة، أو المبدأ، الاستدلال بما يلي:

1 ـ مدرسة الفكر الإعلامي البرجوازي – ومثالها الإعلام الغربي، وتشكل هذه المدرسة بمجموع مؤسساتها الإعلامية المتنوعة، مرتعًا لأظهار الغرب، وكأنه يمثل نهاية المطاف المراد لنيل الآمال المرتجاة منه فقط، وكل ما دونه غير مؤهل لذلك، ولا يمكن أن يكون جديرًا لوضع الحلول المطلوبة، لما يعتري البشرية من مشاكل، واستعصاءات، فأي غرور إعلامي هذا؟!

2 ـ مدرسة الفكر الإعلامي التبعي – ومن صفوف مثالها الإعلام في معظم البلدان النامية، وما تقدمه هذه المدرسة لا يتعدى في أفضل الأحوال من ترديد ببغائي بما يمليه الغــرب عليها، مـــن بلورة مواقف، وأفكار، وتعليقات وآراء، بحيث تُقدّم بطرق نادرة ما يصاحبها إظهار التباين الحقيقي لذا فهذه المدرسة اللاهثة وراء أطروحات الغرب، والمنفذة لأوامره بصورة عمياء، يُلاحظ أن روادها، وقيادييها كوادرها، لم يدعوا شيئًا لخط رجعتهم إلى طريق السوية الإعلامية، حتى أمام بني جلدتهم، بعد أن انسلخوا برغباتهم، وإرادتهم عن مجتمعاتهم.

3 ـ مدرسة الفكر الإعلامي المتلاعب – ومن مثالها الإعلام الانتهازي غير الهادف، ويمكن إصدار التقييم الأولي على هذه المدرسة المستفيدة ماليا، والحاصلة على وجاهة تافهة، واللامفيدة للجمهور المتلقي للإعلام، بأن المجازفة بالسمعة هي أبرز سمة تجمع بين الإعلاميين العاملين فيها، أولئك المفتقرون للكثير من التطلع الواعي، الذي تُبنى عليه موجبات، وغايات الرسالة الإعلامية السامية.

سلبية الإعلام حرب كلام، وصور:

أن يكون موضوع شن الحرب النفسية نهجًا كافلًا بحد ذاته؛ لتعميم نموذج التبرير الاستلابي لدى أجهزة إعلام عديدة، فهذا استنتاج رغم الجهود الإعلامية الهائلة المبذولة لكن، لم يحسم شيئًا من حقيقة الصراع المعنوي، القائم بين بعض الفصائل، والجهات المتناوئة، وتلعب حالة تماثل ما يقدمه العلم، والتكنولوجيا من جديد متوال بهذا الصدد، دورًا حاسمًا لأمكانية توسيع أو ربما حسر رقعة أي حرب إعلامية، مع أن الحرب النفسية الإعلامية حين تتجاوز جغرافية المكان، وطبيعة البيئة المجتمعية، تبدو، وكأنها مستهدفة تسخيف الطرف الآخر، المختلف معه في المنطلق الفكري أو النهج السياسي.

إذ من الملاحظ على سبيل التذكير، أن الإعلام العابر للحدود، والقارات كـ(كلام البرامج الإذاعية، وصور برامج التلفزة (المبثين) غالبًا ما يترجم التغرّب، أو الابتعاد عن الحقيقة، وهذا ما أدى، ويؤدي حتمًا إلى إرهاق أذهان الجمهور المتلقي للمواد الإعلامية المتنوعة، وإلى أضعاف، وتكرار العديد من برامج الإعلامية ذات الصلة، مما أفرز هنا، وهناك حالة شبه فقدان للثقة بين المتلقين للإعلام، والأجهزة الإعلامية المصدرة لهم نتاجاتها في معظم بلدان العالم، وحول ظاهرة التبرير الإعلامي المُدافع عن الخروقات الإنسانية، والمكمل للجرائم السياسية بحق ممن يحملون آراء أخرى فلعلّ هذا ما عكس مرض التغريب عن الأوطان، حتى لأُناس يعيشون داخل أوطانهم.

و الإعلام الاستلابي الفاقد لمصداقيته؛ بسبب ابتعاده عن السوية الإعلامية، اضحى ظلًا ملازمًا لألاعيب أغلب السياسات المعاصرة، بكل ما تحمله من غش، وأكاذيب، ومغايرات، ومشاكسات، لدرجة بات فيها الفصل بين أطروحات السياسة وأطروحات الإعلام، ليس بالأمر الهيّن فمن يستطيع النكران مثلًا أن قادة السياسة، وكبار الإعلاميين الاستلابيين لم يصبحوا على قدر متساو من معرفة ما يحدث أو ما سيحدث من وقائع كبرى عادة ما تكون مفاجئة عند الرأي العام، الذي ما زال يصطدم بأداءات الإعلاميات المحلية المخالفة للحق، والحقيقة، وهذه الظاهرة المستسهلة لإعطاء نتاجات إعلامية، لا تمت بوشيجة الوقائع المطلوب توضيحها خدمة للعمل الإعلامي المصداق، قد وضعت معظم الإعلاميات المُسيسة على وجه التشخيص في زاوية حرجة، أفرزت فشلا معنويًا لخططها، وضعفًا فكريًا لحججها، وما أدياه من اضمحلال لنموذجها، المُقدّم أمام

قوة الصمت المفروض على المجتمعات المتضررة، جرّاء استفحال الإعلام الاستلابي، والمصير المتدني الذي آل إليه الإعلام اللامسؤول في البلدان النامية، والمتقدمة بآن واحد.

الإعلام جناح السياسة:

لم تشهد أي حقبة زمنية عبر التاريخ البشري، نشاطًا إعلاميا بكل هذه السعة، والفاعلية المؤثرة، التي تنتشر بين أفراد المجتمعات اليوم؛ وذلك بسبب لعب عامل التطور التقني لوسائل الإعلام التي غزت كل بيت، ومجتمع، ولقد وعى الساسة الكبار في العالم بُعيد انتهاء الحرب الكونية الثانية (1936 – 1945م)، إلى الدور الخطير الذي يمكن أن يؤديه الإعلام، لصالح الكيانات السياسة لذلك فقد نجحوا في تجيير خلاصات العمل الإعلامي؛ بهدف تمرير المخططات السياسية، والتخريبات الاجتماعية، عبر شن الحروب النفسية ضد مناوئيهم، وأقرب مثال يستدل عليه بهذا المجال، ما سُمّى "بـالحرب الباردة" بين الكتلتين الدوليتين الغربية، والشرقية، أو بين بعض إعلاميات الدول العربية، ولعل من إحقاق القول أن المُلازمة بين الإعلام، والسياسة، هو من أكثر الظواهر الملموسة لدى أي مجتمع، لدرجة غدت هناك استحالة للفصل بينهما في العديد من البرامج، والمواد الإعلامية، إذ لا سياسة دون إعلام، ومن فهم اشمل لهذه النقطة، فمن الموضوعية التريث في الإعراب عن القناعة، قبل إطلاق الحكم على كون الإعلام يمثل في خلاصته الفعلية، دعامة كبرى للسياسة، كمًا، وممكن وصف الإعلام في عالم اليوم بأنه جناح للسياسة.

و إذ يَرى أن الإعلام الغربي المعروف باتسامه باللا توازن كما يرى البعض ذلك في عرض الحقائق – بصورة عامة - نتيجة لمغايراته الدائمة التي تتحكم فيها السياسات الغربية، الطاعنة بالوعي، والمشاكسة للنماء الثقافي، والحائلة دون نجاعة مد الجمهور بكسب المعلومات المجردة من أي استهدافات سلبية مسبقة، فمن المعلوم تمامًا أن الإعلام الغربي، ودوائره التابعة من البلدان النامية تستغل ما يقدم لها من دعم مالي، وتأييد معنوي حكومي لاتحدهما حدود، وهذا ما يؤكد صحة اعتقاد ثقافي اجتماعي عام مفاده أن الإعلام أمسى في أول سُلم اهتمام الدول المعاصرة، حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد الاهتمام بالعسكر (الجيش)؛ مما يُعدّ ذلك رسالة أكثر جدية في تعميم الحرب النفسية المؤثرة على تحريف الانطباعات الاجتماعية، بغض النظر ضد مَنْ تُشن تلك الحرب.

ويحدث كل ذلك بتوالٍ إعلامي خلال هذه الفترة، قبل عدة أشهر على دخول البشرية على قرنها الحادي والعشرين؛ نتيجة لهيمنة السياسة على معظم الإعلاميات فبنظرة سريعة على الواقع الإعلامي الدولي، يتبيّن كم سخّرت السياسة من مدارات إعلامية عديدة، وخصوصًا ما يُبث منها عبر أثير أمواج التلفزيون، والراديو، إضافة لرواج ما تنشره المؤسسات المختصة من كتب، ومجلات، وجرائد، ونشرات فائضة عن الحاجات الاجتماعية الفعلية؛ لا بسبب توظيفها للجهود الإعلامية الكبيرة، ووضعها في خدمة السياسات الرأسمالية الغربية، وما يقابلها بدرجة متواضعة لا تُقاس معها، ضد انتشار النتاجات الإعلامية عند أطراف الرأي الآخر الأهلي، المستهدف قبل غيره من أي حرب نفسية إعلامية حكومية، سواء على الصُعد المحلية، أو الإقليمية، أو الدولية.

الحرب الإعلامية أثرًا، وتأثيرًا:

قد.. يُظن أن من النتائج الاعتيادية التي تتركها عروض المواد الإعلامية المختلفة الانتهاجات، ليس لها أكثر من تأثيرات وقتية عابرة في نفوس الجمهور المتلقي لتلك العروض الإعلامية، وأن كينونتها تمر في الأذهان مرور الكرام، وأن موقف إبداء المرونة من الأشياء، مسألة مقترنة عند عموم المتلقين للإعلام، بتفهم واعٍ يتجاوز أُطر التفكير الذاتي، وأن الاتجاه نحو الموضوعية هو الأمر الغالب في التعامل مع عموم النتاجات الإسلامية، ولما كان الإعلام قد أصبح مصدرًا متقدمًا، ولصيقًا في الحياة اليومية الاجتماعية، فلعل مثل هذا الطرح السطحي – إذا جازت التسمية – يقود حتمًا للأقرار، بأن واحدًا من اثنين هما: إما أن يكون نزوعًا نفسيًا لا مسؤولًا لمعرفة المجهول، أو الفضول لمعرفة ما جرى، أو يجري من أحداث ووقائع، هو نوع من محاولة إشباع روحية الذات عضويًا، أو قصدًا، وهذا ما يعطي معنى بأن هناك شعورًا بالاعتقاد يستهدف رجحان التفكير، والأحكام عند المتلقين للإعلام.

فمثلًا: حينما يلتزم الإعلام الغربي بعدم التعليق على مذابح الأطفال، والنساء في بقاع محددة من العالم، فإن هذا الإعلام ذاته يقيم الدنيا، ويقعدها استنكارا عن قيام إحدى الدول النامية بإلقاء القبض على عنصر مخابراتي غربي أُدين بالجرم التجسسي المشهود. أن الإعلام الغربي ما زال يقع في أخطاء قاتلة، حين يفوّر القائمون عليه، أن المجتمعات المتمدنة سوف تبقى مستقبلة للخزعبلات الإعلامية الغربية، ودسائس أنظمتها الرأسمالية، وإلى ما لا نهاية من الأزمنة.

اعتاد الإعلام الغربي، أن يشير لذاتيته بكونه إعلاما حرا، في حين من المعلوم تمامًا أن هذا الذهاب النرجسي المتخايل لا تسندهُ الوقائع الملموسة، فكيف يجيز الإعلام الغربي بوصف نفسه بـ(الحر)، وهو يصادر حق إعلاميات العديد من البلدان النامية، ويحاصرها بالأعيب التبعية الإعلامية له؟

وهناك انطباع سايكولوجي مازال يتطلع لما وصل إليه طابع الصراع الإعلامي في العصر الراهن، وتقف مسألة حسبان الأمر على أساس الضرورات الحضارية، لمعرفة ما يمكن أن يتركه الإعلام الفوضوي المغامر من أثر، وتأثير خصوصًا، وأن الاقتناع بالسائد من الإعلام يكاد يكون موضوعًا مفروغًا من بحثه، وهذا ما يجعل هناك دافعًا مستمرًا، وبالذات لدى المجتمعات العربية، والإسلامية لعمل شيء فاضل، لتحقيق الارتقاء بالإعلام من أجل الحفاظ على نقاء الهوية، ووضع حدود عقلانية لوقف عمليات، تثقيف الأجيال إعلاميا بمبادئ الباطل، واللا أُبالية، والخذلان عن ركب الحياة الحقيقيّة.

وأن مجالات الإعلام قد طالت جوانب لا حصر لها من اهتمام الأفراد – كل منهم على حدة – وأن أخطر ما يواجه تركيبة المجتمعات الحضارية، هو الزحف لسلبيات، واستلابات الإعلام الحديث.

و المعيار الإعلامي الأول متى ما كانت خلاصة الغاية منه هو الرجاء لبناء، وإنعاش النفوس بروح الثقافة الحية، فيمكن أن يكـــون هذا المكسب المعنوي الأهــم الأخذ بالأيادي إلى أن يعيش، ويتعايش الناس فيما بينهم، على أفضل ما يكون الاستمتاع بجمالية الأخلاق الإنسانية.

الحرب الإعلامية الشرسة التي تعيشها مصر حاليًا!

ينظر خبراء علم السياسة، والاجتماع إلى أن الحرب الإعلاميّة تعد من أخطر أنواع الحروب نظرًا لتأثيرها في نفسيّة متلقى المعلومة، وعمل غسيل دماغ لما يؤمن، ويقتنع به مما يجعله يغيّر الواقع اتباعًا لما تلقى، وترسّخ في عقله من معلومات مضللة تبعث على زعزعة الثقة، كما أنّها في الوقت ذاته تعد حربًا باردة لا يمكن التنبؤ بنتائجها، ونهايتها، وفي بعض الحالات لا يمكن معرفة المسؤول عنها، ومن ثم تأتى بنتائج وخيمة في ظل عدم مسئوليتها الاجتماعية في أوقات السلم، والحرب معا.

الكلام هنا في مناسبة الحرب الإعلامية الشرسة التي تعيشها مصر حاليا في ظل معركة الانتخابات الرئاسية بما تشهده من تداعيات في أغلبها تشير إلى أن تلك الحرب تأتي مرافقة لبقية أنواع الحروب سواء كانت عسكريّة، أم اقتصاديّة، أم سياسيّة، وقد تكون في حالة السلم أكثر شراسة في فعلها الرجيم، حيث تهدف بالمقام الأول، والأخير إلى فساد عقول الشباب، والأمة، ونشر الفوضى، والإرباك بين صفوفهم، ومن ثم تأتي نتائج تلك الحرب الإعلاميّة الشرسة بأثر يساهم في التأثير على نفسيّة المستمع، وتثبيط عزيمته، وسلب الإرادة منه، وبالتالي سهولة السيطرة عليه، فكم من حرب تم تحقيق النصر فيها؛ بسبب ما تم بثه من أفكار، ومعلومات بين الجنود.

لذلك على الأمة، والدول، وعلى المجتمع التنبّه إلى خطورة هذه الحرب الإعلاميّة، وترسيخ المبادئ، والقيم، والأفكار السليمة عند المواطنين، والجنود العسكريين؛ لتحصينهم ضد أي هجمات قد تكون مستترة تحت غطاء العلم، أو التثقيف، أو المساعدة من الخارج.

الكلام السابق يشير بما لا يدع مجالا للشك إلى أن للإعلام تأثيرًا واضحا في تسيير مجريات الأمور في الحياة العامة في مصر حاليا، فبعد أن تطورت التكنولوجيا أصبحت وسائل الإعلام متوفرة في كلّ وقت، وحين، ولا يمكن لأي شخص أن يبتعد عن تأثيرها سواءً كانت تلفازًا، أم مذياعًا، أم صحيفة، وعليه ينبغى أن نفكر مليا في كل تلك الحملات التي سبقت الانتخابات الرئاسية الحالية في مصر تارة بالتشكيك في إنجازات الرئيس التي تحققت في أربع سنوات بإعجاز غير منقطع النظير، وتارة أخرى في تناولها الكرية للمرشحين المنافسين، وذلك بالعبث بالحقائق القانونية حول المرشح سامي عنان، وتسويقها على أنها نوع من الاستهداف المتعمد من جانب أجهزة الدولة في استبعاده من قوائم المرشحين للمنصب الرفيع، ما يشير بالدلالة القاطعة على أن ملامح الحرب الحديثة تغيرت تماما في الآونة الأخيرة عن الشكل التقليدي التى كانت عليه في الماضي، فقد تصدرت المشاهد الإعلامية الساخنة المستنفذة للوجدان، والمشاعر الإنسانية جميع القنوات الفضائية، ومما لا شك فيه أن ثورة الاتصالات هي التي ساهمت في تغيير أساليب الحرب العادية.

فمن خلال الإعلام تستطيع أن تقود حربًا نفسية ضروس، ومن خلاله أيضًا تستطيع أن تحدث اضطرابات في بلد مستقر، أو أن تسقط نظام قائم بعرض سلبياته، ومثالبه أمام عامة الشعب، فتعمل على شحنهم، وشحذ عزائمهم على إسقاطه.

والحرب الإعلامية ليست حديثة العهد بنا، فقد سبق أن استخدمتها الولايات المتحدة في سبعينيات القرن الماضى للدعاية، والترويج للمعسكر الرأسمالى في حربها ضد الشيوعيين في سايجون بفيتنام، فقد كانت نتيجة تصوير الحرب في فيتنام، أن رفض الرأي العام الأمريكى هذه الحرب، وقاد مظاهرات حاشدة تعبيرًا عن هذا الرفض، وقد صورت المظاهرات أيضًا وسائل الإعلام، وقد شرح أحد القادة الأمريكيين أن سبب خسارتهم في فيتنام هو: خسارتهم للحرب الإعلامية، ومن بعدها أدرك الأمريكيون أنه كي يمكنهم كسب أي حرب عليهم أن يخوضوا حربًا إعلامية أولًا.

لكن نظرا لظهور الإعلام البديل متمثلًا في شبكة الإنترنت جاء كحركة ارتجاعية، أو كرد فعل عنيف للواقع الاجتماعي الذي فرضته تكنولوجيا الاتصال بتوفير وسائل نشر بديلة تتمتع بدرجة عالية من الحرية، وسهولة الاستخدام، وانخفاض الكلفة، وذلك للتخلص من سيطرة النخب الإعلامية على وسائل الإعلام التقليدية في المجتمع، وغياب المصداقية في وسائل الإعلام التقليدية، فإن هذه المتغيرات هى التي جعلت من شبكة الإنترنت شريكًا حقيقيًا في تصعيد الممارسة السياسية، من خلال فتح نوافذ متسعة للجماعات السياسية التي لا تجد لنفسها منفذًا للتعبير عن أيديولوجيتها عبر قنوات التعبير السياسى التقليدية، ولعل النمو المضطرد للشبكة العنكبوتية قد ساهم إلى حد كبير في حالة الفوضى الإعلامية الحالية، والمساهمة في توسيع رقعة الشائعات، والمعلومات المغلوطة، حيث لا ضابط، ولا رباط لما تبثه تلك الشبكة عبر مواقع التواصل الاجتماعى من تقارير مزيفة، وافتعال وقائع غير موجودة على الأرض في إطار زعزعة الثقة لدى المواطن في قيادته ممثلة في رأس الدولة.

وتحت شعارها "الرأي، والرأي الآخر" استطاعت شبكة الإنترنت أن تخرق حاجز الصمت العربى حول العديد من القضايا الساخنة في المنطقة، وأحدثت برامجها المتنوعة على "اليوتيوب"، وغيره من مواقع ضجّةً قويةً في بعض البلدان العربية، حتى باتت معه الخيار الأول للمشاهد العربي، والعدو اللّدود لأنظمتها الحاكمة، ومن شأن كل ذلك صناعة البلبلة، والتشكيك في شؤون، ومواضيع داخلية، وذلك بتأليب الرأي العام على السياسات المتّبعة في داخل حدود الدولة من ناحية، ومن ناحية أخرى داخل نطاق المنطقة برمتها، ما كان له أكبر الآثار السلبية على مصر خلال الأربع سنوات الأخيرة، فقد ظلت مواقع التواصل الاجتماعى، وبعض وسائل الإعلام الإخوانية بمساندة واضحة من جانب وسائل إعلامية عالمية مثل: "الجاردين - رويتر - أسوشتيد برس -

نيويورك تايمز" تعمل على تصدير الإحباطات المتتالية للمواطن المصرى الذي عاش بالضرورة بين مطرقة الإرهاب، وسندان الأزمة الاقتصادية الحادة.

إذن يبدو الهدف الأساسي للحرب الإعلامية الجديدة في شراستها غير المعهودة هو تأجيج بذور الفتنة، وتعمل على نشوء حالة من الاستقطاب الحاد بين أبناء الوطن الواحد، ولايسأل عنها الإعلام الأجنبي وحده، فنحن جزء من المنظومة الإعلامية العالمية؛ لأن إعلامنا العربي الذي يعمل بطريقة غير مهنية مسئول هو الآخر عن احتدام ذلك الصراع، وذلك لتحقيق مكاسب مادية فردية، أو لصالح مجموعة بعينها للأسف، وأن يتم تداوله على شبكة التواصل الاجتماعي من معلومات مغلوطة تمثل نوعًا من التشوية ماهو إلا نتيجة الإهمال في الرقابة على المواقع المعادية التي يسأل عنها الجهات الأمنية، وإذا كان الإعلام المرئي، أو الافتراضى قد ساهم بشكل إيجابى في إضطلاعنا بالسلبيات، والفساد الذي كنا نعيش فيه عقودًا طويلة، إلا أنه أظهر مدى إخفاقنا في التوافق، والتعايش السلمي مع اختلاف توجهاتنا فمتى نستيقظ ياسادة؟

نعم متى نستيقظ من غفلتنا؟ لأن القوى المناصرة لحرية المعلومات تحتاج إلى أسلحة جديدة في مواجهة المظاهر العديدة لحرب المعلومات الجارية، والمتنامية، وينبغي لنا أن ننظر إلى حظر حكومة ما لدخول الصحافيين، أو حجب مواقع الأخبار، ووسائل الإعلام الاجتماعية على شبكة الإنترنت باعتبارها علامات إنذار مبكر لأزمة تسترعي الاهتمام الدولي، ولابد أن يكون الافتراض المنطقي أن الحكومات التي ليس لديها ما تخفيه لن تخسر شيئًا بالسماح لمواطنيها، ووسائل الإعلام المعترف بها دوليا بتقديم التقارير عن تصرفاتها، وأفعالها، شريطة أن يتم ذلك كله بنوع من الحيادية في ممارسة الإعلام لدوره المنوط به.

إن الأمر بدا، وكأنه تصنيع للمواقف، والاتجاهات، وللأسف الشديد وصل ببعض هذه الأدوات الإعلامية أن تمارس قدرا من غسيل المخ الجماعي، وتزييف الوعي بحيث تلاعب الإعلام بالعقول على حد قول "هربرت شيلر" في كتابه "المتلاعبون بالعقول"، وكان ذلك أخطر ما يمارس من أدوات إعلامية يجب أن تضطلع بأدوار أكثر رصانة، وحكمة، وثباتا في المصداقية، وظن هذا الشعب خيرا بتلك الأجهزة بما تقوم ببثه من برامج، وبث مباشر حاصرت الجمهور العام من كل طريق، وحصرته في خيارات مصنوعة، ومصطنعة، وخرجت عن كل أصول المهنية الإعلامية، وذلك عبر ممارسة إعلام الهواجس في إطار من تبادل الاتهامات، وصناعة الفرقة التي باشرت مع

تراكمها التأسيس؛ لصناعة ثقيلة هي صناعة الفتنة، كأن هؤلاء لم يراعوا في كل أدائهم قوانين الكلمة المسئولة، وأمانة الكلمة الثقيلة، ثقيلة في جهاد النفس في قولها، وثقيلة في حسابها.

فالواقع العملي يؤكد إنه لم يكن عوام الناس يعرفون إلى وقت قريب الفرق بين الشيعي، والسني، ولا بين المسيحي، والمسلم، بل كان الجميع يعيشون جنبًا إلى جنب في إطار من السلم المجتمعي، وكان الخلاف منحصرًا بين النخب المثقفة، وكان محصورًا في المنتديات الفكرية، وفي الكتابات حول الموقف من الآخر، لكن الأمر الآن قد تطور كثيرا في المشهد العربي والمصري منه على وجه التحديد إلى حالة الفتنة التي قد تحرق الأخضر، واليابس في بلاد مليئة بالفقر، والجوع، والمرض، والتخلف، يضاف ذلك كله الدور السلبي لمواقع التواصل الاجتماعي حيث يعبر فيها فئات من الشباب عن أفكارهم، وآرائهم السياسية بطريقة تحمل معها التحريض أحيانا، والدعوة إلى العنف، والكراهية، وبعض الآراء التي تطرح في غالبها لا تدل على التجربة الناضجة، والحكمة في تقدير الأمور، وهذه الإشكالية فرضها واقع وسائل الإعلام في جنوحها نحو العشوائية، والفوضى، ومن ثم فقد ساهمت في إذكاء نار الفتنة، وهذا الأمر يتطلب موقفًا من القيادات الفكرية المجتمعية في التحذير من فتنة وسائل الإعلام، وخطورتها على السلم المجتمعي، وسلامة المجتمع.

يبقى في نهاية المطاف أن مفهوم الحرب الإعلاميّة هي عبارة عن بث الأفكار، والشائعات، والمعلومات الخاطئة، والمغلوطة، وغير السويّة بين الناس من خلال الفضائيات، والإذاعات، والإنترنت، والجرائد بهدف تغيير وجهات النظر، وتسييرها باتجاه ما هو مطلوب منها، وتحقيق التضليل الإعلامي، والتلاعب بالرأي، والوعي العام، وسلوك المواطنينتلك هي الكارثة!.

الحرب الإعلامية، وتوظيف المواقف في الأزمة الخليجية

انطلقت شرارة الأزمة الأولى بين قطر، والسعودية من الإعلام، حيث تبادلت وسائل إعلام الطرفين كيل الاتهامات، والتشهير، والنيل من الطرف الآخر. والحرب على الجبهة الإعلامية كانت تمهيدا لحرب التصريحات الرسمية التي أعقبها قطع العلاقات الدبلوماسية، واتساع دائرة الأزمة، ودخول أطراف أخرى على خط الصراع، والوقوف إلى جانب أحد الطرفين، وخاصة السعودية التي أيدتها دول أخرى أعلنت بدورها هي أيضا قطع العلاقات الدبلوماسية مع قطر، والمشاركة في فرض الحصارعليها. ولابد من التذكير هنا أن الإعلام وسيلة أساسية في أي صراع سياسي، أو عسكري، حيث يتم استخدامه، وتوظيفه كأداة رئيسية في الصراع للنيل من الخصم، ومواقفه.

ومع تصعيد المواقف، وتفاقم الأزمة كانت الحرب الإعلامية أيضًا تزداد شراسة، ونبرة التصريحات تزداد حدة. لكن الملفت هو تناول إعلام الطرفين وسائل الإعلام المقربة، والممولة منهما، للمواقف، وتفسيرها بشكل مختلف، ولاسيما من قبل قناتي الجزيرة القطرية، والعربية السعودية اللتين تقودان جبهة الحرب الإعلامية في هذه الأزمة السياسية.

تفسيرات مختلفة لتغريدات ترامب!

أما أبرز ما تم تناوله، وتفسيره بشكل مختلف من قبل إعلام الطرفين، فكانت تغريدات الرئيس الأمريكي ـ دونالد ترامب ـ حول الأزمة، ولاسيما تغريدته التي أشار فيها إلى زيارته للسعودية، ومناقشة مسألة تمويل الإرهاب، وضرورة تجفيف ينابيعه، وأن قادة الدول أشاروا خلال اجتماعهم معه إلى قطر، وتغريدة أخرى قال فيها بالإشارة إلى الأزمة مع قطر بأنه ربما تكون بداية نهاية فظائع الإرهاب.

فقناة العربية السعودية فسرت تغريدات ترامب كدعم، وانحياز للموقف السعودي باتهام مباشر لقطر، ونشرت مقالا تحت عنوان "ترمب: إنها بداية القضاء على فظائع الإرهاب" جاء فيه "وجّه الرئيس الأمريكي، دونالد ترمب، أصابع الاتهام إلى قطر في تمويل الفكر المتطرف، وضرورة أن تتوقف عنه. كانت هذه أولى علامات الموقف الأمريكي من الأزمة".

وبنفس الاتجاه ذهبت قناة سكاي نيوز عربية، التي تناولت الموضوع تحت عنوان "ترامب يعتبر عزل قطر "بداية النهاية لرعب الإرهاب" وأشارت إلى أن ترامب يرى بأن "عزل قطر" قد يشكل "بداية نهاية رعب الإرهاب" وأن "كل الدلائل تشير إلى قطر" في تمويل التطرف الديني.

في المقابل نرى أن موقع هوفنغتون بوست بالعربية، والمقرب من قطر، قد تناول هذه التغريدات في سياق مختلف تماما، وقالت إن "تغريدات ترامب حول الأزمة الخليجية تثير غضب إدارته، ومسؤولون أمريكيون يحاولون الحد من ضررها الدبلوماسي" ويضيف الموقع أن هذه التغريدات المتعلقة بالأزمة غير حيادية، وهي انحياز إلى "الصف الذي تقوده السعودية، وحلفاؤها بهدف عزل قطر".

أما قناة الجزيرة القطرية، فلم تتناول هذه التغريدات بشكل مستقل، وإنما في سياق خبر آخر، وهو اتصال الرئيس الأمريكي ـ دونالد ترامب ـ مع العاهل السعودي مناقشة الأزمة معه. وأن

رسالة ترامب للعاهل السعودي "كانت أننا بحاجة إلى الوحدة في المنطقة لمحاربة الفكر المتطرف، وتمويل الإرهاب".

موقع (هوفنتغتون) بوست أيضا تناول الاتصال الهاتفي هذا في مقال بعنوان "ترامب يطالب الملك سلمان بالحفاظ على الوحدة الخليجية" في إشارة، وكأن السعودية تشكل خطرا على هذه الوحدة حيث "دعا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، خلال اتصال هاتفي مع العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز ، دول مجلس التعاون الخليجي إلى الوحدة".

استغلال تصريحات وزير الخارجية الألمانية:

وفيما تطرقت قناة العربية إلى حديث ترامب مع العاهل السعودي تحت عنوان "ترمب يتصل هاتفياً بالملك سلمان، ويشدد على وحدة الخليج" باختصار، فقد تناولت تغريدات ترامب حول الأزمة، وإشاراته إلى قطر، بالتفصيل، ونشرت صورا لتلك التغريدات مع المقال الذي تناول الاتصال الهاتفي.

قناة سكاي نيوز عربية أشارت في تغطيتها للمكالمة الهاتفية إلى أنّ الرئيس الأمريكي بحث مع العاهل السعودي "العمل على منع تمويل الجماعات الإرهابية، ومنع دعم التطرف من قبل أي دولة في المنطقة". وفي سياق الحديث أعادت الإشارة إلى تغريدات ترامب حول تمويل الإرهاب، والاتهامات الموجهة لقطر حول ذلك.

أما تصريح المستشار حمد سيف الشامسي، النائب العام لدولة الإمارات، والذي حذر فيه من انتقاد موقف الإمارات، والتعاطف مع قطر، فتم تناوله أيضا بشكل مختلف من قبل وسائل إعلام طرفي الأزمة، ففي حين عنونت قناة العربية تغطيته للتصريح بـ "الإمارات السجن، وغرامة 500 ألف درهم لمن يتعاطف مع قطر"وأشارت إلى العقوبة "السجن المؤقت من 3 إلى 15 سنة والغرامة التي لا تقل عن 500 ألف درهم في متن الخبر".

فقد أبرز موقع (هوفنغتون) منشور "الحد الأقصى لعقوبة السجن في عنوان تغطيتها للتصريح "الإمارات تحذِّر من التعاطف مع قطر، العقوبة تصل إلى السجن 15 عاماً" وأشارت إلى الاتهامات السعودية الموجهة لقطر".

وتصريحات وزير الخارجية الألمانية (زيغمار غابرييل) في حواره مع صحيفة "هاندلسبلات" الألمانية حول الأزمة القطرية السعودية، على أنه تضامن مع قطر! والتي حذر فيها من "ترامبنة" المنطقة، وسياسته تجاهها، وقال إن هناك محاولات على ما يبدو لعزل قطر، وإصابتها بشكل، وجودي، وأضاف أنه "قلق جدا بشأن التصعيد المأسوي للوضع، وعواقبه على المنطقة برمتها". وتناولت تصريحات الوزير الألماني تحت عنوان "ألمانيا تتضامن مع قطر، وتتهم ترمب بإثارة التوتر بالخليج"، وبدأت مقالها بأن غابرييل أعلن "تضامن بلاده مع قطر في أزمتها مع دول خليجية"!.

إعلام مسيس غير موضوعي!:

هذا التناول، والتفسير المختلف لذات الحدث، ولنفس الموقف من قبل إعلام أطراف الأزمة، يعيده الأستاذ الجامعي، والخبير الإعلامي، د. وليد فخر الدين، إلى أن الإعلام بمجملهِ في المنطقة العربية "ممول بالمال السياسي"، ولا تضبطه قواعد العمل الإعلامي، والمهنية، والموضوعية، و"لاتضع هي سياستها الإعلامية" وتكون مقيدة، وتابعة للقيادة السياسية، ومن يمولها حتى، وإن كانت "مستقلة بالشكل".

وأشار إلى أن هذا التوصيف ينطبق على الإعلام في الدول الخليجية، ومنها الإعلام القطري، وعلى رأسه قناة الجزيرة، والإعلام، والصحف السعودية. وأكد فخر الدين في حواره مع DW عربية أن "الإعلام في العالم العربي لم يكن في أي يوم إعلاما مهنيا محايدا، هو فقط وسيلة سياسية"، ووسيلة للتعبئة، والتحشيد.

وفي ظل هكذا إعلام تابع غير مستقل، وغير حيادي، يثار سؤال حول البديل، وما يمكن أن يلجأ إليه المتلقي في العالم العربي، وفيما إذا كان الإعلام الدولي الأجنبي الناطق بالعربية يمكن أن يكون مصدرا موثوقا للخبر، والمعلومة الصحيحة بعيدا عن الانحياز، وبالتالي مؤثرا على الرأي العام؟ الاستأذ، والخبير الإعلامي وليد فخر الدين، لا يرى في الإعلام الدولي بديلا، وحلا للمشكلة؛ لأن تأثير هذا الإعلام على الرأي العام في العالم العربي "ضعيف جدا مقارنة بالقنوات العربية الكبرى" مثل: الجزيرة، والعربية، وغيرها.

ولا تلجأ إلى الإعلام الدولي سوى فئة صغيرة جدا من الناس، والمتابعة للإعلام الدولي الناطق بالعربية محصورة في نخب سياسية معينة. أما الجمهور الأوسع فهو ضحية الإعلام المسيس، وفي معظم الأحيان ترى لديهم صورة مشوشة عن الحقيقة؛ لأنهم لا يحصلون على الخبر من مصدر "مهني" حسب تعبير فخر الدين.

الفصل الرابع
الحرب الباردة

الحرب الباردة (Cold War) هو: مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع، والتوتر، والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، وحلفائهم من فترة منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات.

خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظميين خلال التحالفات العسكرية، والدعاية، وتطوير الأسلحة، والتقدم الصناعي، وتطوير التكنولوجيا، والتسابق الفضائي. ولقد اشتركت القوتين في انفاق كبير على الدفاع العسكري، والترسانات النووية، وحروب غير مباشرة – باستخدام وسيط.

في ظل غياب حرب معلنة بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي قامت القوتان بالاشتراك في عمليات بناء عسكرية، وصراعات سياسية من أجل المساندة. على الرغم من أن الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتى كانا حلفاء ضد قوات المحور إلا أن القوتين اختلفتا في كيفية إدارة ما بعد الحرب، وإعادة بناء العالم. خلال السنوات التالية للحرب، انتشرت الحرب الباردة خارج أوروبا إلى كل مكان في العالم. حيث سعت الولايات المتحدة إلى سياسات المحاصرة، والاستئصال للشيوعية، وحشد الحلفاء خاصة في أوروبا الغربية، والشرق الأوسط. خلال هذه الأثناء، دعم الاتحاد السوفيتي الحركات الشيوعية حول العالم خاصة في أوروبا الشرقية، وأمريكا اللاتينية، ودول جنوب شرق آسيا.

صاحبت فترة الحرب الباردة عدة أزمات دولية مثل أزمة حصار برلين 1948- 1949 والحرب الكورية 1950- 1953 وأزمة برلين عام 1961 وحرب فيتنام 1956- 1975 والغزو

السوفييتي لأفغانستان، وخاصة أزمة الصواريخ الكوبية 1962 عندها شعر العالم أنه على حافة الانجراف إلى حرب عالمية ثالثة. آخر أزمة حدثت خلال تدريبات قوات الناتو 1983. شهدت الحرب الباردة أيضًا فترات من التهدئة عندما كانت القوتين تسعيان نحو التهدئة. كما تم تجنب المواجهات العسكرية المباشرة؛ لأن حدوثها كان سيؤدي إلى دمار محتم لكلا الطرفين؛ بسبب الأسلحة النووية.

اقتربت الحرب الباردة من نهايتها أواخر الثمانينات، وبداية التسعينات. بوصول الرئيس الأمريكي - رونالد ريغان - إلى السلطة ضاعفت الولايات المتحدة ضغوطها السياسية، والعسكرية، والاقتصادية على الاتحاد السوفيتي.

في النصف الثاني من الثمانينات، قدم القائد الجديد للاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف مبادرتي بيريستوريكا - إصلاحات اقتصادية - وغلاسنوت - مبادرة اتباع سياسات أكثر شفافية، وصراحة. لينهار الاتحاد السوفيتي عام 1991 تاركا الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في عالم أحادي القطب.

أصل المصطلح:

هي: حالة من الصراع، والتوتر بين المعسكرين بقيادة الأمريكيين من جهة، والسوفييت من جهة أخرى، وقد استخدم اللفظ لأول مرة من طرف الملك الإسباني خوان إيمانويل في القرن 14 ثم الاقتصادي الأمريكي برنارد باروش في بداية 1947 ثم أصبح شائع مع الصحفي ولتر ليمان. لا يوجد توافق بين المؤرخين فيما يتعلق ببداية الحرب الباردة. فبينما يقول معظم المؤرخين أنها بدأت بعد الحرب العالمية الثانية فورا، يقول بعض المؤرخون أنها بدأت في نهاية الحرب العالمية الأولى. على الرغم من أن المشكلات بين الإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية البريطانية، والولايات المتحدة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن الخلاف في وجهات النظر بين الشيوعية، والرأسمالية يعود إلى عام 1917، عندما انطلق الاتحاد السوفيتي من الثورة الروسية كأول دولة شيوعية في العالم. هذا أدى إلى جعل العلاقات الأمريكية الروسية مصدر قلق، ومشكلات لفترة طويلة.

أدت العديد من الأحداث إلى نمو الشك، وعدم الثقة بين (الولايات المتحدة)، والاتحاد السوفيتى مثل: التحدي البلشيفكي للرأسمالية – من خلال عمليات إسقاط عنيفة للنظم الرأسمالية، واستبدالها بنظم شيوعية - وانسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى عن طريق عقد معاهدة بريست ليتوفسك مع ألمانيا، وتدخل الولايات المتحدة في روسيا لدعم الحركة البيضاء خلال الحرب الأهلية الروسية، ورفض الولايات المتحدة الاعتراف بالاتحاد السوفيتى حتى عام 1933.

أحداث أخرى حدثت في الفترة ما بين الحربين أدت إلى تعميق مناخ عدم الثقة المتبادل مثل: معاهدة رابللو، والاتفاق على عدم الاعتداء بين ألمانيا، والاتحاد السوفيتي.

نشأة المصطلح:

في نهاية الحرب العالمية الثانية استخدم الكاتب الإنجليزي جورج أورويل الحرب الباردة كمصطلح عام, في مقال له "أنت، والقنبلة الذرية" نشر في 19 أكتوبر عام 1945 في صحيفة تريبيون البريطانية. تأمل فالعالم يعيش في ظل تهديدات الحرب النووية, يتطلع أوريل إلى تنبؤات جيمس بورنوهام؛ لاستقطاب العالم, وكتب: "انظر إلى العالم بأسره, الانجراف لعدة عقود ليس من أجل الفوضى بل لإعادة فرض العبودية..."

وقد نوقشت نظرية جيمس برونوهام كثيرا، ولكن قلة من الناس تناولت أثارها الإديولوجية, وهذا يعني نوع رؤية العالم، ونوع معتقداتهم، والبناء الاجتماعي الذي ربما يسود في الدولة التي كانت لا تقهر، وفي حالة "حرب باردة" دائمة مع جيرانها.

عندما نلاحظ ففي 10 مارس من عام 1946 كتب أورويل التالي: "بعد مؤتمر موسكو في ديسمير الماضي بدات روسيا حرب باردة على الإمبروطورية البريطانية.جاء أول استخدام لهذا المصطلح لوصف المواجهات السياسية بعد الحرب بين الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة في خطاب لبرنارد باروخ, وهو مستشار ذو نفوذ على الرؤساء الديموقراطيين" , وقال الصحفيك هربرت بايارد في خطاب كتبه: "دعونا لا نخدع نحن اليوم في خضم الحرب الباردة". قدم الكاتب الصحافي ولتر ليبمان المصطلح بشكل واسع النطاق في كتاب الحرب الباردة, وعندما سئل عام 1947 عن مصدر هذا المصطلح ارجعه إلى مصطلح فرنسي ذكر عام 1930 la guerre froide."

خلفية المصطلح:

المقالة الأساسية منشا الحرب البارد هناك خلاف بين المؤرخين حول نقطة انطلاق الحرب الباردة. في حين أن معظم المؤرخين يعيدون أصولها إلى الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة, فآخرون يقولون أنها بدأت في أواخر الحرب العالمية الأولى, هناك تاريخ يعود إلى أواسط القرن التاسع عشر رغم حدة التوتر بين الإمبروطورية الروسية، وغيرها من الدول الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية. وجدت روسيا السوفياتية نفسها معزولة عن الدبلوماسية الدولية نتيجة للاستيلاء البلشفي عام 1917. صرح الرئيس - فلاديمير لينين - أن الاتحاد السوفيتي أحيط "بالتطويق الرأسمالي المعادي" وينظر إلى الدبلوماسية كسلاح لأبقاء أعداء السوفيت منقسمين بدأ من إنشاء الكومنترون السوفيتي الذي دعا إلى تقلبات ثورية في الخارج.

والزعيم الاحق جوزيف ستالين, الذي نظر إلى الاتحاد السوفيتي بأنها "جزيرة الاشتراكية" وذكر أنه يجب أن نرى أن التطويق الرأسمالي الحالي استبدل بالتطويق الاشتراكي. في وقت مبكر من عام 1925, أعلن ستالين أنه ينظر إلى السياسة الدولية كعالم ثنائي القطب فيه الاتحاد السوفيتي الذي من شأنه جذب الدول المنجذبة إلى الدول الاشتراكية، أو الرأسمالية التي أيضا من شأنها جذب الدول المنجذبة نحو الرأسمالية, في حين كان العالم في فترة استقرار مؤقت للرأسمالية سبقت انهياره في نهاية المطاف.

أثبتت الأحداث المختلفة قبل الحرب العالمية الثانية انعدام الثقة المتبادلة، والشك بين القوى الغربية، والاتحاد السوفيتي, بعيدا عن التحدي الفلسفي العام الذي صنعه الشيوعيين نحو الرأسمالية هناك دعم غربي للحركة البيضاء المناهضة للبلشفية في الحرب الأهلية الروسية, أن التمويل السوفيتي عام 1926 تسبب بإضراب العمال البريطاني العام لقطع العلاقات البريطانية مع الاتحاد السوفيتي, وأعلن ستالين عام 1927 التعايش السلمي مع الدول الرأسمالية "تراجع إلى الماضي", أظهرت الإدعاءات التآمرية خلال عام 1928، ومحاكمة شاختي المخطط بقيادة بريطانية فرنسية لانقلاب d'etat, ورفض أمريكي للاعتراف بالاتحاد السوفيتي حتى عام 1933، ومحاكمات موسكو الستالينية العظمى في موسكو مع ادعاءات تجسس بريطانية، وفرنسية، ويابانية، وألمانية نازية.

مع ذلك كان كلا من الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي منعزلتين بشكل عام مابين الحربيين العالميتين. وقع الاتحاد السوفيتي مع ألمانيا اتفاقية مبدئية بعدم الاعتداء. ولكن بعد عزو

الجيش الألماني للاتحاد السوفيتي في يونيو 1941، والقصف الياباني لبيرل هاربور في ديسمير كانون الأول عام 1941 شكل الاتحاد السوفيتي، والقوى المتحالفة تحالف الإئتلاف.

وقعت بريطانيا على تحالف رسمي، وقدمت الولايات المتحدة اتفاقية غير رسمية . في وقت الحرب, وفرت الولايات المتحدة لكل من بريطانيا، والسوفيت طريق لبرنامج الإعارة، والتأجير الخاص بها... مع ذلك, ظلت ستالين مريب للغاية، ويعتقد أن البريطانيين، والأمريكان قد تأمروا لضمان تحمل السوفييت وطأت القتال على ألمانيا النازية. وفقا لوجهة النظر هذه, فأن الحلفاء الغربيون كانو يتعمدون فتح مواجهة ثانية ضد ألمانيا بهدف التدخل في آخر لحظة، وتشكيل التسوية السلمية. وبالتالي, تركت المفاهيم السوفيتية في الغرب تيار خفي قوي من التوتر، والعداء بين القوى المتحالفة.

الحرب العالمية الثانية، وما بعدها:

خلال جهودهم المشتركة في المجهود الحربي من 1941، بدأ السوفيت يشتبهون بقوة في أن البريطانيين، والأميركيين قد تآمروا لترك السوفييت يتحملون العبء الأكبر من المعركة ضد ألمانيا النازية. ووفقا لهذا الرأي، فإن الحلفاء الغربيين اشتركوا في الصراع في آخر لحظة من أجل التأثير على التسوية السلمية، والسيطرة على أوروبا. وهكذا فإن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، والغرب تحولت إلى حالة من العداء الخفي.

بعد الحرب، توافق الحلفاء على الشكل الذي يجب أن تكون عليه خريطة أوروبا، وطريقة ترسيم الحدود. كل من الجانبين، كان يحمل آراء مختلفة عن طرق التأسيس، وحماية السلام الدولي في فترة ما بعد الحرب. مفهوم الأمريكان عن الأمن يعتبر أنه في حالة انتشار النموذج الأمريكي سياسيا، واقتصاديا فإن الدول في هذه الحالة تستطيع حل خلافاتها في سلام عن طريق المنظمات الدولية. بينما اعتمد النموذج السوفيتي على التكامل مع حدودهم. تبنت روسيا هذا المفهوم بناء على تجاربها التاريخية حيث ظلت تتعرض للغزو من الغرب على مدى 150 سنة.

الدمار الضخم الذي خلفه الألمان على الاتحاد السوفييتي لم يكن له مثيل سواء في خسائر الأرواح (حوالي 27 مليون شخص)، أو مدى الدمار. اهتمت موسكو بأن يضمن النظام الجديد في أوروبا الأمن السوفيتي لفترة طويلة وسعت إلى القضاء على أي فرصة لقيام حكومة معادية على

حدودها الغربية عن طريق التحكم في حكومات هذه الدول. بولندا بالذات كانت مشكلة مقلقة. في أبريل عام 1945، قام تشرشل، والرئيس الأمريكي الجديد ترومان بالاعتراض على قرار السوفيت لدعم حكومة لبلن، والتي كان يتحكم فيها السوفيت ضد الحكومة البولندية في المنفي التي كانت على علاقة سيئة بالاتحاد السوفيتي.

ستالين، وروزفلت، وتشرشل في مؤتمر (يالتا):

في فبراير 1945، عقد الحلفاء مؤتمر (يالتا) ليحاولوا تجديد مسار عمل لتسوية ما بعد الحرب في أوروبا لكنهم فشلوا في إيجاد توافق حقيقى فيما بينهم. في أبريل 1945 حذر وزير الدعاية الألماني جوزيف غوبلز من أن "ستار حديدي" سينتشر في أوروبا. بعد انتصار الحلفاء في مايو، احتل السوفيت أوروبا الشرقية، بينما احتلت الولايات المتحدة، وحلفاؤها أوروبا الغربية. في ألمانيا المحتلة، قامت الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بالاشتراك مع بريطانيا، وفرنسا بإقامة أربعة مناطق تحكم كل دولة منطقة من هذه المناطق. قام الحلفاء بإنشاء الأمم المتحدة للحفاظ على السلام الدولي لكن مجلس الأمن لم يكن فعالا بما فيه الكفاية؛ بسبب استخدام القوى العظمى الفيتو، مما جعل الأمم المتحدة تتحول إلى مجرد مكان للجدال، وإلقاء الخطابات، وهذا ما فهمه السوفيت.

شعر رئيس وزراء بريطانيا – ونستون تشرشل – بالقلق؛ بسبب ضخامة حجم القوات السوفيتية المنتشرة في أوروبا في نهاية الحرب، وتصور أن الزعيم السوفيتي جوزيف ستالين لا يمكن الاعتماد عليه، مما أدى إلى تواجد التهديد السوفيتي إلى أوروبا الغربية. في نيسان / أبريل - آيار / مايو 1945، وضعت اللجنة البريطانية لشؤون الحرب، والتخطيط خطة أطلقت عليها "عملية الغير متوقع" تقضى هذه الخطة أن يتم فرض إرادة الولايات المتحدة، وبريطانيا على روسيا، إلا أنه تم رفض الخطة؛ لأنها غير ممكنة عسكريا.

عقيدة الدمار المتبادل المؤكد (MAD):

بغض النظر عن تطوير الترسانة النووية بين كلا الجانبين، ونشر القوات العسكرية التقليدية، وأعرابها عن النضال للهيمنة من خلال الحروب بالوكالة في جميع أنحاء العالم، والحرب النفسية، والدعائية، والمسابقات التكنولوجية مثل: سباق الفضاء.

بدأت المرحلة الأولى من الحرب الباردة في أول عامين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945. عززت الاتحاد السوفيتي سيطرتها على دول الكتلة الشرقية في حين بدأت الولايات المتحدة استراتيجية الاحتواء العالمي؛ لتحدي السلطة السوفيتية, بتمديد المساعدات العسكرية، والمالية لبلدان أوروبا الغربية (على سبيل المثال: دعم الجانب المناهض للشيوعية في الحرب اليونانية الأهلية)، وخلق حلف شمال الأطلسي. وكان حصار برلين (1948-1949) أول أزمة كبرى في الحرب الباردة. مع انتصار الجانب الشيوعي في الحرب الأهلية الصينية، واندلاع الحرب الكورية عام (1950-1953) فقد توسع الصراع. يتنافس الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية على النفوذ في أمريكا الاتينية، ودول تصفية الاستعمار الإفريقية، والشرق الأوسط، وجنوب شرق آسيا. وفي الوقت نفسه أوقف السوفيت الثورة الهنقارية عام 1956. أن آثار التوسيع، والتصعيد أدت إلى المزيد من الأزمات مثل: أزمة السويس (1956)، وأزمة برلين لعام 1961، وأزمة الصواريخ الكوبية 1962, وبعد هذه الأزمة الأخيرة بدات مرحلة جديدة شهدت انقسام بين الصين، والاتحاد السوفيتي، وتعقيد العلاقات داخل المجال الشيوعي في حين أظهر حلفاء الولايات المتحدة خاصة فرنسا استقلالية أكبر للعمل. سحق الاتحاد السوفيتي برنامج تحرير ربيع براغ عام 1968 في تشيكوسلوفاكيا، وحرب فيتنام (1955-1975) التي انتهت بهزيمة الجمهورية المدعومة من الولايات المتحدة فيتنام الجنوبية مما دفع لمزيد من التعديلات. ارتفع مستوى التوتر في آخر فترة, وذلك مع إسقاط السوفيت خطوط الطيران الكورية الرحلة 007 عام (1983)، ومناورات الناتوالعسكرية (إيبل أرتشر) عام (1983) رفعت الولايات المتحدة المستويات الدبلوماسية، والعسكرية، والضغوط الاقتصادية على الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي كانت الدولة الشيوعية تعاني بالفعل من ركود اقتصادي.

وفي منتصف عام 1980, قدم الزعيم السوفيتي الجديد ميخائيل غورباتشوف الإصلاحات لتحرير البروستريكا ("إعادة التنظيم"1985)، والغلاسنوست ("الإنفتاح" كاليفورنيا. 1975)، وانتهت بمشاركة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان. فقد تنامت الضغوط بشكل قوي من أجل الاستقلال الوطني في أوروبا الشرقية, خاصة بولندا.

حيث رفض غورباتشوف في الوقت نفسه استخدام القوات السوفيتية؛ لدعم أنظمة حلف وارسو المتعثرة كما حدث في الماضي. وكانت النتيجة في عام 1989 موجة من الثورات السلمية (باستثناء الثورة الرومانية)، والإطاحة بكل الأنظمة الشيوعية في أوروبا الوسطى، والشرقية. فقد

الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي السيطرة، وحظر بعد محاولة انقلاب فاشلة في أغسطس عام 1991, وهذا بدوره أدى إلى تفكك رسمي للاتحاد السوفيتي في ديسمبر كانون الأول 1991، وانهيار الأنظمة الشيوعية في بلدان أخرى مثل: منغوليا، وكمبوديا، وجنوب اليمن.

وظلت الولايات المتحدة باعتبارها القوى العظمى الوحيدة بالعالم. خلفت الحرب الباردة، وأحداثها أثر كبير, وغالبا مايشار إليها في الثقافة الشعبية, وخاصة في وسائل الإعلام التي تضم موضوعات التجسس (مثل: سلسة أفلام جيمس بوند الناجحة عالميا)، وخطر الحرب النووية.

نهاية الحرب العالمية الثانية (1945-1947):

مؤتمرات زمن الحرب مابعد حرب أوروبا:

اختلف الحلفاء حول كيف ينبغي أن تبدو الخريطة الأوروبية، وكيفية وضع حدودها عقب الحرب. حيث عقد كل جانب أفكار متباينة فيما يتعلق بإنشاء الأمن، والحفاظ علية فيما بعد الحرب.

أراد الحلفاء الغربيين نظام أمن أنشائته الحكومات الديموقراطية على أوسع نطاق ممكن فإن البلدان التي تسمح لحل سلمي للخلافات عن طريق المنظمات الدولية.

وبالنظر أيضا إلى التجارب التاريخية الروسية للغزوات المتكررة، وحصيلة القتلى الهائلة (تقدر بنحو 27 مليون)، وتدمير الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية, فقد سعى الاتحاد السوفيتي؛ لزيادة الأمن، وذلك من خلال الهيمنة على الشؤون الداخلية للدول التي تحدها.

خلال الحرب أنشأ ستالين مراكز تدريبية خاصة للشيوعيين من مختلف البلدان حتى يتمكنوا من إقامة قوات الشرطة السرية الموالية لموسكو في أقرب وقت، وتولي الجيش الأحمر السيطرة. استغرق وكلاء السوفيت في السيطرة على وسائل الإعلام، ولاسيما الإذاعة بمضايقات سريعة ثم حظر لجميع المؤسسات المدنية المستقلة من مجموعات الشباب إلى المدارس، والكنائس، والأحزاب السياسية المتنافسة. وسعى ستالين أيضا لاستمرار السلام مع بريطانيا، والولايات المتحدة, أملا في التركيز على إعادة البناء الداخلي، والنمو الاقتصادي.

انقسم الحلفاء الغربييون في رؤيتهم للعالم الجديد عقب الحرب. أهداف روزفيلت: وهي تحقيق الانتصار العسكري في كل من أوروبا، وآسيا، والتفوق العالمي للاقتصاد الأمريكي على

الإمبروطورية البريطانية، وإنشاء منظمة السلام العالمي, كانت أكثر عالمية من أهداف تشرشل، والتي ركزت بشكل أساسي بضمان السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وضمان بقاء الإمبروطورية البريطانية، واستقلال دول أوروبا الوسطى، والشرقية كقوى عازلة بين السوفييت والمملكة المتحدة.

وفي وجهة نظر أمريكية بدا ستالين حليفا محتملا في تحقيق أهدافها في حين إنه في النهج البريطاني ظهر ستالين أكبر تهديد لتحقيق أجندتها. ومع الاتحاد السوفيتي الذي احتل معظم أوروبا الوسطى، والشرقية فأن ستالين كان ميزة ينافس عليها اثنين من القادة الغربيين للحصول على امتيازاته. أدت الخلافات بين روزفيلت، وتشارشل لعدة صفقات منفصلة مع السوفييت. في أكتوبر عام 1944, سافر تشرشل إلى موسكو، ووافق على تقسيم البلقان إلى ميادين لكل منها تأثيرها إما في يالطا فقد وقع روزفلت اتفاق منفصلا مع ستالين فيما يخص آسيا، ورفض دعم تشرشل بشأن قضايا بولندا، والتعويضات. بالإضافة إلى, دخول التحالف في مفاوضات بشأن مكانة التوازن عقب الحرب في مؤتمر (يالطا) في فبراير عام 1945 وإن كان هذا المؤتمر فشل أيضا في التوصل لإتفاق راسخ على إيطار التسوية فيما بعد الحرب في أوروبا...

في إبريل عام 1945, توفي الرئيس روزفيلت، وخلفه هاري ترومان اللذي لايثق في ستالين، واتجه للحصول على المشورة لنخبة من مثقفين السياسة الخارجية. عارض كلا من تشارشل، وترومان بين أمور أخرى قرار السوفييت في دعم حكومة لوبلان، والسيطرة السوفييتية لمنافسة منفي الحكومة البولندية في لندن، والعلاقات المنقطعة مع السوفيت. بعد انتصار الحلفاء في مايو عام 1945, احتل السوفيت أوروبا الوسطى، والشرقية بفعالية, بينما بقيت الولايات المتحدة، وقوات التحالف الغربية القوية في أوروبا الغربية.

إنشاء الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا في ألمانيا التي يحتلها الحلفاء مناطق الاحتلال، ووضع إيطار فضفاض؛ لتتوزع السيطرة بين القوى الأربعة. إنشاء مؤتمر الحلفاء في سان فرانسيسكو عام 1945 الأمم المتحدة متعددة الجنسيات (UN) للحفاظ على السلام العالمي، ولكن القدرة على تطبيق مجلس الأمن الدولي كان مشلولا بفعالية من إمكانية أفرادها على استخدام حق النقيض.. وبناء عليه, جرى تحويل أساسي للأمم المتحدة إلى منتدى خاص؛ لتبادل الخطاب, والتي ينظر إليها السوفيتين بمثابة منصة دعائية.

مؤتمر بوتسدام، وهزيمة اليابان:

ونستون تشرشل، وهاري ترومان، وجوزيف ستالين في مؤتمر بوتسدام عام 1945.

ظهرت خلافات خطيرة في مؤتمر بوتسدام - الذي بدأ في آواخر يوليو بعد استسلام ألمانيا - حول مستقبل ألمانيا، وبقية أوروبا الوسطى، والشرقية. علاوة على ذلك، ساهم تصاعد لغة الكراهية، والعدوانية للمشاركين في تأكيد شكوكهم حول النوايا العدوانية لبعضهم البعض، وترسيخ مواقفهم. أبلغ ترومان في هذا المؤتمر ستالين أن الولايات المتحدة تمتلك سلاحًا جديدًا قويًا.

كان ستالين على وعي أن الأمريكيين يعملون على القنبلة الذرية، ونظرًا إلى أن البرنامج المنافس الخاص بالاتحاد السوفيتي مُلائم، أظهر ستالين ردود فعل هادئة. أعرب الزعيم السوفيتي عن سعادته بتلك الأنباء، وأمله في أن يستخدم السلاح ضد اليابان. بعد أسبوع واحد من انتهاء مؤتمر بوتسدام، قصفت الولايات المتحدة هيروشيما، وناغازاكي. بعد الهجمات بفترة قصيرة، احتج ستالين إلى المسؤولين الأمريكيين عندما عرض ترومان على السوفييت نفوذ حقيقي ضئيل في اليابان المُحتلة.

بدايات الكتلة الشرقية:

التغييرات الإقليمية في أوروبا في فترة ما بعد الحرب، وتشكيل الكتلة الشرقية، فيما يسمب ب "الستار الحديدي".

وضع الاتحاد السوفيتي أساس نشأة الكتلة الشرقية - خلال المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية بضم عدة دول مباشرة لتُكون جمهوريات الاتحاد السوفيتي، والتي تنازلت عنها مبدئيًا(وفعليًا) ألمانيا النازية في الاتفاق الألماني السوفييتي. تشمل تلك الدول شرق بولندا (أًدرجت في جمهوريتين مختلفتين تابعتين لجمهوريات الاتحاد السوفيتي)، ولاتفيا (التي صارت جمهورية لاتفيا السوفيتية الاشتراكية)، وإستونيا (التي صارت جمهورية إستونيا السوفيتية الاشتراكية)، وليتوانيا (صارت جمهورية ليتوانيا السوفيتية الاشتراكية)، وجزء من شرق فنلندا (صارت جمهورية كاريليا الفنلندية السوفيتية الاشتراكية)، وشرق رومانيا (صارت جمهورية مولدوفا السوفيتية الاشتراكية).

أُضيفت الأراضي التابعة لوسط، وشرق أوروبا - التي حُررت من النازيين، واحتُلت من القوات المسلحة السوفيتية - إلى الكتلة الشرقية بتحويلها إلى دول تابعة مثل: شرق ألمانيا، وجمهورية بولندا الشعبية، وجمهورية بلغاريا الشعبية، وجمهورية المجر الشعبية، وجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية، وجمهورية رومانيا الشعبية، وجمهورية ألبانيا الشعبية.

أعادت الأنظمة التي نشأت على النمط السوفيتي في الكتلة الشرقية ليس فقط الاقتصاد السوفيتي المُوجه، لكن أيضًا تبنت الطرق الوحشية التي استخدمها جوزيف ستالين، والشرطة السرية السوفيتية لقمع المعارضة الحقيقيةن والمحتملة. كما سيطر الجيش الأحمر - في آسيا - على منشوريا في الشهر الأخير من الحرب، واستمر في احتلال أجزاء كبيرة من الأراضي الكورية الواقعة شمال خط العرض 38.

أشرفت المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية - بقيادة لافرينتي بيريا - على وضع أنظمة الشرطة السرية على النمط السوفيتي في الكتلة - كجزء من تعزيز سيطرة ستالين على الكتلة الشرقية -، والتي من المفترض أن تقضي على المقاومة المناهضة للشيوعية. عندما بدأت الشرارات الأولى للاستقلال في الظهور في الكتلة الشرقية، اتبع ستالين الاستراتيجية التي استخدمها للتعامل مع منافسيه الداخليين في فترة قبل الحرب: أُزيلوا من السلطة، وقُدموا للمحاكمة، وسُجنوا، وفي عديد من الحالات، أُعدموا.

قلق ونستون تشرشل - رئيس الوزراء البريطاني - من وجود تهديد سوفيتي لأوروبا الغربية، نظرًا للحجم الهائل للقوات السوفيتية المنتشرة في أوروبا في نهاية الحرب، واعتقاد أن جوزيف ستالين - القائد السوفيتي - غير موثوق به.

الاستعداد لحرب جديدة:

ساعدت "الرسالة التلغرافية الطويلة" ل "جورج كينان" القادمة من موسكو - في فبراير عام 1946 - في التعبير عن التشدد المتزايد لحكومة الولايات المتحدة في التعامل مع السوفييت، كما أصبح الأساس الاستراتيجي للولايات المتحدة في التعامل مع الاتحاد السوفييتي خلال فترة الحرب الباردة. في سبتمبر التالي أصدر الجانب السوفيتي تلغراف نوفيكوف - أرسله السفير السوفيتي لكن كُلف (فياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف) به كما ساعد في تأليفه - حيث وصف الولايات المتحدة

بكونها واقعة في قبضة الرأسماليين الاحتكاريين الذين يعملون على بناء القدرة العسكرية؛ لتهيئة الظروف للفوز بالسيادة العالمية في حرب جديدة.

في 6 سبتمبر عام 1946 ألقى جيمس بيرنز خطابًا في ألمانيا يستنكر فيه خطة مورجنثاو (وهو اقتراح بتقسيم ألمانيا ما بعد الحرب، وإزالة إمكانيات التصنيع بها)، ويحذر السوفييت أن الولايات المتحدة تهدف إلى الحفاظ على الوجود العسكري في أوروبا إلى أجلٍ غير مُسمى. كما اعترف بيرنز بعد مرور شهر أن "جوهر برنامجنا هو الفوز بالشعب الألماني ... كانت معركة بيننا، وبين روسيا للاستحواذ على العقول..."

بعد أسابيع قليلة من إرسال " الرسالة التلغرافية الطويلة"، ألقى رئيس الوزراء البريطاني السابق خطابه الشهير "الستار الحديدي" في فولتون بولاية ميزوري. دعا الخطاب إلى تحالف أنجلو- أمريكي ضد الاتحاد السوفيتي الذين اِتهمهم بإنشاء ستار حديدي من شتتين في بحر البلطيق إلى ترييستي في البحر الأدرياتيكي.

بدايات الحرب الباردة:

كومنفورم، وانفصال تيتو- ستالين:

في سبتمبر عام 1947 أنشأ السوفييت الكومنفورم بغرض فرض العقيدة داخل الحركة الشيوعية العالمية، وتشديد السيطرة السياسية على الدول التابعة للاتحاد السوفيتي من خلال تنسيق الأعمال بين الأحزاب الشيوعية في الكتلة الشرقية. واجه الكومنفورم إخفاق حرج في يونيو التالي عندما ألزم انفصال تيتو- ستالين أعضائها بطرد يوغوسلافيا التي ظلت شيوعية لكن تبنت موقف عدم الانحياز.

سياسة الاحتواء، ومبدأ ترومان:

التحالفات العسكرية الأوروبية:

بحلول عام 1947 حث مستشاري الرئيس الأمريكي هاري ترومان باتخاذ خطوات فورية لمواجهة نفوذ الاتحاد السوفيتي، مُشيرًا إلى جهود ستالين (وسط ارتباك، وانهيار ما بعد الحرب)؛ لتقويض الولايات المتحدة من خلال تشجيع التنافس بين الرأسماليين التي يُمكن أن تُعجل حرب

أخرى. في فبراير عام 1947 أعلنت الحكومة البريطانية أنها لم تعد قادرة على تمويل النظام العسكري الملكي اليوناني في الحرب الأهلية ضد المتمردين تحت سيطرة الشيوعية.

تبنت الحكومة الأمريكية سياسة الاحتواء ردًا على تلك الأنباء، والهدف من ذلك هو وقف انتشار الشيوعية. ألقى ترومان خطاب يدعو فيه لتخصيص 400 مليون دولار للتدخل في الحرب؛ الأمر الذي كشف النقاب عن مبدأ ترومان، والذي حدد إطار الصراع على أنه منافسة بين الشعوب الحرة، والأنظمة الشمولية. على الرغم من مساعدة يوغوسلافيا التابعة لجوزيف بروز تيتو للمتمردين، اتهم صناع السياسة الأمريكيين الاتحاد السوفيتي بالتآمر ضد الملكيين اليونانيين في محاولة؛ لتوسيع نطاق النفوذ السوفيتي.

أرخ إعلان مبدأ ترومان بداية التوافق في السياسة الخارجية، وسياسة الدفاع للولايات المتحدة بين الحزب الديمقراطي، والجمهوري التي ركزت على الاحتواء، والردع، والتي ضعفت أثناء، وبعد حرب فيتنام، لكنها استمرت بعد ذلك في النهاية.

أعطت الأحزاب المعتدلة، والمحافظة في أوروبا - فضلًا عن الديمقراطيين الاشتراكيين - بالفعل الدعم غير المشروط إلى التحالف الغربي؛ بينما انضم الشيوعيون الأمريكيون، والأوروبيون - المدفوعين من قبل الاستخبارات السوفييتية، والمشاركين في العمليات الاستخباراتية - إلى صف موسكو على الرغم من بدء ظهور الانشقاق بعد عام 1956. ظهرت انتقادات لسياسات التوافق من قبل نشطاء مناهضين لحرب فيتنام، وحملة نزع السلاح النووي، وحركة تجميد البرنامج النووي.

التحالفات الاقتصادية الأوروبية:

في أوائل عام 1947 فشلت كل من بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة في الوصول إلى اتفاق مع الاتحاد السوفيتي بشأن خطة تُحقق اكتفاء ذاتي اقتصادي لألمانيا، بما في ذلك حساب مُفصل بشأن المنشآت الصناعية، والسلع، والبنية التحتية التي أزالها السوفييت بالفعل. في يونيو عام 1947 بالتزامن مع مبدأ ترومان، فَعَّلت الولايات المتحدة خطة مارشال؛ وهو تعهد بتقديم المساعدات الاقتصادية لجميع دول أوروبا الراغبة بالمشاركة، بما في ذلك الاتحاد السوفيتي.

هدفت الخطة لإعادة بناء النظم الاقتصادية، والديمقراطية لأوروبا، ومواجهة التهديدات الملموسة لتوازن السلطة في أوروبا مثل: فرض سيطرة الأحزاب الشيوعية من خلال الثورات،

والانتخابات. أكدت الخطة أيضًا على أن الازدهار الأوروبي يتوقف على تعافي الاقتصاد الألماني. وبعد مرور شهر وقع ترومان قانون الأمن الوطني لعام 1947، مما ترتب عليه إنشاء وزارة دفاع موحدة، ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، ومجلس الأمن القومي (NSC). أصبحت تلك السلطات البيروقراطيات الأساسية لسياسة الولايات المتحدة في الحرب الباردة.

يعتقد ستالين أن التكامل الاقتصادي مع الغرب يتيح لدول الكتلة الشرقية الهروب من السيطرة السوفيتية، وأن الولايات المتحدة كانت تحاول عقد صفقة لكسب دولة موالية، ومنحازة للولايات المتحدة في أوروبا. لذلك منع ستالين دول الكتلة الشرقية من تلقي مساعدات خطة مارشال. أصبحت خطة مولوتوف (والتي أخذت طابع مؤسسي في يناير عام 1949 يُعرف بمجلس التعاون الاقتصادي) هي بديل الاتحاد السوفيتي لخطة مارشال، والتي تزعم تضمن التجارة، والمساعدات السوفيتية مع أوروبا الوسطى، والشرقية. كان يخشى ستالين من إعادة إعمار ألمانيا؛ فرؤيته لألمانيا بعد الحرب لا تشمل القدرة على إعادة تسليح نفسها، أو تشكيل أي نوع من التهديد للاتحاد السوفيتي.

في أوائل عام 1948 بعد متابعة تقارير عن تعزيز "العناصر الرجعية"، قضى عملاء الاتحاد السوفيتي على انقلاب في تشيكوسلوفاكيا، وهي الدولة الوحيدة في الكتلة الشرقية التي سمح السوفييت بالاحتفاظ بهياكل الديمقراطية بها. أصاب القمع الوحشي لجموع الانقلاب صدمة لدول الغرب أكثر من أي حدث حتى ذلك الوقت، مع إطلاق العنان لذعر من حدوث حرب، وجرفت آخر بقايا المعارضة لخطة مارشال في الكونغرس الأمريكي.

أدت السياستان التوأم لمبدأ ترومان، وخطة مارشال إلى بلايين من المساعدات العسكرية، والاقتصادية لأوروبا الغربية، واليونان، وتركيا. فاز الجيش اليوناني في الحرب الأهلية بفضل مساعدة الولايات المتحدة. تحت قيادة ألتشيدي دي غاسبيري، هزم الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي التحالف الشيوعي الاشتراكي الضخم في انتخابات عام 1948. في نفس الوقت كان هناك زيادة في النشاط الاستخبارتي، والتجسسي، وانشقاقات الكتلة الشرقية، والترحيل الدبلوماسي.

حصار برلين، والجسر الجوي:

دمجت الولايات المتحدة، وبريطانيا الأراضي المحتلة لألمانيا الغربية التابعة لهم في اتحاد ذي منطقتين (كان ذلك 1 يناير عام 1947، صارت فيما بعد اتحاد ذي ثلاث مناطق بعد انضمام

فرنسا إليهم عام 1949). في أوائل عام 1948، أعلن ممثلي الولايات المتحدة، وعدد من الحكومات الأوروبية الغربية - كجزء من إعادة البناء الاقتصادي لألمانيا - اتفاقية لدمج المناطق الألمانية الغربية إلى نظام حكومي فيدرالي. بالإضافة إلى ذلك، وفقًا لخطة مارشال، بدأوا بإعادة بناء، وتصنيع الاقتصاد الألماني، بما في ذلك إدخال عملة المارك الألمانية الجديدة بدلًا من العملة القديمة رايخ مارك التي بخس السوفييت من قيمتها.

بعد ذلك بفترة قصيرة، فرض ستالين حصار برلين (24 يونيو 1948 - 12 مايو 1949)؛ وهي واحدة من الأزمات الكبرى للحرب الباردة حيث مُنعت المواد الغذائية، والمعدات، والإمدادات من الوصول إلى غرب برلين. بدأت الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وعدة بلدان أخرى في إمداد غرب برلين بالطعام، وغيرها من المؤن من خلال جسر برلين الجوي الضخم.

شن الاتحاد السوفيتي حملة علاقات عامة ضد تغيير السياسة المتبعة. كما حاول شيوعيو ألمانيا الشرقية مرة أخرى تعطيل الانتخابات البلدية لبرلين (كما فعلوا في انتخابات 1946)، التي عُقدت 5 ديسمبر 1948 وكانت نسبة الإقبال بها تتعدى 86.3%، وكانت النتيجة فوزًا ساحقًا للأحزاب غير الشيوعية. كانت النتائج ذي تأثير فعال مما تسبب بتقسيم المدينة إلى شرق، وغرب لما كان عليه سابقًا. تظاهر نحو 300000 برليني، ودعوا لاستمرار الجسر الجوي الدولي، كما قام غيل هالفرسون - طيار في السلاح الجوي الأمريكي - بعمليات نقل مؤن، والتي وفرت الحلوى للأطفال الألمان. في مايو عام 1949 تراجع ستالين، ورفع الحصار.

في عام 1952 اقترح ستالين عدة مرات خطة لتوحيد شرق، وغرب ألمانيا في ظل حكومة واحدة منتخبة تحت إشراف الأمم المتحدة إذا كانت ألمانيا الجديدة ستظل خارج التحالفات العسكرية الغربية. رفضت السلطات الغربية هذا الاقتراح نتيجة لطعن بعض المصادر في صدق الاقتراح.

بدايات حلف الناتو، وإذاعة أوروبا الحرة:

الرئيس ترومان يوقع على اتفاقية تعديل قانون الأمن القومي مع ضيوفه لعام 1949 في المكتب البيضاوي.

وقعت بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، وكندا، وثماني دول أوروبية غربية معاهدة حلف شمال الأطلسي في أبريل عام 1949، والذي مهد لتأسيس منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو). في أغسطس التالي تم تفجير أول مفاعل نووي سوفيتي في سيميبالاتينسيك في كازاخستان السوفيتية. بعد رفض الاتحاد السوفيتي المشاركة في جهود إعادة إعمار ألمانيا التي أطلقتها الدول الأوروبية الغربية عام 1948، قادت الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا تأسيس ألمانيا الغربية ابتداءً من المناطق الغربية الثلاثة المحتلة في أبريل 1949. أعلن الاتحاد السوفيتي منطقته المحتلة في ألمانيا - في أكتوبر التالي - الجمهورية الديمقراطية الألمانية.

كان الإعلام في الكتلة الشرقية جهازًا من أجهزة الدولة؛ يعتمد كليًا على الحزب الشيوعي، وتابعًا له بالتزان مع منظمات الإذاعة، والتليفزيون التابعة للدولة، بينما تمتلك المنظمات السياسية عادة وسائل الإعلام المقروءة، والتي تكون غالبًا مملوكة من الحزب الشيوعي المحلي. استخدمت الدعاية السوفيتية الفلسفة الماركسية لمهاجمة الرأسمالية، وادعت أن الاستغلال في العمل، والإمبريالية المُروجة للحرب أشياء متأصلة في النظام.

بدأ بث إذاعة أوروبا الحرة/الإذاعة الحرة كجهد دعائي كبير عام 1949 - جنبًا إلى جنب مع بث هيئة الإذاعة البريطانية، وصوت أمريكا في أوروبا الوسطى، والشرقية - مُكرسة جهودها لمحاولة تحقيق الزوال السلمي للنظام الشيوعي في الكتلة الشرقية. حاولت إذاعة أوروبا الحرة تحقيق تلك الأهداف من خلال عملها بمثابة محطة إذاعية منزلية بديلة، بديلًا عن الصحافة المحلية التي يسيطر عليها الحزب، ويهيمن عليها. إذاعة أوروبا الحرة هي نتاج واحد من أبرز مهندسي الاستراتيجية الأمريكية للحرب الباردة المبكرة؛ خاصة أولئك الذين اعتقدوا أن خوض الحرب الباردة سيكون أخيرًا بوسائل سياسية لا عسكرية مثل جورج كينان.

اعترف صناع الحرب الأمريكيين - بما فيهم كينان، وجون فوستر دالاس - أن الحرب الباردة كانت في جوهرها حرب أفكار. مولت الولايات المتحدة - التي تعمل من خلال وكالة المخابرات المركزية - قائمة طويلة لمواجهة النداء الشيوعي بين المثقفين في أوروبا، والعالم النامي. ترعى وكالة المخابرات المركزية سرًا أيضًا حملة دعائية محلية تُدعى الحملة الصليبية من أجل الحرية.

عملت الولايات المتحدة - في أوائل خمسينيات القرن العشرين - لإعادة تسليح ألمانيا الغربية، وفي عام 1955 حصلت على عضويتها الكاملة في حلف الناتو. قدمت بيريا في مايو عام 1953 - التي تولت في ذلك الوقت منصب حكومي - اقتراح غير ناجح لإعادة توحيد دولة ألمانية محايدة لمنع ضم ألمانيا الغربية إلى حلف شمال الأطلسي.

الحرب الأهلية الصينية، وسياتو:

في عام 1949 هزم جيش التحرير الشعبي لماو تسي تونغ حكومة الكومينتانغ الوطنية لشيانج كاي شيك المدعوم من الولايات المتحدة، وسارع الاتحاد السوفيتي لعقد تحالف مع جمهورية الصين الشعبية التي شكلت حديثًا. وفقًا لما قاله المؤرخ النرويجي أود أرني، ويستاد، فقد ربح الشيوعيون الحرب الأهلية؛ لأنها ارتكبت أخطاء عسكرية أقل من شيانج كاي شيك؛ ولأن في بحثه عن حكومة مركزية قوية، عادي شيانج الكثير من جماعات المصالح في الصين. علاوة على ذلك، تم إضعاف حزبه في الحرب ضد اليابان. في الوقت نفسه أخبر الشيوعيون مختلف المجموعات - مثل الفلاحين - ما يريدون سماعه بالضبط، وتستروا على أنفسهم في غطاء القومية الصينية.

تراجع شيانج، وحكومة الكومينتانغ إلى جزيرة تايوان. بعد مواجهة الثورة الشيوعية في الصين، ونهاية الاحتكار الذري الأمريكي عام 1949، أسرعت حكومة ترومان لتصعيد سياسة الاحتواء، وتوسيعها. اقترح مجلس الأمن القومي في وثيقته السرية لعام 1950 (NSC-68) تعزيز نظم التحالف الموالي للغرب، ومضاعفة الإنفاق على الدفاع.

انتقل مسؤولون من الولايات المتحدة بعد ذلك لتوسيع الاحتواء في آسيا، وإفريقيا، وأمريكا اللاتينية لمواجهة الحركات القومية الثورية، التي تقودها في الغالب الأحزاب الشيوعية، ويمولها الاتحاد السوفيتي، للنضال ضد استعادة الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية في جنوب شرق آسيا، وكل مكان آخر. في أوائل خمسينيات القرن العشرين (تُعرف الفترة أحيانًا باسم "Pactomania")، عقدت الولايات المتحدة سلسلة من التحالفات مع اليابان، وأستراليا، ونيوزيلندا، وتايلاند، والفلبين (لا سيما أنزوس عام 1951 وسياتو عام 1954)، وبالتالي يكفل للولايات المتحدة عددًا من القواعد العسكرية طويلة المدى.

الحرب الكورية:

كان واحدًا من النتائج البارزة للاحتواء هو اندلاع الحرب الكورية. في يونيو 1950 الجيش الشعبي لشمال كوريا التابع لكيم إل سونغ اجتاح جنوب كوريا. خطط جوزيف ستالين للغزو، وأعد له، وبدأه، وأنتج خطط حرب مفصلة التي شاركها مع كوريا الشمالية. فوجئ ستالين لدعم مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الدفاع عن كوريا الجنوبية، على الرغم أن الاتحاد السوفيتي قاطع الاجتماعات التي تتظاهر؛ بسبب حصول تايوان، والصين غير الشيوعية على مقعد دائم في مجلس الأمن. اجتمعت قوة من موظفي الأمم المتحدة من كوريا الجنوبية، والولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وتركيا، وكندا، وكولومبيا، وأستراليا، وفرنسا، وجنوب إفريقيا، والفلبين، وهولندا، وبلجيكا، ونيوزيلندا، ودول أخرى لوقف الغزو.

كان من ضمن النتائج الأخرى أن الحرب الكورية حفزت حلف الناتو لتطوير البنية العسكرية. انقسم الرأي العام في البلدان المعنية - مثل بريطانيا العظمى ما بين مؤيد، ومعارض للحرب. يخشي العديد التصعيد إلى حرب عامة مع الصين الشيوعية، وحتى حرب نووية. تسببت المعارضة القوية في الأغلب للحرب في توتر العلاقات الأمريكية البريطانية، لذلك سعى المسؤولون البريطانيون لوضع نهاية سريعة للصراع على أمل توحيد كوريا تحت رعاية الأمم المتحدة، وانسحاب جميع القوات الأجنبية.

على الرغم أن الصين، وشمال كوريا أُستنزفت بسبب الحرب، وكانوا على استعداد لإنهائها بنهاية عام 1952، لكن أصر ستالين على استمرار الصراع، وتمت الموافقة على الهدنة فقط في يوليو عام 1953 بعد وفاة ستالين. أسس كيم إل سونغ - زعيم كوريا الشمالية - لديكتاتورية شمولية ذات مركزية عالية - وهي مستمرة حتى الآن - ليمنح نفسه سلطة غير محدودة، والتمهيد لعبادة الشخصية المفرطة. في جنوب كوريا، أدار إي سنغ مان - الديكتاتور المدعوم من أمريكا - نظام أقل وحشية بشكل ملحوظ لكن أكثر فسادًا وتسلطًا. بعد الإطاحة بإي سنغ مان عام 1960، سقطت كوريا الجنوبية في خلال عام تحت الحكم العسكري الذي استمر حتى إعادة إنشاء نظام متعدد الأحزاب في أواخر ثمانينات القرن العشرين.

الأزمة، والتصعيد:

خروتشوف، وآيزنهاور، وعملية اجتثاث الستالينية:

تسببت التغيرات في القيادة السياسية في كلا الجانبين - عام 1953 - في تحول ديناميكية الحرب الباردة. نُصِّب دوايت آيزنهاور رئيس البلاد في يناير التالي. خلال ال18 أشهر الماضية من إدارة ترومان، تضاعفت ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية أربع مرات. عمل آيزنهاور على تقليل الإنفاق العسكري بنسبة الثلث مع الاستمرار في صراع الحرب الباردة على نحو فعال.

بعد وفاة جوزيف ستالين، أصبح نيكيتا خروتشوف الزعيم لسوفيتي بعد خلع لافرينتي بيريا، وإعدامه، بالإضافة إلى التخلص من منافسيه مثل: جورجي مالينكوف، وفياتشيسلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف. في 25 فبراير عام 1956، صدم خروتشوف مندوبي المؤتمر ال20 للحزب الشيوعي السوفيتي بعد تعديد جرائم ستالين، وإدانتها. كجزء من حملة اجتثاث الستالينية، أعلن أن السبيل الوحيد للإصلاح، والابتعاد عن سياسات ستالين هو الاعتراف بأخطاء الماضي.

في 18 نوفمبر عام 1958، بينما كان يلقى خطابًا للسفراء الغربيين في حفل استقبال بالسفارة البولندية في موسكو، ألقى خروتشوف تعبيره الشهير (إذا كنتم ترغبون ذلك أم لا، التاريخ هو ملكنا. سوف ندفنكم) الذي صدم جميع الحضور. ادعى بعد ذلك أنه لم يكن يتحدث عن حرب نووية، لكن عن انتصار الشيوعية المثبت تاريخيًا على الرأسمالية. في عام 1961 أعلن خروتشوف أنه حتى لو كان الاتحاد السوفيت لم يلحق بالغرب، لكن في غضون عقد ستختفي أزمة الإسكان، وتتوفر السلع الاستهلاكية، وخلال عقدين من الزمان على الأغلب سيُكتمل بناء مجتمع شيوعي في الاتحاد السوفيتي.

استخدم جون فوستر دالاس - وزير خارجية آيزنهاور - سياسة "نيو لوك" في سياسة الاحتواء، داعيًا إلى زيادة الاعتماد على الأسلحة النووية ضد أعداء الولايات المتحدة في وقت الحرب. أكد دالاس أيضًا على عقيدة "الانتقام الهائل" التي تهدد برد قاسٍ للولايات المتحدة على أي عدوان سوفيتي. سمح امتلاك التفوق النووي لآيزنهاور على مواجهة التهديدات السوفيتية للتدخل في الشرق الأوسط خلال العدوان الثلاثي عام 1956.

حلف وارسو، والثورة المجرية:

بينما كان لموت ستالين أثره في تخفيف التوترات قليلًا عام 1953، ظل الوضع في أوروبا هدنة مسلحة غير مستقرة.عقد الاتحاد السوفيتي - الذي أنشأ بالفعل شبكة من معاهدات المساعدة

المتبادلة في الكتلة الشرقية عام 1949 - تحالف رسمي هناك، وهو حلف وارسو عام 1955.

اندلعت الثورة المجرية عام 1956 بعد فترة وجيزة من ترتيب خروتشوف لعزل ماتياش راكوشي، الزعيم الستاليني للمجر. نتيجة للانتفاضة الشعبية، أزال النظام الجديد الشرطة السرية، مُعلنًا نيته للانسحاب من حلف وارسو، والتعهد بإعادة الانتخابات الحرة. قام الجيش السوفيتي بالغزو. أُعتقل آلاف المجريين، وسُجنوا، ورُحلوا إلى الاتحاد السوفيتي، وفر حوالي 200000 مجري من المجر خلال الفوضى. نُفذ حكم الإعدام على القائد المجري إيمري ناج، وآخرين بعد محاكمات سرية.

إذا ما هي الحرب الباردة؟!

الحرب الباردة:

الحرب الباردة هي عبارة عن مواجهة سياسية، وأيديولوجية، وعسكرية في بعض الأحيان غير مباشرة، حدثت بعد الحرب العالمية الثانية خلال الفترة 1947-1991م، أما أطرافها فهم عبارة عن أكبر قوتين في العالم، وهما الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، وحلفاء كل منهما، وكان من مظاهر هذه الحرب انقسام العالم إلى معسكرين هما شيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي، وليبرالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن القول إنّ مصطلح الحرب الباردة يعني صراعًا لا يعلن فيه أحد الطرفين المتحاربين الحرب على الطرف المقابل بشكل رسمي، وقد قاد كل من طرفي الحرب على الآخر باستخدام وسائل الإعلام، والفن، والوسائل السرية كالعملاء السريين، والجواسيس.

وقد استُخدِم مصطلح الحرب الباردة لأول مرة من قِبَل الكاتب الإنجليزي جورج أورويل في مقال كان قد نشره في عام 1945م، وأشار فيه إلى المأزق النووي الذي يمكن أن تتسبب به دولتين، أو ثلاث دول تمتلك كل منها سلاح نووي قادر على إبادة الملايين من الناس في بضع ثوان فقط، كما استخدم المصطلح لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية من قِبَل الممول الأمريكي، والمستشار الرئاسي برنارد باروخ في خطابه الذي ألقاه في عام 1947م في قصر الدولة في مدينة كولومبيا.

أسباب الحرب الباردة:

على الرغم من اتحاد الأمريكيين، والسوفيات في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور إلّا أن العلاقة بينهما كانت متوترة إلى حد ما، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل بحذر بشأن الاتحاد السوفياتي، وانتشار الشيوعية بالإضافة إلى حذرها من الرئيس جوزيف ستالين، والذي كان متعطشًا للدماء إلى حد كبير، كما استنكر الأمريكيون اعتبار السوفيات جزء شرعي من المجتمع الدولي بالرغم من مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية، وموت عدد كبير من الروس فيها، الأمر الذي أثار الحقد بين الشعبين، كما أدى توسع الاتحاد السوفياتي في أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية إلى خوف الأمريكيين من حدوث سيطرة شيوعية على العالم، مما أدى إلى حدوث حرب باردة بين الطرفين يرى المؤرخون أنه لم يكن هناك مفرًا منها، ومن العوامل الرئيسية التي أدت إلى ظهور الحرب الباردة ما يلي:

- **سباق التسلح:**

ففي عام 1949م اختبر الاتحاد السوفياتي القنبلة الذرية الأولى، مما أدى إلى بدء سباق التسلح النووي بين الطرفين، وفي عام 1953م أصبحت القوتان تختبران القنابل الهيدروجينية، وتتنافسان في عمليتي البحث، والإنتاج، وظهرت نظرية التدمير المتبادل المؤكّد (بالإنجليزي: Mutually Assured Destruction MAD) ,التي تنص على أنه لن يتم إطلاق الأسلحة النووية من جانب مالم تطلق من الجانب الآخر، وأصبحت الأسلحة النووية رادعًا، وليس سلاحًا يستخدم في الحرب، وقد هدف الرئيس الأمريكي ترومان إلى ترهيب الاتحاد السوفياتي من الامتثال لأوروبا الشرقية، إلّا أن ردة فعل جوزيف ستالين كانت الغضب بدلًا من الخوف، الأمر الذي دفع إلى متابعة سباق التسلح النووي، وعسكرة كلا الجانبين، وتقريب الحرب.

- **الاختلافات الأيديولوجية:**

من الاختلافات، والانقسامات الأيديولوجية ظهور الشيوعية، فقد ظهرت الدولة الشيوعية في روسيا بعد الثورة البلشفية عام 1917م والتي حلت مكان الحكومة الروسية المؤقتة، وقد عمل البلاشفة على سحب روسيا من الحرب، وترك بريطانيا، وفرنسا للمحاربة وحدهما في الحرب العالمية الأولى، كما ظهرت الرأسمالية مقابل الشيوعية، ولم تتوافق الأنظمة الرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية مع الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، حيث إن الحكومة في النظام الرأسمالي ديمقراطية كما أن الاقتصاد غير مسيطر عليه من قبل الدولة، في حين أن الحزب

الشيوعي يقود الدولة، ويركز السلطة، والاقتصاد في أيدي الحكومة، وقد هدف الجانبان إلى تفوق كل منهما على الآخر؛ لتحقيق مكاسبه الخاصة.

وازدادت درجة الشك، وانعدام الثقة بين القوتين العظميين، عندما غضب ستالين من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا بسبب التأخر في فتح الجبهة الثانية على ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي منح الفرصة لهلتر بتوطيد قواته ضد السوفيات، وقد شك ستالين في أن الولايات المتحدة، وبريطانيا قد تأخرتا لترك السوفيات، والألمان يتقاتلان مع بعضهما، وبالتالي إضعاف الدولتين، الأمر الذي دفع ستالين إلى أن يبحث عن المزيد من الأمن لبلده، وعقد النية على إنشاء منطقة عازلة جغرافية لدول أوروبا الشرقية الصديقة، ولحمايتها من العدوان الغربي المستقبلي، وقد عارضت الولايات المتحدة الأمريكية ذلك الأمر؛ لأنها كانت تنوي إنشاء دولة قوية ديمقراطية، وقد أثارت الاختلافات الأيدويولوجية بين الطرفين العديد من الخلافات، وقررت الولايات المتحدة الأمريكية أن تتبع سياسة الاحتواء والتي كان من أهم بنودها أنه إن لم يمكن القضاء على الشيوعية فلا بد من وقف انتشارها.

وقد اتهم الرئيس الأمريكي ترومان الاتحاد السوفياتي بأنه القوة المحرضة على النظام الديكتاتوري في العالم كما أن السوفيات هم أساس خنق الاقتصاد العالمي، وكتنفيذ لساسية الاحتواء، ومحاربة السوفيات قدمت الولايات المتحدة الأمريكية المعونات الاقتصادية من أموال، ومواد بناء، وخبرات لمعظم دول أوروبا التي كانت تخشى عليها من الخطر الشيوعي السوفياتي، وكانت وجهة نظرهم أنه ما دام البلد مزدهر فلا خوف عليه من سيطرة الشيوعية، وقد ظهرت الانقسامات الناتجة من اختلاف الأيديولوجيا بشكل جلي من خلال إنشاء حلف الناتو في عام 1949م لمواجهة الخطر الشيوعي، كما تم تأسيس ميثاق وارسو في عام 1955م من قِبَل ستالين لمواجهة التحالف العدائي على السوفيات.

ظهور الخلافات حول ألمانيا عندما انتهت الحرب في عام 1945م تم تقسيم ألمانيا إلى أربعة أقسام بين الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفياتي، وقد كان من المقرر أن تدير كل دولة من الحلفاء المنطقة الخاصة بها، وأراد ستالين أن يضعف اقتصاد ألمانيا لضمان عدم قدرتها على النهوض مرة أخرى كما طالب بتعويضات مادية عن خسائر الحرب التي تسببت بها، إلّا أن الحلفاء الغربيون أرادوا أن تكون ألمانيا قوية بما فيه الكفاية لتساهم في التجارة العالمية،

فقد بقيت المناطق البريطانية، والفرنسية، والأمريكية حرة في التجارة، لكن ستالين رفض التجارة مع المناطق الأخرى في القسم الخاص به، كما أنه صادر العديد من المنتجات، والمواد الخام اللازمة لإعادة الإعمار، واستعملها لصالح الاتحاد السوفياتي، وفي عام 1947م تم إنشاء عملة جديدة لتوحيد الاقتصاد البريطاني، والأمريكي، ولتعزيز الاقتصاد في المناطق الألمانية التابعة لهما، أما ستالين فقد خشي أن تنتشر العملة في منطقته، وتضعف إرادته في إضعاف الاقتصاد الألماني مما أدى به إلى إنشاء العملة الألمانية الشرقية الجديدة الخاصة بقطاعه.

وقام ستالين في عام 1948م بحصار مدينة برلين، وقطع جميع الطرق المؤدية إليها، ومنع الحفاء الغربيين من الوصول إليها برا، وكان يهدف إلى إجبارهم على التنازل عنها، كما كان يخاف من قيام قوة اقتصادية عالمية بالاتحاد مع ألمانيا، إلّا أن الحكومات الأمريكية، والبريطانية كانت تنقل المعونات إلى المدينة جوًا من خلال الطائرات لتمد الناس بالوقود، والغذاء، واستمر الأمر على هذا الحال لمدة 11 شهراً، وبعد 322 يومًا رفع ستالين الحصار عن برلين، إلّا أن هذا الأمر زاد من التوتر بين القوتين، والذي كان من أسباب الحرب الباردة.

الأزمة الكورية بدأت الأزمة الكورية في عام 1949م عندما توسع الشيوعيون في الشرق الأقصى؛ لينتهي الأمر بتوليهم للسطلة في الصين، وفي عام 1950م غزا كيم كوريا الشمالية بدعم من الصين، وروسيا، ورأت الولايات المتحدة الأمريكية بوصاية من مجلس الأمن القومي الأمريكي أنه يجب إيقاف سياسة الاحتواء، والبدء في ردع الشيوعية فوفقًا لنظرية الدومينو إن سقطت أي دولة تحت حكم الشيوعية، فستتبعها الدول الأخرى عاجلًا أم آجلًا، وعندما تمت هزيمة كوريا الشمالية بسهولة من قبل الصينين، وسيطر الكونغو على كوريا الجنوبية حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على دعم من هيئة الأمم المتحدة لاتخاذ الإجراء المناسب، وبدأ العمل العسكري الحربي في الحرب الباردة في عام 1950م حيث حاربت الولايات المتحدة الصين، وهددت باستخدام القنبلة الذرية إن لم تتراجع الصين، وتقبل بالسلام، وقد وصلت الحرب إلى طريق مسدود، وانتهت في عام 1953م، ولا تزال الأزمة الكورية تشكل مصدرًا للتوتر إلى يومنا هذا.

نهاية الحرب الباردة:

انتهت الحرب الباردة عندما تولى ريتشارد نيكسون منصبه، وهو رئيس الولايات المتحدة السابع والثلاثين، ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثين، حيث إنه انتهج أسلوبًا جديدًا لإدارة

العلاقات الدولية من خلال استخدام الأسلوب الدبلوماسي بدلًا من العسكري، فعمل على تشجيع الأمم المتحدة للاعتراف بالحكومة الصينية الشيوعية، كما أقام علاقات دبلوماسية مع بكين، وبالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد تبنى سياسة الاسترخاء معه، ففي عام 1972م وقع رئيس الوزراء السوفياتي ليونيد بريجنيف معاهدة تحد من استخدام الأسلحة الاستراتيجية، والتي تمنع أيضًا تصنيع الصواريخ النووية سواء من الجانب السوفياتي، أو الأمريكي، وكانت هذه المعاهدة بمثابة الخطوة التي تحد من التهديد بالحرب النووية، وبالرغم من ذلك قامت الحرب الباردة من جديد عندما استلم الرئيس رونالد ريغان الرئاسة، والذي اعتبر الوجود الشيوعي يشكل خطرًا على الحرية، وظهر مبدأ ريغان الذي ينادي بالتمرد على الشيوعية، ويقدم المساعدات المالية، والعكسرية لمن يقاوم الخطر الشيوعي.

وعندما استلم غورباتشوف منصبه في عام 1985م وهو آخر رئيس للاتحاد السوفياتي قبل انهياره، أعاد بناء العلاقات الروسية مع الدول الأخرى، وكانت سياسته قائمة على أمرين هما الانفتاح السياسي، والإصلاح الاقتصادي، وفي عام 1989م ومع تراجع الاتحاد السوفياتي في أوروبا الشرقية عمدت الدول الشيوعية إلى إحلال حكوماتها، وتغييرها إلى حكومات غير شيوعية، كما تم تدمير جدار برلين، وهو الركن الأساسي، والعامل الأهم في الحرب الباردة، وبحلول عام 1991م كانت الحرب الباردة قد انتهت تمامًا.

ومما يجدر الإشارة إليه أصبحت دول أوروبا الغربية تحت تأثير الولايات المتحدة بفعل المساعدات الأمريكية المقدمة إليها في إطار خطة مارشال، كما قام السوفييتيون بإقامة أنظمة شيوعية علنية في أوروبا الشرقية، وبلغت الحرب الباردة ذروتها في الفترة بين عامي 1948-1953م، وأثناء هذه الفترة حاصر السوفييتيون بلا جدوى القطاعات الغربية التي تسيطر عليها برلين الغربية، كما شكلت الولايات المتحدة، وحلفاؤها الأوروبيون منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، لمقاومة الوجود السوفيتي في أوروبا، وذلك في عام 1949م، وفجر السوفييتيون أول رأس حربي ذري عام 1949م، الأمر الذي أدى إلى إنهاء الاحتكار الأمريكي للقنبلة الذرية.

وصل الشيوعيون الصينيون إلى السلطة في الصين القارية عام 1949م، وغزت حكومة كوريا الشمالية الشيوعية المدعومة من السوفييتيين كوريا الجنوبية المدعومة من قبل الولايات المتحدة في عام 1950م، الأمر الذي أدى إلى حرب كورية غير حاسمة استمرت حتى عام 1953م، وهدأت الحرب الباردة في الفترة ما بين عامي 1953م إلى 1957م، وذلك؛ بسبب وفاة الديكتاتور

السوفياتي جوزيف ستالين في عام 1953م، وفي عام 1955م تم تشكيل منظمة عسكرية موحدة بين الدول السوفياتية، الحرب البادرة.

تعد الحرب الباردة صراعًا امتد في القرن العشرين بين الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، وحلفائهم حول القضايا السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والتي وُصفت في كثير من الأحيان بأنّها صراع بين الرأسمالية، والشيوعية، ويُطلق على هذه الحرب اسم الحرب الباردة لأنّها لم تشهد أي اشتباكات عسكرية مباشرة بين الزعيمين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفييتي، على الرغم من تبادل الطلقات النارية في الهواء أثناء الحرب الكورية.

تعبر الحرب الباردة عن فترة من التوتر الاقتصادي، والسياسي، والعسكري، بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي بين عامي 1945 إلى 1991م، وذلك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عند نشوء تعقيدات تركز على تحول السلطة الدولية؛ حيث أراد الاتحاد السوفيتي الحصول على أراضٍ إضافية، وفي المقابل حاولت الولايات المتحدة الحد من المكاسب التي يريدها السوفييتيون، وأسفرت معركة الأيديولوجيات هذه عن زيادة الأمن القومي، والتوتر الدبلوماسي، والحروب التفويضية بين الدولتين القويتين.

بداية الحرب الباردة تركت الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة، وروسيا كقوى عسكرية مهيمنة في العالم، وتمتلك كل دولة منهما شكلين مختلفين من الحكم والاقتصاد؛ حيث تعد الولايات المتحدة دولة ديمقراطية رأسمالية، بينما تعد الأخرى دولة حكم شيوعية ديكتاتورية.

بعد استسلام ألمانيا النازية في شهر أيار من عام 1945م قرب نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ التحالف المضطرب أثناء الحرب بين الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى من جهة، والاتحاد السوفياتي من جهة أخرى بالانحلال، وبحلول عام 1948م، قام السوفيتيون بتثبيت حكومات يسارية في بلدان أوروبا الشرقية التي تم تحريرها من قبل الجيش الأحمر، لذلك خشي الأمريكيون، والبريطانيون من السيطرة السوفياتية الدائمة على أوروبا الشرقية، وتهديد الأحزاب الشيوعية السوفييتية، القادمة إلى السلطة في ديمقراطيات أوروبا الغربية، ومن جهة أخرى، صمم السوفييتيون على الحفاظ على سيطرتهم على أوروبا الشرقية من أجل الحماية ضد أي تهديد جديد محتمل من ألمانيا، وكان في نيتهم أيضًا نشر الشيوعية في جميع أنحاء العالم، لأسباب إيدولوجية إلى حد كبير.

الأحداث الأولى الحرب الباردة تعززت الحرب الباردة بين عامي 1947م-1948م عندم، وهي ميثاق وارسو، كما تم قبول ألمانيا الغربية في الناتو في العام ذاته.

الحرب الباردة في الستينيات، والسبعينيات في الفترة الممتدة بين عامي 1958م-1962م شهدت الحرب الباردة مرحلة مكثفة أخرى، وبدأت الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي بتطوير صواريخ باليستية عابرة للقارات، وبدأ السوفييتيون سرًا بتركيب صواريخ كوبا في عام 1962م، التي يمكن استخدامها لشن هجمات نووية على المدن الأمريكية، الأمر الذي أدى إلى إثارة أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962م، وهي مواجهة جلبت القوتين العظيمتين إلى حافة الحرب قبل التوصل إلى اتفاق لسحب الصواريخ، وشهدت سبعينات القرن الماضي أحداثًا أقل حدة للحرب الباردة كما يتضح من محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سالت) التي أدت إلى اتفاقيتي سالت 1، وسالت 2 لعامي 1972م و 1979م على التوالي.

نهاية الحرب الباردة في أوائل الثمانينيات واصل القوتان العظيمتان تعزيزهما الهائل للأسلحة، والتنافس على النفوذ في العالم الثالث، وبدأت الحرب الباردة بالتفكك في أواخر الثمانينيات أثناء إدارة الزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف الذي فكك الجوانب الشمولية للنظام السوفياتي، وبذل جهودًا لإضفاء الطابع الديمقراطي على النظام السياسي السوفييتي.

بعد انهيار الأنظمة الشيوعية في بلدان الكتلة السوفييتية في أوروبا الشرقية في الفترة الممتة بين عامي 1989-1909م، ووصول الحكومة الديمقراطية إلى الحكم في ألمانيا الشرقية، وبولندا، والمجر، وتشيكوسلوفاكيا، توحدت ألمانيا الغربية مع الشرقية، تحت رعاية الناتو، وأدت الإصلاحات الداخلية لغورباتشوف إلى أضعاف حزبه الشيوعي، وسمحت للسلطة بالانتقال إلى روسيا، والجمهوريات الأخرى المكوّنة للاتحاد السوفيتي، وفي أواخر عام 1991م انهار الاتحاد السوفياتي، ونشأت 15 دولة مستقلة منها دولة روسيا، وبذلك انتهت الحرب الباردة.

الفصل الخامس
حرب الاستنزاف

الصراع العربي الإسرائيلي:

حرب الاستنزاف، أو حرب الألف يوم كما أطلق عليها بعض الإسرائيليون. والاستنزاف: هو مصطلح أطلقه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر على الحرب التي اندلعت بين مصر، وإسرائيل على ضفتي قناة السويس. بدأت أحداثها عندما تقدمت المدرعات الإسرائيلية صوب مدينة بور فؤاد بهدف احتلالها يوم 1 يوليو، 1967، فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عرف بمعركة رأس العش.

تصاعدت العمليات العسكرية خلال الأشهر التالية خاصة بعد مساندة العرب لدول المواجهة أثناء مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، ورفض إسرائيل لقرار مجلس الأمن 242 الداعي لانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلها عقب انتصارها الخاطف على العرب خلال حرب يونيو.

استمرت الحرب لنحو ثلاث سنوات، وخلالها استهدفت غارات سلاح الجو الإسرائيلي المدنيين المصريين أملا في إخضاع القيادة السياسية المصرية، مستخدمين في ذلك مقاتلات الفانتوم الأمريكية الحديثة.

كما استعان المصريون بالخبراء السوفييت، وصواريخ الدفاع الجوي السوفياتية؛ لتأمين العمق المصري. وشهدت الحرب أيضًا معارك محدودة بين إسرائيل وكل من سوريا، والأردن، والفدائيين الفلسطينيين. وفي 7 أغسطس، 1970 انتهت المواجهات بقرار الرئيس عبد الناصر، والملك حسين قبول مبادرة روجرز لوقف إطلاق النار. ولم تؤد الحرب إلى أي تغييرات في خطوط وقف إطلاق النار، ولم تنجح كذلك المساعي الهادفة للتوصل إلى تسوية سلمية؛ بسبب التعنت

الإسرائيلي، وإنما سادت حالة من اللا سلم، واللا حرب، والتي أدت بدورها إلى نشوب حرب أكتوبر بعد ثلاث سنوات.

الخلفية التاريخية:

أدت الهزيمة في حرب 67 إلى جلاء الجيش المصري عن سيناء، وتحشده على الضفة الغربية للقناة، وتوقف إطلاق النار بعد 6 أيام من اندلاع الحرب. وأصدرت القيادة العسكرية المصرية توجيهات قبل أن ينصرم شهر يونيو 1967 تحدد فيها: "إن مرحلة إعادة التنظيم بنيت على أساس عزيمة، وإيمان المقاتل في جيشنا، وقدراته على القتال، معتمدًا على الضبط، والربط، والأخلاق، والروح القتالية تمهيدا لإعادة سيناء بالكامل. ومن أجل هذا الوطن العزيز علينا جميعًا. فلن يسمح بارتداد أي فرد، أو أي معدة من خطوطنا الدفاعية الحالية، ولن يصدر من القائد العام، أو أي قائد أمرًا بالارتداد. وأن نموت جميعًا في مواقعنا الدفاعية أشرف لنا من وصمنا بالعار، ووصمة الشرف العسكري الذي نتحلى به". وكان هذا الأمر تصحيحا للعرف السائد منذ عام 1956 بارتداد الجيش، على أن تتولى السياسة تصحيح الأوضاع.

و قد سارعت القوات المسلحة المصرية على امتداد الجبهة بتنظيم الدفاعات بما تيسر لها من إمكانيات، لا تزيد عن 100 دبابة و 150 مدفعًا يوم 10 يونيو 1967، أخذت في التزايد من خلال المساعدات من الدول العربية، والصديقة، التي سارعت بإرسال أسلحة، ومعدات إلى جانب تنفيذ الاتحاد السوفياتي لبعض عقود صفقات أسلحة قديمة؛ لتصل كفاءة القوات المسلحة إلى حوالي 50% من الكفاءة المقررة لها في نهاية عام 1967، كما أن التصالح العربي في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، ساعد على سحب القوات المصرية من اليمن لتتولى مسئوليتها الوطنية على الجبهة.

في 1 يوليو 1967 فتحت مدفعية الجيش المصري نيرانها على الجيش الإسرائيلي قرب قناة السويس لترد إسرائيل في اليوم التالي بتوجيه ضربه جوية لسلاح المدفعية المصري، وفي 4 يوليو، وقام سلاح الجو المصري بضرب عدة أهداف إسرائيلية في سيناء لتبدأ بذلك حرب الاستنزاف.

وقد بذلت جهود كبيرة على مختلف المستويات بدءا من رئيس الجمهورية المصري إلى وزير الحربية، والقائد العام للقوات المسلحة، ورئيس الأركان، وقادة الأفرع الرئيسية، والجيوش الميدانية. كل على مستواه يحاول إقناع نظيره من الاتحاد السوفياتي بضرورة تزويد مصر بأسلحة

متطورة، وعدم الاكتفاء بالأسلحة القديمة التي وردت من الاتحاد السوفيتي سواء من خلال الدعم، أو الصفقات. وكان محور الحديث دائما ينصب على مقارنات واقعية بين قدرات الأسلحة الإسرائيلية التي تستخدمها فعلا، وقدرات الأسلحة التي أمد الاتحاد السوفياتي بها مصر، والتي أثبت الجزء الأكبر منها قصورا، في حرب يونيو في مواجهة الأسلحة الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال، كان لا يمكن للمقاتلات من طراز ميج 15 وميج 17، ذات المدايات القصيرة، والتسليح المحدود أن تجابه الطائرات الإسرائيلية من طراز ميراج، وسوبر مستير، وسكاي هوك، وخلافه. وكان لا يمكن أن تتصدى الدبابات من طراز ت 34 المستخدمة في الحرب العالمية الثانية، للدبابات الإسرائيلية المطورة من طراز شيرمان، وسنتوريون. كما أن وسائل الإنذار الجوي تعد من طرازات عتيقة، ولا تساير استراتيجية استخدام سلاح الجو الإسرائيلي، وغير ذلك الكثير.

مراحل حرب الاستنزاف:

بدأت مصر صراعها المسلح ضد إسرائيل بمرحلة أطلق عليها مرحلة الصمود، انتقلت بعدها القوات المسلحة المصرية إلى مرحلة الدفاع النشط، ثم تطور القتال إلى مرحلة جديدة أطلق عليها الاستنزاف؛ لتصل الحرب إلى ذروتها.

ومرحلة الصمود، كان الهدف منها هو سرعة إعادة البناء، ووضع الهيكل الدفاعي عن الضفة الغربية لقناة السويس. وكان ذلك يتطلب هدوء الجبهة حتى توضع خطة الدفاع موضع التنفيذ بما تتطلبه من أعمال كثيرة، وبصفة خاصة أعمال التجهيز الهندسي المطلوبة. واستغرقت هذه المرحلة المدة من يونيو 1967 إلى أغسطس 1968.

أما مرحلة الدفاع النشط، أو المواجهة فقد كان الغرض منها تنشيط الجبهة، والاشتباك بالنيران مع القوات الإسرائيلية بغرض تقييد حركة قواتها في الخطوط الأمامية على الضفة الشرقية للقناة، وتكبيدها قدرا من الخسائر في الأفراد، والمعدات. واستغرقت هذه المرحلة المدة من سبتمبر 1968 إلى فبراير 1969.

و تصاعد القتال إلى مرحلة جديدة أطلق عليها الاستنزاف، أو مرحلة التحدي، والردع، وذلك من خلال عبور بعض القوات، والإغارة على القوات الإسرائيلية، وكان الهدف منها تكبيد إسرائيل أكبر قدر من الخسائر في الأفراد، والمعدات؛ لاقناعها بأنه لابد من دفع الثمن غاليا للبقاء

في سيناء، وفي نفس الوقت تطعيم الجيش المصري عمليا، ومعنويا للمعركة. واستغرقت هذه المرحلة من مارس 1969 إلى أغسطس 1970.

مرحلة الصمود:

اشتملت هذه المرحلة على بعض العمليات المهمة، التي كان لها تأثير كبير على المستوى المحلي، والعربي، والعالمي، وهي:

معركة رأس العش: وقعت أحداثها يوم 1 يوليو 1967، وتعتبر هذه المعركة هي الشرارة الأولى للحرب، عندما حاولت المدرعات الإسرائيلية احتلال مدينة بور فؤاد، فصدتها عن المدينة قوة من الصاعقة المصرية. إن نجاح القوات المصرية، ذات القدرات المحدودة في ذلك الوقت، وبسالتها، ضد قوات معادية متفوقة يساندها سلاح الجو الإسرائيلي، أثار مشاعر المقاتلين على طول خط الجبهة حمية، وحماسا، واستعدادا للمواجهة المنتظرة.

معارك القوات الجوية: خلال يومي 14 و 15 يوليو 1967، نفذت القوات الجوية المصرية طلعات هجومية جريئة ضد القوات الإسرائيلية في سيناء، أحدثت فيها خسائر فادحة، بل أدت إلى فرار بعض من الأفراد الإسرائيليين من مواقعها. ومن هنا زادت الثقة لدى المقاتلين في قواتهم الجوية بعد هذه العملية الناجحة.

معارك المدفعية: كان الاشتباك الكبير الذي ركزت فيه المدفعية المصرية كل إمكانياتها في قطاع شرق الإسماعيلية يوم 20 سبتمبر 1967، والذي تمكنت فيه من تدمير، وإصابة عدد غير قليل من الدبابات الإسرائيلية، وصل إلى 9 دبابات مدمرة، فضلا عن الإصابات في الدبابات الأخرى، وعربتين لاسلكي، وقاذف مدفعية صاروخية، بالإضافة إلى 25 قتيل، و 300 جريح منهم ضابطين برتبة كبيرة.

إغراق المدمرة البحرية الإسرائيلية إيلات: كان ذلك يوم 21 أكتوبر 1967، إذ تمكنت زوارق صواريخ البحرية المصرية من إغراق المدمرة إيلات في منطقة شمال شرق بورسعيد، وتعد هذه المعركة أول استخدام للصواريخ سطح سطح.

وكانت خسارة فادحة للقوات البحرية الإسرائيلية، خاصة، وأن هذه المدمرة كانت تمثل أهمية كبيرة للبحرية الإسرائيلية في ذلك الوقت، كما كانت خسائرها كبيرة في الأرواح، الأمر الذي

دفعها لاستئذان مصر عن طريق الأمم المتحدة في البحث عن القتلى، والغرقى، في منطقة التدمير شمال بورسعيد، واستمرت في عمليات البحث، والإنقاذ لأكثر من 48 ساعة بعد أن وافقت مصر على ذلك.

ومع استكمال الخطوط الدفاعية، وتماسكها في نطاقات عميقة غرب القناة، تكونت احتياطيات الجبهة خفيفة الحركة. وكانت الخطط النيرانية تعتمد على المدفعية بأعيرتها المختلفة. وعندها بدأت الدوريات المصرية المقاتلة من المشاة، والقوات الخاصة، والمهندسين في التسلل شرقا، ومهاجمة المواقع الدفاعية الإسرائيلية، مع التركيز ضد المناطق الإدارية الإسرائيلية، وكانت المدفعية تؤمن أعمالها بالنيران.

كما استمرت معارك المدفعية، والتراشق بالنيران طوال مرحلة الصمود، استهلكت فيها آلاف الأطنان من الذخائر بمعدل فاق جميع الحروب السابقة. إضافة إلى نشاط أفراد القناصة المهرة، الذين دربوا لقنص أفراد الجيش الإسرائيلي، وقادته، سواء في نقاط المراقبة، أو أثناء تحركهم على الضفة الشرقية للقناة.

وعلى صعيد رد الفعل الإسرائيلي بعد معركة رأس العش، قامت القوات الإسرائيلية يوم 4 يوليو 1967، بمحاولة فاشلة لإنزال لنشات، وقوارب في قناة السويس في مناطق القنطرة، وكبريت، والشط، وبور توفيق؛ لإبراز سيطرتها على القناة. إلا أن القوات المصرية تصدت لها في البر، والبحر، والجو، مما أدى إلى إفشال جميع المحاولات بعد أن أصيب لإسرائيل 8 طائرات، و8 زوارق بحرية، فضلًا عن إصابة، وتدمير 19 دبابة، و18 مركبة مدرعة، و27 مركبة محملة بالذخائر، إضافة إلى خسائر كبيرة في الأفراد. في حين كانت خسائر القوات المصرية 25 شهيد، و 108 جرحى، وفي المعدات 3 طائرات، وزورقان بحريان.

واستمر تبادل المبادأة، وردود الأفعال بين الجانبين. فبعد ثلاثة أيام من تدمير المدمرة إيلات، أي في 24 أكتوبر 1967، وجهت القوات الإسرائيلية على طول الجبهة، قصفات نيرانية مركزة ضد مدن القناة، ومصانعها، وضد المدنيين. وبطبيعة الحال كان رد القوات المصرية الفوري عليها، حيث اشتعل القتال بالتراشق النيراني، على مدى 24 ساعة متصلة، تكبد فيها الجانبان كثيرًا من الخسائر، خاصة في الأفراد المدنيين المتبقين بمدن القناة.

وفي 3 يناير 1968، حاولت هيئة قناة السويس فتح ممر الملاحة بالقناة. فدفعت زورق لاستطلاع مجرى القناة، إلا أن القوات الإسرائيلية فتحت نيرانها عليه، مما اضطر طاقم الزورق إلى العودة. ثم جرت محاولة مرة أخرى قبل ظهر اليوم نفسه، وفشلت للمرة الثانية. وعند ذلك تصاعدت الاشتباكات على كلا ضفتي القناة، وشملت الجبهة كلها.

وقد انتقلت ردود الفعل كذلك إلى الجانب الإسرائيلي، في نهاية مرحلة الصمود في يونيو 1968؛ بسبب تكثيف القوات المصرية، من عمليات دفع الدوريات، والكمائن إلى الضفة الشرقية للقناة، وبمعدل شبه يومي، وفي مناطق متفرقة، وغير متوقعة، مع نجاح معظمها في تحقيق نتائج جيدة من تدمير، وخطف أسرى، ووثائق، وأسلحة، والعودة بمعلومات قيمة. فكثفت القوات الإسرائيلية نشاط طيرانها، ضد أهداف مدنية في العمق المصري، مع تصعيدها للقصف المدفعي، والدبابات، والتي شملت أحيانا مواجهة الجبهة بالكامل. واستمر الحال على هذا المنوال طوال مرحلة الصمود، التي استنزفت، وأجهدت القوات الإسرائيلية، في حرب طويلة ثابتة لم يتعودوا عليها.

مرحلة الدفاع النشط، أو المواجهة:

يعد يوم 8 سبتمبر 1968، نقطة تحول الرئيسية في تنشيط الجبهة. فكان هذا اليوم بداية مرحلة الدفاع النشط، التي أرادت مصر أن تبدأها بقوة، تعلن عن نفسها إقليميا، وعالميا، وتصاب فيها القوات الإسرائيلية بأكبر قدر من الخسائر. وقد شملت أعمال قتال هذا اليوم على قصفات مدفعية، مدبرة، وتحت سترها تدفع دوريات قتال على طول الجبهة. وقد خططت هذه القصفات مركزيا بحيث تشمل جميع الأهداف الإسرائيلية شرقي القناة حتى عمق 20 كيلومترا. وروعي أن تبدأ قبل آخر ضوء بفترة مناسبة، وتستمر إلى ما بعد آخر ضوء، وقد اشترك في هذه القصفات 38 كتيبة مدفعية من مختلف الأعيرة، أطلقت نيرانها لمدة ثلاث ساعات، من الرابعة والنصف إلى السابعة والنصف مساء، وشاركت جميع الأسلحة المضادة للدبابات؛ لتطلق نيرانها من الضفة الغربية للقناة، على الأهداف المعادية المرئية على الضفة الشرقية.

واستهدفت هذه القصفات خط بارليف، الجاري إنشاءه في المقام الأول، ثم جميع مواقع الصواريخ 216 مم، 240 مم التي يستخدمها الجانب الآخر في التأثير على مدن القناة، وجميع مواقع المدفعية، ومناطق الشؤون الإدارية، ومناطق تمركز الأفراد. وقد شكلت هذه القصفات صدمة نفسية للجانب الآخر، حيث شعر لأول مرة أن السيطرة النيرانية قد آلت للقوات المسلحة المصرية. وتكبدت إسرائيل خسائر جسيمة، شملت تدمير 19 دبابة، وثمانية مواقع صواريخ، وعشرات الدشم، ومناطق الشؤون الإدارية، ومناطق التمركز. وأسكتت خلالها جميع مدفعيات إسرائيل، التي قدرت وقتها بسبعة عشر بطارية مدفعية.

خلال حرب الاستنزاف:

وفي 26 أكتوبر تكررت قصفات المدفعية المركزة، ولكن بصورة أقل، حيث اشتركت فيها 23 كتيبة مدفعية، أطلقت نيرانها لمدة سبعين دقيقة. واستهدفت بالدرجة الأولى تدمير مواقع الصواريخ 216، 240 مم بعد تحديدها بدقة من خلال الدوريات التي سبق دفعها، ومن خلال صور جوية حديثة. وتحت ستر هذه القصفات، دفع العديد من الكمائن لاصطياد الدبابات، والمركبات التي تحاول الهروب أثناء القصف. وقد نجح هذا القصف كذلك، وشكل للجانب الآخر صورة غير مألوفة

من الإزعاج؛ نتيجة للخسائر التي تكبدها، والتي حددها بعد ذلك بأنها 49 فردا بين قتيل، وجريح علاوة على تدمير وحدات الصواريخ.

وطبقا للفكر الإسرائيلي، الذي تلقى خسائر ليست هينة على جبهة القناة، واقتنع بأن التفوق آل إلى المصريين في هذه المنطقة، فقد لجأ إلى توسيع الجبهة، وامتدادها إلى مناطق بعيدة للغاية، حتى تضطر القيادة المصرية إلى نشر قواتها على مواجهة ألف كيلومترا، تمثل طول الحدود الشرقية المصرية بالكامل، ومن ثم يتلاشى التفوق المصري على الجبهة.

ووضع القيادة السياسية في مأزق، عندما يشعر الشعب أن إسرائيل اخترقت أعماقه، ودمرت أهدافا حيوية دون أن تتعرض لها القوات المسلحة المسؤولة أساسًا عن تأمين هذا الشعب. وقد اختارت إسرائيل هدفها في نجع حمادي، وفي محطة محولات كهرباء السد العالي بالتحديد، حتى يكون التأثير محسوسًا لدى الشعب كله.

وقد تمت هذه العملية ليلة 1 نوفمبر 1968، من خلال عملية ليلية، أريد بها هدفًا سياسيا، وليس عسكريا. واستخدم فيها طائرات الهليوكوبتر سوبر فريليون، التي كانت إسرائيل قد حصلت عليها حديثا. واختير أفراد القوة الإسرائيلية من المظليين الذين يتكلمون العربية بطلاقه، حتى أعتقد أهالي المنطقة أنهم مصريون. ولذلك لم يتعرضوا لهم في البداية، مما أدى إلى نجاح هذه العملية التي كان تأثيرها ضعيفا، ولم تحقق الهدف السياسي الذي خططته إسرائيل.

أما على الجانب العسكري المصري، فكان لا بد من إعادة النظر في تأمين العمق المصري، حتى لا تلجأ إسرائيل لتكرار هذه العملية. وفي الوقت نفسه أعيد تقييم العمليات العسكرية، لتأخذ صورة أخرى أشد من قصفات المدفعية. وقد كان ذلك سببا في تهدئة الأوضاع على الجبهة إلا من الاشتباكات بالأسلحة الصغيرة، وإطلاق حرية قنص أفراد الجيش الإسرائيلي، ومنعهم من التحرك بحرية على طول الجبهة، مع تكثيف دفع دوريات الاستطلاع، للحصول على أكبر قدر من المعلومات للمرحلة القادمة. أما في عمق الدولة، فقد نفذ العديد من إجراءات التأمين، من خلال وحدات الدفاع الشعبي على مستوياتها المختلفة.

وقد استغلت القوات الإسرائيلية هذه المرحلة في تحسين موقفها الدفاعي، واستكمال تحصينات خط بارليف، الذي تابعته القوات المصرية جيدا، واكتشفت نقاط ضعفه، تمهيداً لتدميره

في مراحل لاحقة.

مرحلة التحدي، والردع، أو الاستنزاف:

طبقا للتخطيط المصري، كان شهر فبراير 1969 يمثل نهاية الشهور الستة المحددة، كمرحلة انتقالية بما كان يطلق عليه الدفاع النشط. وشهد مارس 1969 أهم مراحل التصعيد العسكري ما بين الجولتين: الثالثة، والرابعة في الصراع العربي الإسرائيلي. وقد أديرت هذه المرحلة سياسيا، وعسكريا بتنسيق متكامل؛ لتحقق الهدف منها، ولتتوازن في التصعيد، والتهدئة. وتحددت مهامها في تقييد حرية تحركات العدو على الضفة الشرقية للقناة، وإرهاقه، وإحداث أكبر خسائر به، وكانت هذه المرحلة التي امتدت من يوم 8 مارس 1969 إلى 8 أغسطس 1970، طويلة، وشاقة، وهي لا تقل عسكريا عن أي جولة من جولات الصراع العربي الإسرائيلي، بل تعد أطول جولة في تاريخ هذا الصراع.

من 8 مارس، وحتى 19 يوليو 1969

بدأت هذه المرحلة صباح 8 مارس 1969، وامتدت إلى 19 يوليو من العام نفسه، وتميزت بسيطرة مطلقة للقوات المصرية على خط الجبهة. وكانت المدفعية هي الوسيلة الرئيسية للعمل خلالها، حيث صبت على حصون خط بارليف، والأهداف الأخرى، حوالي 40 ألف قذيفة، بادئة أعمالها يوم 8 مارس بأكبر حشد نيراني مؤثر منذ توقفت نيران حرب يونيو.

واستمر هذا القصف ساعات متواصلة، اشتركت فيه 34 كتيبة مدفعية، يعاونها حشد من أسلحة الضرب المباشر كالمدافع المضادة للدبابات، والدبابات الثقيلة عيار 122 مم؛ لتدمير مزاغل نيران دشم خط بارليف. وقد أحدث هذا القصف تأثيرا شديدا على الطرف الآخر القابع شرق القناة، حتى وصل حجم الخسائر تدمير حوالي 29 دبابة، و30 دشمة في خط بارليف، وإسكات 20 بطارية مدفعية، وحرائق شديدة في ست مناطق إدارية، وغير ذلك من الخسائر.

وفي الساعة 3:30 من بعد ظهر يوم 9 مارس 1969، استشهد الفريق: عبد المنعم رياض أثناء جولة له، ومعه مجموعة قيادته، في قطاع الجيش الثاني الميداني، في منطقة النقطة الرقم 6 بالإسماعيلية، وذلك عندما أطلق الجانب الإسرائيلي نيران مدفعيته، وانفجار إحدى الدانات بالقرب منهم، حيث أصابتهم جميعا، واستشهد الفريق عبد المنعم رياض أثناء إخلائه.

في 13 مارس 1969، وقع حدثان متضادان في وقت واحد، وفي منطقة واحدة، حيث بدأت إغارات القوات المصرية لتدمير موقع للجيش الإسرائيلي، في منقطة جنوب البحيرات نفذتها الكتيبة 33 صاعقة، ونجحت في مهمتها، ودمرت الموقع، وخطفت أسيرًا، وأصابت دبابتين، وغنمت عينات من أسلحة العدو، وألغامه.

وفي الوقت نفسه، كانت القوات الإسرائيلية تحاول إنزال قوارب، والإغارة على منطقة قريبة في منطقة جنوب البحيرات أيضا، حيث قوبلت بنيران شديدة من القوات المصرية التي كانت على أعلى درجة الاستعداد لتأمين إغارتها. وبذلك أفشلت المحاولة، واستمرت الاشتباكات بالنيران طوال الليل.

ولم تجد القوات الإسرائيلية، وسيلة للرد سوى إعادة قصف مدن القناة. فقصفت قطار السكة الحديد في مساره بين الإسماعيلية، والسويس في منطقة الشلوفة. واستمرت القوات المصرية في تصعيد أعمالها القتالية. حتى كان يوم 17 إبريل 1969، حيث نفذت قوات الجيش الثاني الخطة هدير، بتوجيه مدافع الدبابات الثقيلة إلى فتحات المراقبة، والتسديد لدشم خط بارليف لتخترقها. وتفجرت الدشم من الداخل، وقتل الأفراد المتحصنين بها. وقد نجحت الخطة تماما بما أدى إلى تطاير تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي الجنرال موشى ديان، ومهددا القوات المصرية التي لم تعبأ بتهديده، بل أعادت الإغارة على نقطة دفاعية قوية جنوب البلاح لتدمرها.

وكان الرد الإسرائيلي متوقعا، حيث أغار يوم 29 إبريل 1969 على محطة محولات نجع حمادي للمرة الثانية، وأسقط عبوات ناسفة زمنية قرب إدفو أصابت بعض المدنيين الأبرياء. وكان الرد المصري مباشرا، وسريعا وفي الليلة التالية مباشرة، بالإغارة على نقطة جنوب البلاح للمرة الثانية، ونسفها بالكامل.

خلال شهري يونيو، ويوليو، تصاعدت الإغارات من الجانبين. فقد نفذ الجانب الإسرائيلي خمس إغارات، استهدفت مواقع منعزلة على ساحل خليج السويس، والبحر الأحمر، كان أهمها العملية بولموس، أو الإغارة على الجزيرة الخضراء شمالي الخليج يوم 19 يوليو 1969، التي قادها الجنرال رفائيل ايتان، واستهدفت في الأساس موقع الرادار في الجزيرة. وقد أبدت القوات المدافعة جسارة نادرة شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء، لدرجة أن قائد الموقع لما شاهد نجاح القوات الإسرائيلية في الوصول إلى الجزيرة، طلب من المدفعية قصف الجزيرة بالكامل، بما فيها من

إسرائيليين، ومصريين، وكان من نتيجة ذلك أن فشلت الإغارة، وتكبد الإسرائيليون خسائر كبيرة، أجبرت الجنرال ايتان على الانسحاب.

وفي المقابل شنت القوات المصرية غارات ناجحة على نقط الجيش الإسرائيلي القوية، أحدثت تدميرا، وخسائر في نقطتي شمال البلاح، والشط. أما الإغارة على نقطة لسان التمساح شرق مدينة الإسماعيلية، وهي النقطة التي أصابت الشهيد الفريق عبد المنعم رياض، فكانت هي الثأر المدبر من القوات الخاصة المصرية بقيادة الشهيد المقدم إبراهيم الرفاعي. فقد أغارت هذه القوات المدربة على أعلى مستوى ليلة 8 يوليو 1969، وقتلت، وأصابت حوالي 30 جنديا إسرائيليا، ودمرت دبابتين، ونسفت 4 دشم، وخسرت هذه القوات 9 شهداء.

أما الإغارة الأخرى التي أصابت القيادة الإسرائيلية في مقتل فكانت هي الإغارة على نقطة لسان بور توفيق ليلة 11 يوليو، وفي التوقيت نفسه، إغارة أخرى على النقطة القوية في منطقة القرش شمال الإسماعيلية. وقد نتج عن إغارة لسان بور توفيق قتل، وجرح 40 فردا، وتدمير خمس دبابات، وأربع دشم، وأسير واحد، دون أن تتكبد القوات المصرية أي خسائر.

وقد أدت نتائج هذه الإغارات الأليمة إلى تغيير جذري في خطط إسرائيل؛ لمجابهة الاستنزاف المصري، والتصعيد بالاستنزاف المضاد، إلى مرحلة أكثر شمولا بإدخال الطيران الإسرائيلي ذراع إسرائيل الطويلة في المعركة، وتنفيذ العملية بوكسر. ويقول زئيف شيف المحلل الإسرائيلي في كتابه عن حرب الاستنزاف. أن عملية لسان بور توفيق هي التي أنهت الجدل داخل أروقة القيادة الإسرائيلية حول حتمية تدخل الطيران في المعركة. ويستطرد: " لقد كان هذا النجاح هو أبرز ما حققه المصريون، ومن الواضح أنه كان سيحفزهم إلى نشاط أكبر، لا مناص عنه.

من 20 يوليو، وحتى نهاية عام 1969

اعتبارا من 20 يوليو 1969، بدأت المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف بإدخال إسرائيل لعامل رئيسي جديد في هذه الحرب، اتسعت من خلاله مجالات المواجهة؛ ليشمل مسارح العمليات بالكامل، بعد أن كانت مقتصرة على المسرح البري خلال الفترة السابقة. وقد افتتحت إسرائيل هذه المرحلة بتنفيذ العملية بوكسر، التي تتلخص في تنفيذ 500 طلعة طائرة تقصف 2500 قنبلة بإجمالي 500 طن على أهداف منتخبة خلال 10 أيام، وهي مواقع الدفاع الجوي، والرادارات، ومواقع

المدفعيات، والقوات في الجبهة. ويفخر رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال حاييم بارليف، بأنه خلال الفترة من 20 يوليو، وحتى 7 سبتمبر 1969، نفذت الطائرات الإسرائيلية 1000 غارة لإجبار مصر على نشر قواتها، وتخفيف الحشد في جبهة القناة.

وفي يوم 9 سبتمبر 1969، خلال عملية رافيف، قامت إسرائيل بإنزال سرية دبابات ت 55 من مخلفات حرب يونيو في منطقة أبو الدرج على ساحل البحر الأحمر، اتجهت جنوبا إلى الزعفرانة مدمرة كل الأهداف، والسيارات المدنية التي اعترضت طريقها، مستغلة خلو المنطقة تماما من آية قوات عسكرية سوى بعض نقاط المراقبة، ونقطة تمركز بحرية بها لنشي طوربيد مصريين حرصت على تدميرهما قبل بداية الإنزال بواسطة الضفادع البشرية.

وقد نجحت الإغارة دعائيا على الرغم من أنها لم يكن لها مردود عسكري مؤثر، إلا أن رد فعل الإغارة كان عميقا في القيادة العامة؛ لتحديد مسئولية عدم اكتشاف قوة الإغارة أثناء وجودها على الشاطئ الشرقي للخليج قبل تنفيذ العملية، وكذلك مسئولية عدم اتخاذ إجراء إيجابي قوي لمواجهة القوة بعد نزولها على الشاطئ الغربي، وبقائها 6 ساعات. وقد استغلت إسرائيل هذه الإغارة إعلاميا بطريقة مثيرة، بعد أن سجلت لها فيلما عرضته على الشعب الإسرائيلي.

افتتحت القوات الخاصة المصرية أول أيام شهر أكتوبر 1969، بعملية كبري للرد على إنزال العدو في الزعفرانة. فقد أبرت قوة من المجموعة 39 عمليات خاصة بحرا، وجوا في منطقة رأس ملعب. وتقدمت على الطريق الساحلي في هذه المنطقة حتى رأس مطارمة، ونسفت جميع الأهداف العسكرية ثم نسفت الطريق نفسه.

ووضعت ألغاما، وشراكا خداعية في بعض المناطق، وعادت سالمة. وقد انفجرت هذه الألغام في القوات الإسرائيلية التي هرعت للنجدة بعد انسحاب القوة. في شهري نوفمبر، وديسمبر، تملكت القوات المصرية زمام المبادرة، وتوسعت في أعمال الكمائن النهارية، بعد أن أوقفت إسرائيل التحركات الليلية تفاديا للكمائن التي دمرت الكثير من قواته المتحركة. ومن أهم الإغارات التي نفذت خلال هذه الفترة:

ليلة 28 نوفمبر 1969: نسفت القوات الخاصة طريق شرم الشيخ، الطور في منطقة جنوب سيناء، من خلال عملية إبرار بحري وجوي، كما أغارت على بعض الأهداف، في المنطقة.

ليلة 30 نوفمبر 1969: أغارت مجموعة من القوات الخاصة على موقع شمالي الشط، أدى إلى قتل، وإصابة 70 فردا، وتدمير 3 دبابات، وعدد من الدشم.

يوم 6 ديسمبر 1969: احتلت قوة تقدر بحوالي مجموعه كتيبة مشاة الضفة الشرقية للقناة، بعد تدمير جميع الأهداف المعادية، والاحتياطيات المحلية، ومنطقة شؤونه الإدارية، مع التمسك بالأرض. وطلب قائد الجيش الثاني استمرار هذه القوة في مواقعها شرقا على أن يتولى الجيش تأمين أعمال قتالها، ولكن وزير الحربية أمر بعودة القوة حتى لا يتم الخروج عن الأهداف المخططة لحرب الاستنزاف. وبالفعل عادت القوة بعد آخر ضوء يوم 7 ديسمبر بعد أن ثبتت العلم المصري على الضفة الشرقية، وظل مرفوعا تحميه نيران القوات المصرية من الشاطئ الآخر حتى إيقاف إطلاق النيران.

يوم 14 ديسمبر 1969: تمكن كمين نهاري من اللواء 117 مشاة، من تدمير عربة جيب متقدمة على الطريق، وقتل 4 أفراد، وأسر أول ضابط إسرائيلي في حرب الاستنزاف، وهو النقيب: دان أفيدان، وقد حمله الجنود، وعادوا به إلى الضفة الغربية؛ نظـرا لإصابته.

جاء رد الجانب الإسرائيلي على نشاط القوات المصرية في اتجاه رأس غارب ليلة 27 ديسمبر 1969، من خلال العملية روستر التي استهدفت خطف محطة رادار ب 12 حديثة.

وكان لهذا الرادار موقع رئيسي، وموقع هيكلي، والمسافة بينهم كبيرة، وحتى يمكن الخداع عن مكان محطة الرادار الحقيقية تركت بأقل عدد من أفراد الحراسة، حتى تظهر على أنها هي المحطة الرئيسية. وقد اكتشفت إسرائيل هذه الخدعة سواء من خلال التصوير الجوي، أو من خلال عملاء. ونفذت العملية بتركيز القصف الجوي على المحطة الخداعية، وضد قوات الحراسة، والاحتياطيات. ولكن كانت هناك عملية أخرى تنفذ في الوقت نفسه، وهي دفع طائرتين مروحيتين لحمل جهاز الرادار الحقيقي إلى الشاطئ الآخر من الخليج. ولم يتوقف القصف ضد الرادار الهيكلي، أو قوات الحراسة، والاحتياطيات إلا بعد وصول الرادار إلى الشاطئ الآخر.

انتهى عام 1969 والقوات المسلحة المصرية متماسكة تماما. وقد تجاوزت الحاجز النفسي الذي سببته نتائج حرب يونيو، وتخطت حاجز الخوف. وقد نجحت مراحل الاستنزاف في تحقيق أهدافها. أما ذراع إسرائيل الطويلة فلم تتمكن من تحقيق أهداف القيادة السياسية الإسرائيلية، على

الرغم من أنها شنت في الفترة من 20 يوليو، وحتى نهاية عام 1969 حوالي 3500 طلعة جوية في مقابل 2900 طلعة جوية مصرية معظمها للحماية، والتأمين. ودارت بين القوات الجوية المصرية، والإسرائيلية 22 معركة جوية اشتركت فيها 130 مقاتلة إسرائيلية في مواجهة 110 مقاتلة مصرية. وكانت خسائر المصريين 26 طائرة، وخسائر العدو 14 طائرة، نظرا للفارق بين نوع الطائرات، ومستوى تدريب الطيارين، حيث كانت تحرص إسرائيل على دفع أحسن طياريها المحترفين للقيام بالاشتباكات، والمعارك الجوية، بينما كان معظم الطيارين المصريين حديثي الخدمة بعد حرب يونيو.

أما العمليات البرية الإيجابية الناجحة خلال عام 1969، فكانت 44 عملية ما بين إغارة، وكمين، نفذ منها 5 أعمال في عمق إسرائيل، بينما نفذت إسرائيل 28 عملا إيجابيا منها 16 عملا في العمق المصري. وكانت خسائر القوات المصرية، استشهاد 16 ضابطا، و150 رتبا أخرى، أما الجرحى فكانوا 19 ضابطا، 299 رتبا أخرى، في مقابل 133 قتيل، و320 جريح في صفوف القوات الإسرائيلية طبقا لما صرح به موشي ديان.

من يناير 1970 وحتى نهاية الحرب:

كان واضحا أمام القيادة الإسرائيلية أن مراحل الاستنزاف المضاد لم تتمكن من تحقيق أهدافها. فالقوات المصرية لم تتشتت في الجبهة لمواجهة أعمال الاستنزاف الإسرائيلية في عمق الصعيد، والبحر الأحمر. لذلك كان لا بد من التفكير في الدخول في مرحلة جديدة للاستنزاف، يكون الهدف منها استخدام سلاح الجو الإسرائيلي لقصف العمق المصري بكثافة أكبر، لزيادة الضغط على الشعب المصري، ودفعه إلى الثورة على قيادته لإيقاف حرب الاستنزاف، وإضعاف نظام الرئيس عبدالناصر، أو الإطاحة به.

وقد كان مهندس هذه العملية هو الجنرال عزرا وايزمان مدير العمليات برئاسة الأركان وقتها. ووضعت الخطة بريحا في رئاسة الأركان الإسرائيلية، وعرضت على رئاسة الوزراء، وتم التصديق عليها.

وقد بدأ تنفيذ الخطة بريحا اعتبارا من فجر 7 يناير 1970 بسلسلة من الغارات الإسرائيلية في العمق المصري؛ لتعلن عن بدء مرحلة جديدة من تصعيد حرب الاستنزاف. وقد شدت هذه

المرحلة انتباه المعسكرين الشرقي، والغربي في آن واحد، حيث تشترك المقاتلات الأمريكية الحديثة من طراز (فانتوم) التي حصلت عليها إسرائيل، ودخلت الخدمة فعلا اعتبارا من شهر سبتمبر 1969، وكذلك لوجود تشابه بين نظام الدفاع الجوي المصري الجاري إنشائه في هذه المرحلة، ونظام الدفاع الجوي لحلف وارسو. وقد استمر القصف الجوي العنيف من الطائرات الحربية الإسرائيلية طوال الأربعة أشهر الأولى من عام 1970. حيث صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لصحيفة (الفاينانشيال تايمز) يوم 6 يوليو 1970 بأن طائراتها كانت تسقط ألف قنبلة على المصريين يوميا.

من أهم العمليات التي قام بها الإسرائيليون خلال شهر يناير 70 كان الهجوم على جزيرة شدوان، وهي جزيرة منعزلة بالقرب من منطقة تفرع خليج السويس، وخليج العقبة بالبحر الأحمر، وتؤمنها سرية صاعقة، ورادار بحري لتأمين الملاحة البحرية في المنطقة. وقد وقع هذا الهجوم ليلة 22 يناير في عملية إسرائيلية ضخمة شملت إبرار بحري، وجوي، وقصف جوي استمر لعدة ساعات على الجزيرة، وضد بعض موانئ البحر الأحمر التي يحتمل أن تدفع نجدة للقوات المصرية. وقد استمر قتال ضار لمدة ستة ساعات كاملة بين كتيبة المظلات الإسرائيلية، وسرية الصاعقة المصرية. وقد ظل القطاع الذي يحوي الرادار في الجزيرة يقاوم بعنف دون أن تتمكن القوات الإسرائيلية الاقتراب منه. وقد برر وزير الدفاع الإسرائيلي أسباب هذا الهجوم الفاشل بأنه رد على مهاجمة القوات المصرية لميناء إيلات الإسرائيلي في شهر نوفمبر 1969. وكان الرد الفوري المصري على هذه العملية غارة جوية على معسكر إسرائيلي في العريش في 24 يناير أحدثت خسائر كبيرة في قواته. ثم أعقب هذا الهجوم آخر في 27 يناير نفذته منظمة تحرير سيناء بقصف مستعمرة ناحال تكفا، حيث أصابت بعض المباني، وقتلت، وجرحت 35 فردا إسرائيليا.

توسعت القوات المصرية في أعمال القتال البرية نتيجة عاملين: أولهما: الانتقام من غارات العمق الإسرائيلية بإحداث أكبر خسائر في قوات العدو، والثانية كسر الحاجز النفسي، وتسابق الوحدات، والأفراد على الاشتراك في عمليات العبور، التي كانت دائما تنجح نتيجة للتخطيط السليم، والتأمين المتكامل مما منح ثقة مطلقة للمقاتلين المشاركين فيها. وقد نفذت 16 إغارة، وكمين ناجح على طول الجبهة، علاوة على ثلاث إغارات في العمق الطور، وإيلات. وكانت جميع الكمائن ناجحة تماما، وأحدثت خسائر كبيرة في العدو، مما اضطره إلى تحجيم تحركاته إلى أقل حد ممكن،

بل إن تحركاته أصبحت تتم، من خلال تأمينها بمجموعات قتالية ضخمة، ومع ذلك فلم تسلم هذه الأرتال من نيران القوات المصرية.

ومن أهم الكمائن التي نفذت خلال هذه الفترة: # كمين الشط (11 فبراير 1970): من أهم الكمائن التي أحدثت خسائر كبيرة في الجانب الإسرائيلي، هي كمين نهاري من الفرقة 19 مشاة في منطقة شمال الشط يوم 11 فبراير 1970، حيث تمكن من تدمير دبابة، وثلاثة عربات، وقتل 18 فردا، وأسر فردين، وردت إسرائيل مذبحة مصنع أبو زعبل في صباح اليوم التالي حيث استشهد سبعين عاملًا، وإصابة 69 آخرين.

كمين شرق الدفرسوار (25 مارس 1970): تمكن كمين من اللواء 117 مشاة، من تدمير دبابة، وعربتين نصف جنزير، وقتل، وجرح 15 فردا، في منطقة شرق الدفرسوار.

كمين السبت الحزين (30 مايو 1970): في 30 مايو 1970 نفذ هذا الكمين في منطقة رقبة الوزة شمال القنطرة حتى جنوب بورسعيد، وقد خطط للثأر لأطفال بحر البقر في مجزرة بحر البقر، واشتركت فيه مجموعة قتال من اللواء 135 مشاة، ومجموعة قتال من الكتيبة 83 صاعقة. وحددت قيادة موحدة للقوتين، وقد عبرت هذه القوات ليلا، واحتلت مواقعها لاصطياد مجموعات الإجازات للجنود الإسرائيليين، التي تحرسها قوات مقاتلة مكونة من الدبابات، والعربات المدرعة.

وعند الظهر، خرجت على طريق القنطرة متجهة إلى جنوب بور فؤاد مجموعة القتال الإسرائيلية، المكونة من 4 دبابة، 4 عربات مدرعة، وحافلتا ركاب إجازات. وكان على الكمين الرقم 1 المكون من عناصر الصاعقة عدم التعرض لها، ويتركها تمر إلى أن تصل إلى الكمين الرقم 2 في منطقة جنوب التينة، حيث يفتح عليها أقصى معدلات النيران. وقد جرى تنفيذ ذلك تماما، وأصيبت دبابتان، وعربة مدرعة، وحافلة. وحاول الجزء المتبقي الهروب، والعودة إلى القنطرة ليقع في شراك الكمين الرقم 1، حيث انقضت عناصر الصاعقة؛ لتجهز على ما تبقى من القوة.

وقد أسر فردان، وتدمرت الدبابات، والعربات، وقتل، وجرح حوالي 35 إسرائيليا، حيث أطلق على هذا اليوم السبت الحزين في إسرائيل. وكان الرد الإسرائيلي عنيفا، استمر حوالي 48 ساعة قصف شبه متواصل على مواقع القنطرة، ورقبة الوزة، ولكنه لم يحدث أي خسائر ذات أثر على القوات المصرية.

وقد استمرت الأعمال القتالية المتبادلة حتى حدث تغير هائل بعد ظهر الثلاثين من يونيو 1970؛ ليحسم الصراع الدائر بين بناة مواقع الصواريخ المصرية، وبين ذراع إسرائيل الطويلة، حيث احتلت بعض كتائب الصواريخ مواقعها من خلال تنظيم صندوقي لعناصر الدفاع الجوي، ابتكرته العقول المصرية في قيادة الدفاع الجوي المصري. وبدأ عقب ذلك تساقط الطائرات الإسرائيلية فيما عرف بأسبوع تساقط (الفانتوم)، ليصاب الطيران الإسرائيلي بأول نكسة في تاريخه أثرت على أسس نظرية الأمن الإسرائيلي بالكامل. وكان هذا اليوم بمثابة إعلان لخسارة إسرائيل لجهودها في معارك حرب الاستنزاف، التي ركزت خلالها على عدم إنشاء أي مواقع صواريخ في مسرح العمليات.

وقف إطلاق النار:

مع توالي الأحداث، وتصاعدها، زاد الإحساس لدى القيادة الإسرائيلية، والشعب الإسرائيلي بأن حرب الاستنزاف المضاد ما هي إلا استنزاف آخر لإسرائيل نفسها. وبدأت تتصاعد موجات السخط مع الإعلان عن خسائر إسرائيل التي تتزايد يوما بعد يوم. وفي داخل القيادة الإسرائيلية نفسها، بدأت الصراعات بين الحمائم، والصقور تكيل الاتهامات لبعضها. فالعملية بريها لم تحقق شيئا سوى الدعم السوفيتي سواء بالسلاح، أو الوجود على مسرح القتال، ولم ينتج عنها إلا تآكل الجيش، والطيران الإسرائيلي. ومردودها الوحيد هو تصاعد العمليات العسكرية المصرية.

ولم يأت النقد العنيف من داخل إسرائيل وحدها، بل من الولايات المتحدة الأمريكية أيضا، التي صدمت من زيادة الوجود السوفياتي في مسرح الشرق الأوسط. وشعرت أوروبا أن تأثيرات الحرب انعكست عليها، خصوصا بعد أن انتقلت حرب الاستنزاف إلى أبعاد جديدة، بتدمير الحفار الإسرائيلي كيتنج في ميناء أبيدجان عاصمة ساحل العاج، ويحتمل أن يمتد ذلك إلى مناطق بترولية للتأثير على المصالح الغربية.

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن استمرار الحرب لا يحقق مصالحها، أو مصالح إسرائيل، لذلك سعت إلى تقديم مبادرة روجرز، التي تقدم بها فعلا وزير الخارجية الأمريكي، الذي تحمل المبادرة اسمه، يوم 19 يونيو 1970 إلى كل من مصر، وإسرائيل. جاء في نصها الآتي:

"تعلن أطراف النزاع في الشرق الأوسط، وتنفذ وقفا محدودًا لإطلاق النار مدته تسعون يوما، وفي هذه الفترة ينشط السفير جونار يارنج؛ لينفذ قرار مجلس الأمن رقم 242، وبالتحديد فيما يتعلق بالتوصل إلى اتفاق سلام عادل، ودائم، يقوم على الاعتراف المتبادل، والسيادة، ووحدة الأراضي، والاستقلال السياسي، بسحب إسرائيل قواتها من الأراضي التي احتلتها في معركة 1967".

وكانت المبادرة بهذه الصيغة المتوازنة تنبع من روح قرار مجلس الأمن 242. ووجد الرئيس جمال عبد الناصر أن قبولها أمر ممكن، لإعطاء فرصة للقوات المسلحة؛ لاستعادة كفاءتها القتالية بعد حرب متصلة استمرت قرابة الألف يوم. ووجدت فيها إسرائيل فرصة للخروج من أزمتها، وإيقاف نزيف الخسائر الذي تتعرض له، وقبلت الأطراف المبادرة، وأُعلن وقف إطلاق النيران اعتبارا من يوم 8 أغسطس 1970. تعد حرب الاستنزاف أطول الحروب بين العرب، وإسرائيل، وهي أول صراع مسلح تضطر إسرائيل فيه إلى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية، ولمدة طويلة، وهو ما ترك آثاره السلبية على معنويات الشعب الإسرائيلي، واقتصاد الدولة خاصة أن قادة إسرائيل كانوا قد سبق لهم الإعلان للإسرائيليين أن حرب 67 هي آخر الحروب. وقد نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلي أن القوات الإسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف أربعين طيارا و827 فردا في القوات البرية و 3141 ما بين جريح، وأسير. وفي المجال الاقتصادي زاد حجم الانفاق العسكري بما مقداره 300 في المئة تحملها أفراد الشعب الإسرائيلي حيث بلغ نصيب الفرد 417 دولارا في عام 1970 بينما كان 168 دولارا في عام.1966 أما عن الجانب المصري فلم يكن يهتم إلا بالتدريب الجاد الشاق للوصول إلى أعلى درجات الكفاءة القتالية انتظارا للحظة الحسم، وهو ما جعل الخبراء يؤكدون أن لولا حرب الاستنزاف لاستمر الحال على ما هو عليه، ولكن القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية استطاعت من خلال عمليات الاستنزاف التعرف على كل قدرات، وإمكانات العدو في مختلف الأسلحة سواء الجوية، أو البرية، أو البحرية، والمدرعات، والمدفعية، ووسائل الدفاع الجوي. وهو ما مكن القوات المصرية من تطوير أداء، ومعدلات السلاح الذي تملكه فكانت المفاجأة الكبرى التي أذهلت العالم في أكتوبر 1973.

الفصل السادس

الحرب العالمية

اندلاع الحرب العالمية الأولى:

تعد الحرب العالمية الأولى هي أول صراع دولي هائل في القرن العشرين. أثار اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند - وريث التاج المجري النمساوي - وزوجته الأرشيدوقة صوفي في سراييفو في 28 يونيو عام 1914 قتالًا بدأ في أغسطس 1914، واستمر في عدة جبهات للأربعة أعوام التالية.

قوى الوفاق، والمركز في الحرب العالمية الأولى:

أثناء الحرب العالمية الأولى، حاربت قوى الوفاق: بريطانيا، وفرنسا، وصربيا، والإمبراطورية الروسية (وانضمت لها لاحقًا إيطاليا، واليونان، والبرتغال، ورومانيا، والولايات المتحدة) - قوى المركز – ألمانيا – والنمسا - المجر (وانضمت لها لاحقًا الإمبراطورية العثمانية، وبلغاريا).

المأزق:

تلاشى الحماس المبدئي لكلا الجانبين في تحقيق انتصار سريع، وحاسم لدخول الحرب مأزقًا؛ بسبب المعارك، وحرب الخنادق المكلفة خاصة في الجبهة الغربية للحرب. امتد نظام الخنادق، والحصون في الغرب ليصل طوله إلى 475 ميل تقريبًا، من بحر الشمال إلى الحدود السويسرية، وأظهر الحرب بوضوح للمقاتلين من أمريكا الشمالية، وأوروبا الغربية. منع الاتساع

الشاسع للجبهة الشرقية وقوع حرب خنادق، واسعة النطاق، ولكن كان نطاق الصراع متساويًا مع نطاق الصراع على الجبهة الغربية. كما نشب قتال عنيف في شمال إيطاليا، والبلقان، والإمبراطورية العثمانية. وقعت المعارك في البحر، ولأول مرة في الجو.

انضمام الولايات المتحدة للحرب العالمية الأولى:

حدث تغيير حاسم في القتال في أبريل 1917 عندما أخرجت سياسة حرب الغواصات غير المقيدة لألمانيا الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها، ودفعتها لقلب الصراع. ساعدت القوات، والمواد الجديدة لقوات الحملة الأمريكية (AEF) تحت قيادة الجنرال جون جيه بيرشينغ مع الحصار شديد الضيق للموانئ الألمانية في تغيير ميزان الجهود الحربية في النهاية لصالح دول الوفاق.

الثورة الروسية:

توازن ميزان القوى بعد ذلك العامل الجديد جراء وقوع بعض الأحداث في منطقة الحرب الشرقية. منذ أوائل عام 1917، كانت روسيا - إحدى قوى الوفاق الأساسية - في حالة اضطراب. في فبراير من ذلك العام، ساهمت الإدارة السيئة للحكومة القيصرية في إثارة انتفاضة شعبية، وهي ما أُطلق عليها ثورة فبراير. أجبرت هذه الثورة القيصر نيكولاس الثاني على التنازل عن الحكم، وأوصلت للحكم حكومة انتقالية من الفصائل الليبرالية، والاشتراكية لتصل في النهاية لقيادة عضو الحزب الاشتراكي الثوري ألكسندر كيرينسكي. كانت هذه التجربة الوجيزة مع الديمقراطية التعددية مضطربة، وفي أشهر الصيف، تسبب التدهور المستمر للجهود الحربية، وازدياد الموقف الاقتصادي سوءًا في دفع العمال، والجنود، والبحارة الروس للشغب (أيام يوليو).

في 24-25 أكتوبر، 1917، سيطرت القوات البلشفية (الاشتراكيين اليساريين) تحت قيادة فلاديمير لينين المباني الحكومية الرئيسية، واقتحمت قصر الشتاء، ثم مبنى الحكومة الجديدة في بتروغراد عاصمة روسيا (تدعى الآن سانت بطرسبرغ). أزاحت "ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى" - أول انقلاب ماركسي ناجح في التاريخ - الحكومة الانتقالية الضعيفة، وأسست في النهاية الجمهورية السوفييتية الاشتراكية تحت قيادة لينين. كانت الإصلاحات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والزراعية في الدولة السوفييتية الجديدة في الأعوام التي أعقبت الحرب ستضعف الحكومات الغربية الديمقراطية، لذا تخوفت تلك الحكومات من انتشار الشيوعية في أنحاء أوروبا

لدرجة استعدوا بها للتنازل، ومهادنة الأنظمة اليمينية (منها ألمانيا النازية بقيادة أدولف هتلر) في العشرينيات، والثلاثينيات من القرن العشرين.

لكن كان التأثير الفوري للثورة الروسية على الساحة الأوروبية اندلاع حرب أهلية وحشية، وطويلة في الأراضي الروسية (1917-1922) واتخاذ القيادة البلشفية الجديدة قرار بشأن تحقيق سلام منفصل مع ألمانيا القيصرية. عندما انهارت المفاوضات على المطالب الألمانية، شن الجيش الألماني هجومًا شاملًا على الجبهة الشرقية، مما تسبب في توقيع معاهدة سلام في برست ليتوفسك في 6 مارس، 1918.

تقدم قوى الوفاق؛ وانسحاب قوى المركز:

على الرغم من الانتصارات الألمانية، وخروج روسيا البلشفية من الحرب في أواخر شتاء 1918، والوصول إلى أبواب باريس خلال الصيف، صدت جيوش الوفاق الجيش الألماني عند نهر المارن. تقدمت بثبات تجاه الخطوط الألمانية على الجبهة الغربية في أشهر الصيف، والخريف من عام 1918 (هجوم المائة يوم).

بدأت قوى المركز في الانسحاب بدءًا من بلغاريا، والإمبراطورية العثمانية على التوالي في سبتمبر، وأكتوبر. اتفقت القوات النمساوية المجرية في الثالث من نوفمبر على هدنة بالقرب من بادوا بإيطاليا. في ألمانيا، أشعل تمرد بحارة الأسطول البحري في كييل انتفاضة واسعة في مدن ألمانيا الساحلية، وفي المناطق المحلية الكبيرة من هانوفر، وفرانكفورت، وميونيخ. أثارت مجالس العمال، والجنود - على النموذج السوفييتي - شرارة ما أُطلق عليها "الثورة الألمانية"؛ وتم تأسيس أول "جمهورية مجالس" Räterrepublik)) تحت قيادة الديمقراطي الاشتراكي كورت إيسنر في بافاريا. كان الحزب الديمقراطي الاجتماعي (SPD) القوي في ألمانيا تحت قيادة فريدريش إيبرت ينظر للمجالس المؤسسة حديثًا كعناصر مزعزعة للاستقرار، ودافع بدلًا من ذلك عن مطالب الشعب الألماني في إصلاح برلماني، وتحقيق السلام.

هدنة:

في 9 نوفمبر، 1918، وفي وسط الاضطرابات المنتشرة، وبعد تخلي قادة الجيش الألماني عن الإمبراطور فيلهلم الثاني (القيصر)، تنازل الأخير عن العرش الألماني. في نفس اليوم، أعلن

ممثل الحزب الديمقراطي الاجتماعي فيليب شيدمان ألمانيا جمهورية، وعين حكومة انتقالية بقيادة فريدريش إيبرت. بعد مرور يومين، تقابل ممثلو ألمانيا - بقيادة ممثل الحزب المركزي الكاثوليكي (Zentrum) ماتياس إيرتسبرجر - مع وفد من قوى الوفاق المنتصرة بقيادة المشير الفرنسي فرديناند فوش - القائد العام لقوات الوفاق - في عربة قطار في غابة كومبيان، ووافقوا على بنود الهدنة.

في 11:00 صباحًا يوم 11 نوفمبر (11/11), 1918, توقف القتال على الجبهة الغربية. انتهت "الحرب العظمى" كما أسموها معاصروها، ولكن تردد صدى التأثير الواسع للصراع على المجالات الدولية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية لعشرات الأعوام.

الخسائر خلال الحرب العالمية الأولى:

مثلت الحرب العالمية الأولى إحدى أكثر الحروب التدميرية في التاريخ المعاصر. توفي عشرة مليون جندي تقريبًا نتيجة للصراع، وهو ما يتجاوز عدد قتلى الجيوش في جميع الحروب أثناء المائة عام السابقة. على الرغم من صعوبة التأكد من عدد الإصابات بدقة، فمن المقدر إصابة 21 مليون رجل في المعركة.

نتج جزء من الخسائر الفادحة لجميع أطراف الصراع من استخدام أسلحة جديدة مثل: البندقية الآلية، وحرب الغازات بالإضافة إلى فشل القادة العسكريين في ضبط أساليبهم مع طبيعة الحرب التي كانت تزيد بها استخدام الآلات. كلفت سياسة الاستنزاف خاصة على الجبهة الغربية حياة مئات آلاف الجنود. في الأول من يوليو، 1916, اليوم الذي شهد أضخم خسارة في الأرواح في يوم واحد، تعرض الجيش البريطاني في سوم فقط لأكثر من 57 ألف إصابة. كان العدد الأكبر من القتلى العسكريين من نصيب ألمانيا، وروسيا: فقد خسرا 1773700 و1700000 على التوالي. فقدت فرنسا ستة عشر بالمائة من قواتها المجندة، وهو أعلى معدل وفيات بالنسبة إلى القوات المنتشرة.

لم تجري أي هيئة رسمية حسابًا دقيقًا للخسائر المدنية أثناء أعوام الحرب، ولكن أكد العلماء وفاة ما يصل إلى 13 مليون من غير المقاتلين كنتيجة مباشرة، أو غير مباشرة للصراع. ارتفعت

الوفيات للعسكريين، والمدنيين في نهاية الحرب مع انتشار "الإنفلونزا الإسبانية" وهي أكثر أوبئة الإنفلونزا المميتة في التاريخ. تم تشريد ملايين الأشخاص، وتهجيرهم من منازلهم في أوروبا، وآسيا الصغرى؛ بسبب الصراع. وصلت الخسائر بالممتلكات، والصناعات إلى مستويات كارثية، خاصة في فرنسا، وبلجيكا، حيث وصل القتال لذروته.

الحرب العالمية الثانية في أوروبا:

وقع الهولوكوست في السياق الأوسع للحرب العالمية الثانية. وكانت الحرب العالمية الثانية أكبر، وأضخم الصراعات تدميرا في التاريخ. تصور أدولف هتلر، والنظام النازي إمبراطورية شاسعة جديدة من "الفضاء الحي" (ليبنسراوم) للألمان في أوروبا الشرقية عن طريق إزالة السكان الحاليين. الهدف النازي لتعزيز "العرق الآري" الألماني أدى إلى اضطهاد، وقتل اليهود، وغيرهم.

الوقائع الاختصاصية:

بدأت ألمانيا الحرب العالمية الثانية بغزو بولندا في 1 سبتمبر 1939. في السنوات اللاحقة، غزت ألمانيا 11 بلدا.

عاش معظم اليهود الأوروبيين في البلدان التي ألمانيا النازية قد سكتون أن تحتل، أو تؤثر عليها خلال الحرب العالمية الثانية. بين عامي 1941 و1944، قامت السلطات الألمانية النازية بترحيل ملايين اليهود من ألمانيا، والأراضي المحتلة، ودول المحور إلى الغيتو (الأحياء اليهودية) ومراكز القتل.3

بدأت القيادة النازية التخطيط لحرب أوروبية من يوم وصول النازيين إلى السلطة في أواخر يناير 1933. وسوف تصبح الحرب، وسياسة الإبادة الكاملة مرتبطة ارتباطا وثيقا.

حدث الهولوكوست في إيطار الحرب العالمية الثانية. ولا تزال حكومة هتلر تعاني من هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى, لكن هدفت إلى امتلاك إمبراطورية جديدة شاسعة من "المجال الحيوي" (المجال الحياتي) في أوروبا الشرقية. وقد توصل زعماء ألمانيا إلى أن تحقيق التناغم الألماني في أوروبا يتطلب حربًا.

1939:

قامت ألمانيا بعد تأمين جانب الاتحاد السوفيتي المحايد (بواسطة الميثاق الألماني السوفيتي من أغسطس 1939 لعدم الاعتداء) بإعلان الحرب العالمية الثانية بغزو بولندا في الأول من أيلول/ سبتمبر 1939. وكان رد كل من بريطانيا، وفرنسا هو إعلان الحرب على ألمانيا في الثالث من أيلول/سبتمبر. وفي خلال شهر هُزمت بولندا بواسطة كل من القوات الألمانية، والقوات السوفيتية، وقسمت بين ألمانيا النازية، والاتحاد السوفيتي.

1940:

وانتهت فترة الهدوء التي تلت هزيمة بولندا في التاسع من نيسان/أبريل 1940 عندما قامت القوات الألمانية بغزو كل من النرويج، والدانمارك. وفي العاشر من أيار/مايو 1940 بدأت ألمانيا هجومها على أوروبا الغربية فقامت بغزو الدول المنخفضة (هولندا، وبلجيكا، ولكسمبورج) والتي كانت على الحياد مثل فرنسا. ثم وقعت فرنسا في الثاني والعشرين من حزيران/يونيو 1940 اتفاقية وقف إطلاق النار مع ألمانيا، مما أدى إلى احتلال ألمانيا النصف الشمالي من البلاد، وأتاح لها إقامة نظام متعاون معها في جنوب البلاد مقره "فيشي".

قام الاتحاد السوفيتي بتشجيع من ألمانيا باحتلال دول البلطيق في حزيران/يونيو 1940 وقام بضمها إلى أراضيه في آب/أغسطس 1940. ثم انضمت إيطاليا كإحدى دول المحور إلى الحرب في العاشر من حزيران/يونيو 1940. وقد شنت القوات النازية حربًا جوية على بريطانيا في الفترة من 10 تموز/يوليو إلى 31 تشرين الأول/أكتوبر 1940 عرفت بمعركة بريطانيا، والتي خسرتها القوات النازية في نهاية الأمر.

1941:

وبعد تأمين منطقة البلقان عن طريق غزو "يوجوسلافيا"، و"اليونان" في السادس من نيسان/أبريل 1941، غزت القوات النازية، وحلفاؤها الاتحاد السوفيتي في الثاني والعشرين من حزيران/يونيو 1941 فيما يعد خرق صريح للميثاق الألماني السوفيتي.

واحتلت ألمانيا كذلك في حزيران/يونيو تموز/ويوليو من عام 1941 دول البلطيق. ومن ثم أصبح القائد السوفيتي "جوزيف ستالين" زعيمًا رئيسيًا من زعماء الحلفاء في الحرب. وخلال صيف، وخريف عام 1941 توغلت القوات الألمانية في الاتحاد السوفيتي، ولكن حالت مقاومة

الجيش الأحمر العنيدة دون حصول الألمان على المدن الرئيسية لكل من لينينجراد، وموسكو. وشنت القوات السوفيتية في السادس من كانون الأول/ديسمبر 1941 هجومًا مضادًا هامًا على القوات الألمانية الأمر الذي أخرج الألمان بشكل نهائي من ضواحي موسكو.

وفي اليوم التالي أي السابع من كانون الأول/ديسمبر 1941 هاجمت اليابان (إحدى قوى المحور) ميناء "ببرل هاربر" في "هاواي". وعلى الفور أعلنت الولايات المتحدة الحرب على اليابان. وفي الحادي عشر من كانون الأول/ديسمبر أعلنت كل من ألمانيا، وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.

1942 - 1943:

وفي أيار/مايو من عام 1942 قامت القوات الجوية الملكية البريطانية بشن غارة على المدينة الألمانية كولونيا، وقامت بإلقاء آلف من القنابل، وهي المرة الأولى منذ بدء الحرب يتم القتال في ألمانيا. واستمرت قوات الحلفاء الجوية في السنوات الثلاث التالية في شن غارات جوية بشكل دوري على المصانع، والمدن الصناعية في الرايخ الأمر الذي حول المناطق المأهولة في ألمانيا إلى حطام بحلول عام 1945.

ومع نهاية عام 1942 وبداية عام 1943 حققت قوات الحلفاء الجوية سلسلة من الانتصارات العسكرية الهامة في شمال أفريقيا. وقد أدي فشل القوات الفرنسية في منع الحلفاء من احتلال كل من المغرب، والجزائر إلى دفع ألمانيا لاحتلال "فيشي" في فرنسا في الحادي عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر 1942 ثم قامت الوحدات العسكرية التابعة للمحور الموجودة في شمال أفريقيا، والتي يقدر عددها بالكامل بنحو 150,000 كتيبة بالاستسلام في أيار/مايو 1943.

وعلى الجبهة الشرقية خلال صيف عام 1942 جددت ألمانيا، وحلفاؤها من دول المحور هجومها العدائي على الاتحاد السوفيتي بهدف الاستيلاء على مدينة ستالينجراد الواقعة على نهر"فولجا" وكذلك الاستيلاء على مدينة "بوكا" وحقول البترول القزوينية. وفي نهاية صيف عام 1942 حُصرت القوات الألمانية على كلا الجبهتين ثم قامت القوات السوفيتية في تشرين الثاني/ نوفمبر بشن هجوم مضاد على القوات الألمانية في "ستالينجراد" واستسلم الجيش السادس الألماني أمام القوات السوفيتية في الثاني من شباط/فبراير عام 1943. قامت القوات الألمانية بشن هجوم آخر

على "كورسك" في حزيران/يونيو 1943 فيما عرف بأكبر معركة بالدبابات في التاريخ، ولكن نجحت القوات السوفيتية في وقف الهجوم، وأخذ المبادرة العسكرية بأنهم لن يقوموا بالاستسلام مرة أخرى.

وفي تموز/يوليو عام 1943 هبطت قوات الحلفاء على جزيرة صقلية، وتمكنت في أيلول/ سبتمبر من الهبوط على الشواطئ شبه الجزيرة الإيطالية. وبعد إطاحة المجلس الأعلى للحزب الفاشي الإيطالي "بنينو موسوليني"، تولت القوات العسكرية الإيطالية الحكم، وفاوضت على الاستسلام إلى القوات البريطانية الأمريكية في الثامن من أيلول/سبتمبر أما القوات الألمانية الموجودة في إيطاليا فقد سيطرت على النصف الشمالي من شبه الجزيرة، وواصلت المقاومة. وتم تحرير "موسوليني"، الذي كان قد وقع في قبضة السلطات العسكرية الإيطالية، بواسطة قيادات جهاز المخابرات الألماني (SS) في أيلول/سبتمبر، وقام (تحت الإشراف الألماني) بتأسيس الحكومة الفاشيّة الجديدة في شمال إيطاليا. واستمرت القوات الألمانية في السيطرة على شمال إيطاليا حتى الاستسلام في الثاني من أيار/مايو 1945.

1944:

وفي يوم الصفر اليوم السادس من حزيران/يونيو عام 1944 هبط أكثر من 150,000 جندي من جنود الحلفاء على الأراضي الفرنسية، والتي تم تحريرها في نهاية شهر آب/أغسطس. واستطاعت أول قوات أمريكية في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 1944 العبور إلى الأراضي الألمانية بعد شهر من عبور القوات السوفيتية من الحدود الشرقية. وفي منتصف شهر كانون الأول/ ديسمبر قامت القوات الألمانية بشن هجوم فاشل مضاد في كل من بلجيكا، وشمال فرنسا فيما عرف "بمعركة بلولج". هاجمت القوات الجوية التابعة للحلفاء المصانع النازية على سبيل المثال ذلك المصنع الذي كان موجودًا في محتشد أوتشفز (لكن لم يتم استهداف غرف الغاز).

1945:

بدأت القوات السوفيتية حملة في الثاني عشر من كانون الثاني/يناير 1945؛ لتحرير غرب بولندا، وأجبرت المجر (عضو من دول المحور) على الاستسلام. وقامت قوات الحلفاء في منتصف شهر شباط/فبراير بقذف مدينة "دريسدن" بالقنابل مما أسفر عن مقتل نحو 35,000 ألماني من

المدنيين. وعبرت القوات الأمريكية نهر الراين في السابع من آذار/مارس عام 1945، وقامت القوات السوفيتية بشن حملة عسكرية أخيرة في السادس عشر من نيسان/أبريل 1945 مكنتها من محاصرة مدينة "برلين". وحينما كانت القوات السوفيتية تشق طريقها باتجاه مقر الرايخ، انتحر هتلر في الثلاثين من نيسان/أبريل 1945. وفي السابع من أيار/مايو 1945 أعلنت ألمانيا استسلامها غير المشروط إلى قوات الحلفاء في ريمز، وفي التاسع من أيار/مايو أعلنت استسلامها إلى القوات السوفيتية في برلين. وفي آب/أغسطس انتهت الحرب في المحيط الهادي بعد أن ألقت الولايات المتحدة قنبلتين ذريتين على اثنين من مدن اليابان هما هوروشيما، وناجازاكي وقتلت 120,000 من المدنيين. واستسلمت اليابان رسميًا في الثاني من أيلول/سبتمبر.

وتسببت الحرب العالمية الثانية في قتل حوالي 55 مليون شخصًا حول العالم. وكانت أكبر، وأكثر حرب هدامة في التاريخ.

الفصل السابع

الحرب الخاطفة

استراتيجية الحرب الخاطفة:

الحرب الخاطفة أحد أهم الاستراتيجيات العسكرية التي استخدمها الجيش الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية، ويتم تنفيذ استراتيجية الحرب الخاطفة من خلال عدة مراحل وهي:

قصف عنيف بالمدفعية الثقيلة بهدف خفض الروح المعنوية، وإحداث توتر شديد لقوات الخصم بالإضافة إلى إلحاق أكبر الخسائر بالمباني، والأرواح، واستنزاف الإمدادات العسكرية.

موجات متتابعة من القصف الجوي بغرض إنهاك الحصون الدفاعية للخصم.

قيام مجموعات كبيرة من المدرعات بالتسلل خلال نقاط الضعف؛ لتمهيد الطريق للهجوم البري.

وصول قوات المشاه الألمانية إلى الموقع بواسطة ناقلات الجنود.

إن الفكرة الأساسية التي تعتمد عليها استراتيجية الحرب الخاطفة Blitzkrieg هي الضرب بعنف، وبسرعة بهدف شل حركة الخصم، ومنعه من القيام بأي هجوم مضاد.

ويتم الهجوم عادة بواسطة حصار عسكري لعزل إحدى المناطق ثم القضاء عليها.

الإجراءات الوقائية الدفاعية:

في حقيقة الأمر إن الحرب الخاطفة التي استخدمتها القوات الألمانية تعد استراتيجية فعالة، ومؤثرة للغاية، ولكن الطريقة الوحيدة القادرة على مواجهة هذه الحرب هو القضاء على أهم عنصر تعتمد عليه الحرب الخاطفة، ألا، وهو عنصر المفاجأة.

ومن هنا تبرز الحيلة العسكرية في معرفة موقع هجوم القوات الألمانية، والاستعداد لها مسبقا للتصدي للمدفعية بالمدفعية المضادة، والهجوم الجوي بهجوم جوي آخر.

ولكن التحدي الحقيقي يكمن في كيفية تحديد موقع الضربة العسكرية، وهي تلك التي يتم تنفيذها بالاستعانة بجهاز صغير فائق الذكاء...

لغز الجهاز الذكي:

يعتبر هذا الجهاز بمثابة الركيزة الأساسية التي تستند عليها الحرب الخاطفة حيث كان آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا آنذاك في مجال الشفرة، أو الكود. ويتكون هذا الجهاز من مجموعة من التروس مزودة بوحدة إلكترونية بها ثلاثة أرقام، ولوحة مفاتيح، فعند الضغط على أي رقم من هذه الأرقام تتغير تبعا لذلك حركة التروس مما ينشأ عنها شفرة جديدة آخرى في أثناء الحرب العالمية الثانية، كان يتم تغيير هذه الشفرة كل يوم الأمر الذي أدى إلى إصابة قوات الحلفاء بالشلل.

ولقد كان على الحلفاء آنذاك أن يجدوا حلًا لفك طلاسم هذا الجهاز العجيب.

ومن هنا دارت قصة الفيلم السينمائي U571 على الرغم من عدم تقديمه بالشكل اللائق، وكان على الحلفاء في المقابل عدم إفشاء اكتشافهم لهذه الأجهزة مما يعني أن يقوم الحلفاء بالاستعداد، والتصدي فقط للغارات الخطيرة، والمؤثرة. وبعد ذلك تم تغيير، وتعديل هذا الجهاز عدة مرات أثناء الحرب حيث استطاع الألمان بواسطته من تحقيق السيطرة العسكرية، فلقد كان من المستحيل التصدي لتلك الحرب الخاطفة بدون معرفة مسبقة بموقع الضربة العسكرية اللاحقة.

لقد كانت استراتيجية الحرب الخاطفة، والتي تسمى من أبرع فنون الحرب على الاطلاق حيث تم التغلب بواسطتها على مشاكل الحرب العالمية الأولى حيث كان التحرك، والقتال من خلال حرب الخنادق، وأكبر دليل على مدى فعالية، وتأثير هذه الحرب هو أن مثل هذه الاستراتيجية لاتزال تستخدمها جميع الجيوش في العالم حتى الآن.

وتُعرف الحرب الخاطفة بأنها: "أسلوب خاص في تكتيكات القتال يقوم على استخدام الطيران، والقوات المدرعة، والقوات الميكانيكية في تحقيق اختراق عميق داخل جبهة العدو، من أجل قطع خطوط إمداداته، وتدمير مراكزه القيادية، والإدارية، وتطويق دفاعاته".

وأول من اعتنقها ودعا إليها في عشرينيات القرن الماضى البريطانى (ليدل هارت)، الذى أطلق عليها: "استراتيجية الاقتراب غير المباشر"، والبريطانى (جون فولر) الذى أخذ ينشر أفكاره التكتيكية التى ركّزت على ضرورة استخدام الدبابات في تعاون وثيق مع طائرات الإسناد التكتيكي المباشر لقطع خطوط مواصلات العدو، وإيقاع الفوضى في مناطقه الخلفية.

متطلبات الحرب الخاطفة:

ويرى الخبيران البريطانيان (فولر)، و (هارت) أن الاختراق الأوّل للجبهة يجب أن يتم بواسطة التعاون الوثيق بين حشود المدرعات التى ترتكز على واجهة ضيّقة قد تصل إلى عدة كيلومترات، وبين القاذفات المقاتلة التى تقدّم دعمًا تكتيكيًا، إضافة إلى الدعم الجوى غير المباشر المتمثل في قصف خطوط مواصلات العدو، ومراكزه الإدارية، والقيادية في العمق العملياتي. وتتطلب عمليات الحرب الخاطفة درجة عالية من التفوّق الجوى، وسرعة الحركة من ضباط يتحلّون بقدر كبير من الخبرة، والمرونة، مع الاعتماد على عنصر المفاجأة، وبطء رد فعل العدو، وضعف سيطرته الجوية، مع استغلال عامل السرعة في التخطيط، والتنفيذ كسلاح نفسي لزلزلة العدو، وزرع الاضطراب، والفوضى في هيكل أوضاعه الميدانية، علاوة على الغموض في عمقه، ومؤخرته.

من أشهر عمليات الحرب الخاطفة:

لعل من أشهر عمليات الحرب الخاطفة ما قامت به القوات الألمانية خلال مهاجمتها أراضى الاتحاد السوفيتى في الحرب العالمية الثانية، وعمليات الإنزال في (كوريا) عام 1950م، وعمليات إسرائيل في حروبها ضد العرب، وكلها باستثناء حرب أكتوبر 1973م كانت معتمدة على الضربة الإجهاضية، والمباغتة، ثم نقل المعركة إلى أرض العرب، وقد ظهر ذلك جليًّا في حرب عام 1967م، التى شنّتها إسرائيل بحجة احتشاد القوات العربية على حدودها، وسحب القوات الدولية، أما في حرب أكتوبر 1973م، فقد شملت الموجة الأولى من هجوم الطيران المصري أكثر من (200) طائرة، والهجوم السوري ما يقرب من مئة طائرة، وتحقق النصر للعرب؛ لأنهم أخذوا زمام المبادأة.

هي نوع من الحرب سريعة الحركة، طورها الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية (1939-1945م). في الحرب الخاطفة حيث تقوم دبابات البانزر السريعة، أو القوات المختلفة، بهجوم ساحق على خطوط العدو ثم تكتسح إلى الداخل، تدعمها قاذفات الانقضاض. وطور الروس خطة الدفاع في العمق ليقابلوا بها الحرب الخاطفة. وكانوا يتركون الألمان يكتسحون للداخل، ثم يفرون من شراكهم، أو يحيطون بالألمان المتقدمين، ويدمرونهم. وقد سُمِّيت غارات الألمان على لندن، والمدن البريطانية الأخرى أثناء عامي 1940م، 1941م، بالغارات الجوية الخاطفة.

طورت عدة دول المبادئ التي قام عليها مفهوم الحرب الخاطفة خلال العشرينيات، والثلاثينيات من القرن الماضي، لكن الجيش الألماني (الفيرماخت) كان من طبق هذا المفهوم، واستخدمه على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الثانية. تتضمن الحرب الخاطفة شن قذف مدفعي مكثف يهدف إلى إلحاق أكبر قدر من الخسائر بقوات العدو، بالإضافة إلى التأثير على معنويات الجنود المدافعين. ثم يعقب ذلك هجومًا بالوحدات الجوية من قاذفات، ومقاتلات؛ لتدمير النقاط الدفاعية للعدو، بعد ذلك يأتي دور وحدات المدرعات التي تتبعها وحدات مشاة ميكانيكية مجهزة بآليات مدرعة، ومدفعية مضادة للطائرات.

الفصل الثامن
الحرب النفسية

الحرب النفسية: هي الاستعمال المخطط، والمُمنهج للدعاية، ومختلف الأساليب النفسية للتأثير على آراء، ومشاعر، وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف. كما أنها وسيلة مُساعدة لتحقيق الاستراتيجية القومية للدولة. وتُشن في وقت السلم، والحرب على السواء، وتُستخدم فيها كل إمكانيات الدولة، ومقدراتها من سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وإعلامية، وغير ذلك من القوى التي تتفاعل مع بعضها البعض لتحدد كيان المجتمع، وشكله. ويمكن القول أيضًا أنها متأصلة في جذور التاريخ الإنساني، ولها أمثلة كثيرة لها في تاريخ الجنس البشري.

مفاهيم متغيرة، ومصطلحات:

ليس من السهل بحال أن نضع تعريفًا محددًا للحرب النفسية، أو نحدد مجالها. وحتى وقتنا هذا فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التي عالجت هذا الموضوع. والحرب النفسية تبدو في أذهان الناس بمفاهيم مختلفة متغيرة، ولم يتمكن حتى أولئك الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا هذا الاصطلاح في إطار واضح المعالم. ولقد جاء هذا الاختلاف في تحديد تعريف واضح للحرب النفسية، نتيجة أن مجال نشاطها غير متفق على حدوده، وحتى بين الهيئات المختلفة داخل دولة واحدة، فإن مفهوم الحرب النفسية يختلف، وتفسره كل هيئة بشكل متغاير.

اتخذت الحرب النفسية الكثير من المصطلحات التي تعبر ولو، وجدانيًا، عما تدور حوله. وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات:

الحرب الباردة.

حرب الأفكار.

الحرب الأيديولوجية، أو العقائدية.

حرب الأعصاب.

الحرب السياسية.

الاستعلامات الدولية.

الإعلام الدولي.

العدوان غير المباشر.

حملة الحقيقة.

الهدف.

يسعى دائمًا كل طرف من أطراف النزاع قبل المعركة، وفي أثنائها إلى إضعاف موقف الطرف الآخر عن طريق شن هجوم عنيف على القوى الروحية، والنفسية لديه، وفي الوقت نفسه يسعى إلى تقوية موقفه هو.

أمثلة تاريخية:

من أشهر الأمثلة التاريخية في هي:

فتوحات جنكيز خان:

فالسائد أن جنكيز خان قد استخدم أعدادا هائلة من المقاتلين، واجتاح بهم أغلب مناطق العالم، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن أراضي وسط آسيا لا يمكن أن تعيل أعدادا كبيرة من السكان في ذلك الوقت الذين بإمكانهم غلبة سكان المناطق المجاورة المكتظة بالسكان، فإمبراطورية المغول بنيت بإبداع عسكري ليس إلا، باستخدام قوات مدربة سريعة الحركة، واستخدام العملاء،

والجواسيس مع الاستخدام الصحيح للدعاية، فقد أشاع المغول أن أعدادهم كبيرة، وأن طباعهم شرسة، وقاسية بغرض إخافة أعدائهم، وخفض معنوياتهم. بالرجوع للتاريخ لا يمكننا معرفة من هو أول من عرف التعذيب النفسي، ولكن يمكن القول أنه ظهر بصورة مشتتة لا يصلح أن نطلق عليها أنها طريقة سائدة من طرق الحروب البشرية مع ذلك.

ومع ذلك يمكن تعريف بأنها الاستعمال المخطط للدعاية، ومختلف الأساليب النفسية؛ للتأثير على آراء، ومشاعر، وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف.

نص رسالة نابليون للديار المصرية:

استخدم نابليون الحرب النفسية؛ لتحقيق أهدافه من الفتوحات بالمشرق العربي. ولا سيما مصر حين أرسل رسالة لأهالي مصر تتسم فيه من استخدامه للكثير من الوسائل المستخدمة في مضمار الحرب النفسية، ومنها؛ الخداع عن طريق الحيل، والإيهام، إثارة القلق باستخدام وسائل غير مألوفة، الشتائم، افتراءات العدو، وعرض قضيته التي يُحارِب من أجلها، خلق قوة خاصة جبارة لا تقهر، التهديد بواسطة التسليح، بث الذعر، وإطلاق الشائعات، التحقير من قوة العدو، الإغراء، والتضليل، والوعد، استخدام الخلافات الدينية، والعقائدية، الإرهاب. وهنا يتضح جليًا في ما يلي من نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله لا ولد له، ولا شريك له في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني علي أساس الحرية، والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل، والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء، والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة، والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها، فما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه حكم علي انقضاء دولتهم . يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وإنني أكثر من المماليك أعيذ الله سبحانه، وتعالي، واحترم نبيه، والقرآن العظيم، وقولوا أيضا لهم أن جميع الناس متساوون عند الله، وأن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل، والفضائل، والعلوم فقط، وبين

المماليك، والعقل، والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم؛ حتي يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان، والخيل، والعتاق، والمساكن المفرحة ، فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم، ولكن رب العالمين رؤوف، وعادل، وحليم. ولكن بعونه تعالي من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء، والفضلاء، والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ، وسابقا كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة، والخلجان الواسعة، والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الظلم، والطمع من المماليك . أيها المشايخ، والقضاة، والإئمة، والجربجية، وأعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك إنهم قد نزلوا في رومية الكبري، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصاري على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردوا منها الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالي يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه، ومع ذلك أن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم ، طوبي، ثم طوبي لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير، فيصلح حالهم، وتعلوا مراتبهم ، طوبي أيضًا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلا الخلاص، ولا يبقي منهم أثر".

المادة الأولى: جميع القري الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا، وأنهم نصبوا علم الفرنساوية، وهو أبيض، وكحلي، وأحمر.

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضًا تنصب صنجاق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه.

المادة الرابعة: المشايخ في كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق، والبيوت، والأملاك التي تتبع المماليك، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدني شيء منها .

المادة الخامسة: الواجب علي المشايخ، والعلماء، والقضاة، والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم، وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقي في مسكنه مطمئنا، وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع علي العادة، والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه، وتعالي لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالي آدام الله إجلال السلطان العثماني ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوي ، لعن الله المماليك، وأصلح حال الأمة المصرية."

فترة الحرب العالمية الثانية:

استطاعت دول المحور، دول روما، برلين، وطوكيو أن تجعل شعوبها أولًا راضية عن القيام بحرب عدوانية، ثم قامت بتفتيت خصومها للحصول على النصر جزءًا بعد آخر، وكان عليها أن تخيف أعدائها المباشرين، وأن تُهدئ خصومها المنتظرين.

وقد اقتضت كل المحاولات التي سبقت العمليات العدائية استخدامًا واسع النطاق للدعاية السوداء برغم ما بُذل من جهد كبير لإخفاء تلك الدعاية. ولقد حقق الألمان في ميدان الدعاية ثلاثة انتصارات:

في المجال السياسي يجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية.

في المجال الاستراتيجي بأن تبدوا كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة، وبذلك يتقدم الألمان رويدًا رويدًا.

في الميدان السيكولوجي باستخدام الذعر الكامل بجعل الشعب الألماني نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة لإخافة الجماعات الحاكمة في دول أخرى، ولتحطيم المعنويات، وتسبب عن ذلك ما يُسمى بـ الانهيار العصبي للأمم، وذلك بإبقائها دائمًا في حالة شك، وعدم تيقن مما يُمكن أن يحدث لها غدًا.

من ناحية أخرى لوحظ أن كلًا من ألمانيا، وبريطانيا وجدتا في الإذاعة وسيلة فعالة يُمكن توجيهها إلى كل دول أوروبا على الموجات العادية، بل تستطيع كل منهما أن تتداخل في الإذاعة

الأخرى بالقيام بما يُسمى أعمال الشوشرة. لقد ركز كل منهما اهتمامه لجذب انتباه أكبر عدد من المستمعين، والتأثير في معتقداتهم، وعواطفهم، وولائهم سواء أكانوا أصدقاء، أم محايدين، أم أعداء.

خرج الألمان بعد ذلك بما يُسمى حرب الإذاعة، وأخذوا منه الدرس، والمبدأ الأساسي، وهو عدم السماح لإذاعتهم أن تسبق الحوادث، والأحداث، إذ كان الراديو الألماني يعد المستمعين أحيانًا لا يستطيع أن يُحققها العسكريون. وقد انتهز البريطانيون ذلك لتوجيه أنظار المستمعين إليها. مما جعل الألمان يضعون ضباط اتصال من الجيش في الإذاعة لمراقبة الإذاعيين في توجيه إذاعتهم.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فلم يكن لديها أي أقسام مدنية، أو عسكرية تتوافر لها وسائل الدعاية، ولكن كان لها في الواقع صلات غير مباشرة ببعض الصحف في كل أنحاء العالم، ولذلك كان أول ما قام به الرئيس روزفلت أن عين منسقًا للمعلومات Co-ordinator of Information. وامتلأت إدارته بالإخصائيين، ولا سيما في القسمين الخاصين بالبحوث، والتحليلات. وجمعت أكوام من المعلومات السياسية، والجغرافية، والاقتصادية، ونسقت عمليات الإذاعة من جهة، ومع السياسة الخارجية من جهة أخرى. وكانت الظاهرة العامة التي واجهها الأمريكيون في الحرب النفسية التي تولوها كانت تكمن في الناحية الإدارية.

وفي 13 يونيو 1942، أنشأ الرئيس روزفلت إدارة معلومات الحرب لتتولى السيطرة المباشرة، وغير المباشرة على كل الدعاية المحلية، والدعاية الخارجية في نصف الكرة الغربي الذي بقى تحت إدارة لجنة روكفلر في وزارة الخارجية، وأخذت إدارة معلومات الحرب قسم الإذاعة من إدارة التنسيق، والتي تغير أسمها إلى إدارة الخدمات الإستراتيجية.

الحرب النفسية، وطرق التصدي لها

إن الحرب النفسية هي أكثر خطورة من الحرب العسكرية؛ لأنها تستخدم وسائل متعددة ، إذ توجه تأثيرها على أعصاب الناس، ومعنوياتهم، ووجدانهم ، وفوق ذلك كله فإنها تكون في الغالب مقنعة بحيث لا ينتبه الناس إلى أهدافها ، ومن ثم لايحطاطون لها. فأنت تدرك خطر القنابل، والمدافع، وتحمي نفسك منها . ولكن الحرب النفسية تتسلل إلى نفسك دون أن تدري . وكذلك فإن جبهتها أكثر شمولا، واتساعا من الحرب العسكرية؛ لأنها تهاجم المدنيين، والعسكريين على حد سواء .

أن الإشاعات هي أكثر دواما؛ لأنها تستخدم في أوقات السلم، والحرب معا ، بل إنها تصوب هجماتها خارج الدولة الخصم نفسها حين توجه ذلك نحو الرأي العام العالمي .

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الحرب النفسية، وكما يراها خبراء علم النفس العسكري: هي استخدام مخطط من جانب دولة، أو مجموعة من الدول للدعاية، وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعات عدائية، أو محايدة، أو صديقة للتأثير على آرائها، وعواطفها، ومواقفها، وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة، وأهداف الدولة، أو الدول المستخدمة.

الإسلام، والحرب النفسية:

يحفل سجل فتوحات صدر الإسلام بالعديد من الممارسات الميدانية للحرب النفسية، وخاصة أثناء نشر دعوة التوحيد ، وإعداد القوة التي ترهب الأعداء. يقول الله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ". سورة الأنفال آية (60).

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" في الصحيحين.

وذلك يفهم منه أن القصد هو إرهاب الأعداء، وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الأمة . وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم: "الحرب خدعة". صحيح البخاري.

ويجوز في الحرب الخداع، والكذب، والإرهاب للأعداء؛ لتضليلهم ما دام ذلك لم يشتمل على نقض عهد، أو إخلال أمان . وفي الخداع أن يخادع القائد الأعداء بأن يوهمهم بأن عدد جنوده كثرة وأن عتاده قوة لا تقهر . يفهم مما تقدم أن إظهار القوة للأعداء، وإخافتهم، وإيقاع الرهبة، والرعب في قلوبهم يحقق النصر عليهم، ويؤدي إلى تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية أكثر من أي وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء ، إذ ينشأ لدى العدو اتجاه نفس يسيطر على أفراده، فيجعلهم يمتنعون عن استخدام قوتهم، أوعن العدوان .

وتستمد القوة الإسلامية قدرتها على إيقاع الرهبة في قلوب العدو من القوة الشاملة، والطاقة الهجومية، وسرعة الحركة، والمفاجآت، والتأهب الدائم.

وفي الحرب المعاصرة: تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرضية إلى أداة عسكرية رئيسية، وقيل : أن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب أثناء الحربين العالميتين الأولى، والثانية؛ بسبب استخدام الذعر الكامل، والانهيار العصبي، وحرب الإعلام.

وقد نوه القادة، والزعماء كذلك بأهمية الحرب النفسية، وأثرها في إدارة الصراع ومن نتائجه، فمن ذلك قول القائد الألماني روميل: "إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل إبدائهم ".

وبالرغم من انتهاء الحرب العالمية الثانية فلازالت الحرب النفسية مستمرة ممثلة في الحرب الباردة، وهي حرب أفكار، وعقائد تحاول فيها الولايات المتحدة استمالة أكبر عدد من الدول إلى جانبها، ملوحة بالقوة تارة، وبميلها إلى السلام، والتعاون من أجل دفع الظلم تارة أخرى.

ومعنى ذلك أن الحرب النفسية ليست قاصرة على وقت الحرب، أو الطوارئ، ولكنها سلاح يستخدم في الحرب، والسلم معا. وتحدد البحرية الأمريكية هدفها من الحرب النفسية بالقول بان الهدف الأساسي من الحرب النفسية: هو فرض إرادتنا على العدو بهدف التحكم في أعماله باستخدام طرق غير عسكرية، وغير اقتصادية.

والحرب النفسية جزء أساسي من الحرب الشاملة، ولذلك فهي تشن قبل الحرب، وفي أثنائها، وفي أعقابها. وهي لا تخضع لرقابة القانون، ولا للتقاليد الحربية، بل إنها عملية مستمرة، وهي وسيلة بعيدة المدى، وليس من الضروري أن يظهر تأثيرها مباشرة مثل المعارك الحربية ، بل إن نتائجها قد لا تظهر إلا بعد شهور، أو سنوات من تنفيذها.

وفي الحرب النفسية يحاول الخصم الاحتفاظ وراء الدين، والصحافة، أو الإذاعة، أو الأحداث، أو الأصدقاء، أو الفكاهات، وما إلى ذلك. ومعنى ذلك أن الحرب النفسية ليست مباشرة، وليست وجها لوجه.

ويقول المخطط العسكري الصيني (صن تزو):

"إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال". فالهزيمة حالة نفسية مداها الاقتناع بعدم جدوى المقاومة أي الاستسلام، والتوقف عن الحرب. والحرب وسيلة من وسائل إقناع

الخصم بالهزيمة فذا اقتنع بالهزيمة، وبعدم جدوى المقاومة تحقق الهدف من الحرب.

وإذا أمكن القناع الخصم بالهزيمة بوسيلة غير الحرب المسلحة لم يعد هناك داع لها. ومن هنا فإن العدو في الحرب يسعى إلى تحقيق هذا الهدف مستخدما وسائل شتى منها الدبلوماسية، والدهاء، والعبقرية في الدعاية، والإعلام إلى جانب قواته الجوية، والبرية، والبحرية، وكذلك مخترعاته، واكتشافاته العلمية، والتكنولوجية. بل إنه يستخدم أيضا إمكانياته الاقتصادية. وفوق ذلك يستخدم ميكروباته، وجراثيمه. والقصد من كل هذه الوسائل هدف واحد هو إقناع الخصم بالهزيمة.

مجالات الحرب النفسية، وأهدفها:

1. يمكن أن توجه الحرب النفسية على المستوى العالمي، أو الدولي مثل القناع الرأي العام، أو تضليله، وعزم الخصم عن أصدقائه، وجلب التأييد، والمساعدة العسكرية، والاقتصادية، والفنية من جانب الأصدقاء.

2. على المستوى القومي أو العربي، وذلك لشغل العرب في معارك جانبية، وخلق الأزمات، والصراعات الداخلية، وباستغلال هذه الإحداث، وتصعيدها، ومحاولة الدس، واستخدام أبواق الدعاية في أشعة لهيبها، وكذلك استهداف النيل من الوحدة العربية، والتشكيك في نوايا العرب، وفي إخلاصهم، وفي التزاماتهم إزاء القضية العربية المصيرية، ومن ذلك إثارة روح الشك، والريبة في نوايا العرب آواء بعضهم البعض. كذلك إشاعة خرافة التفوق الحضاري الإسرائيلي فهم يزعمون إنهم أرباب الحضارة الغربية نفسها.

3. إشاعة الفرقة، والانقسام بين صفوف الأمة ، ونقصد هنا بالفرقة بوجه عام، أي التفرقة بين الشعوب حكومته، وبين الأمة، وحلفائها، وبين القادة، والجنود، وبين الأغلبية من السكان، والأقليات، والتفرقة بين الأحزاب، والطوائف، وأرباب الشيع، والمذاهب المختلفة، والتفرقة بين الجيش، وبين المدنيين، وبين النساء، والرجال، وبين الكبار، والصغار، وبين الأجيال المختلفة، وتؤدي هذه التفرقة إلى تمزيق الجبهة الداخلية، واستنفاذ الطاقات في الخصومات.

4. والصراعات الداخلية.

5. إضعاف إيمان الشعب بعقيدته، وأفكاره، ومبادئه القومية، والوطنية، وإثارة الشك في نفسية، وفي شرعية قضيته، وزعزعة الأمل في النصر، وعلى ذلك فإنه يتخاذل، ويسهل إقناعه بالهزيمة.

6. محاولة كسب جميع العناصر المعزولة في المجتمع لصالح الدولة المعادية حيث تشجع المعارضة، والتمرد، والتخريب في داخل البلاد.

أساليب الحرب النفسية:

تستخدم الحرب النفسية أربعة أساليب رئيسية هي:

أ ـ الدعاية:

وتقوم على استخدام وسائل الإعلام الحديثة من نشر، وترويج للأفكار، والمعتقدات، والأخبار التي تود نشرها، وترويجها بغرض التأثير في نفسية الأفراد، وخلق اتجاهات معينة لديهم. والدعاية كأحد أساليب الحرب النفسية تأخذ أشكلا متنوعة طبقا للأهداف، وطبقا لنوع الأفراد، والجماعات الموجهة إليها فالدعاية تستهدف الاقتناع بالنصر، واقناع العدو بهزيمته. وتشكيكه بمبادئه، ومعتقداته الوطنية، والروحية، وبذر بذور الشك في نفوس أفراده في شرعية قضيتهم، والإيمان بها.

وتستهدف الدعاية في المقام الأول بث الفرقة، وعدم الوئام بين صفوف الخصم ووحداته المقاتلة، فهي تسعي للتفريق بين الخصم، وحلفائه، وبين الحكومة، والشعب، وبين القادة، والجنود، وبين الطوائف، والأحزاب المختلفة، وبين الأقلية، والأغلبية، وتقصد من وراء ذلك كله تفتيت الوحدة، وتفريق الصفوف ليسهل لها النصر.

ب ـ الإشاعة:

وهي عبارة نوعية، أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص لآخر. وهي تعتمد على المبالغة في أخبار معينة، والترويج لها، ونشرها على نطاق واسع، أو خلق أخبار لا أساس لها من الصحة. كل ذلك بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقا لأهداف سياسية، أو اقتصادية، أو عسكرية.

ولذلك فإن الإشاعة قد لا تكون كلية معتمدة على الخيال، فقد تعتمد على جزء من الحقيقة من أجل إمكانية تصديقها، وتقبلها من قبل الناس. وقد تظهر الإشاعة أحيانا في الصحف، والمجلات، أو تجد طريقها إلى موجات الإذاعة، والتلفزيون. وتستخدم الإشاعة، وتنتشر في وقت الأزمات الاجتماعية، والوطنية، ولذلك فإن زمن الحرب هو أنسب وقت لتلك الإشاعات، ونشرها حيث يكون الأفراد في حالة استعداد نفسي؛ لتصديق كثير من الأخبار، والأقاويل التي يسمعونها نظرا لحالة التوتر النفسي الذي يعيشونه.

ولذلك فإن كثيرا من الدول أدركت ذلك أخذت تستخدم الإشاعات كأحد وسائل الحرب النفسية المهمة.

والإشاعات التي تستخدم في الحرب على نوعين إشاعات الخوف، وإشاعات الرغبة. وإشاعات الخوف بما تنطوي علية من إنذار بالخطر تهدف إلى الكف من ثقة الشخص بالنهاية المظفرة؛ لمجهوداته الحربية ، فهي إذا كانت تولد قلقا لا لزوم له كانت أحيانا تؤدى إلى نظرة انهزامية .

وإشاعات الرغبة من ناحية أخرى تحتوى على تفاؤل ساذج. إذ تؤدى إلى القناعة، والرضي عن الحال، والخنوع، وقبول أي حال ممكن. والأمثلة للشائعات لاتعد، ولا تحصها فعلي سبيل المثال انتشرت في الحرب العالمية الأولى الشائعات، والقصص التي تقول الألمان يقطعون أيدي الأطفال، وأنهم يغلون جثث الموتى، ويصنعون منها الصابون، وأنهم يصلبون أسرى الحرب، وفي الجانب الألمان كانت تنتشر شائعات تقول أن الحلفاء يستخدمون الغوريلات، والناس المتوحشين من إفريقيا، وآسيا في حرب الناس المتحضرين، وإنهم يستخدمون رصاص دمدم، وإنهم يعتقلون المدنيين الأبرياء.

طرق مواجهه الشائعات، والدفاع ضدها:-

1. يمكن التصدي للإشاعة عن طريق تكذيبها، أي عن طريق إعلان تكذيبها، ولكن بالرغم أن طريقة التكذيب هي أكثر شيوعا إلا أنها ليست الطريقة المثلي؛ وذلك لان تكذيبها يتضمن الإعلان عنها ، فالإعلان عن تكذيب الشائعة هو في حد ذاته تكرار لها. كذلك هناك أناس يصدقون الإشاعة، ولا يصدقون تكذيبها.

2. يمكن أن يقوم بتكذيب الإشاعة شخصية كبيرة لها مكانتها الاجتماعية، أو السياسية، أو العسكرية، وحينئذ يميل الناس إلى تصديقة أكثر من وسائل الإعلام العادية.

3. ينبغي أن لا تواجه الشائعات بإصدار بيانات، أو تصريحات تستند إلى وقائع غير سلمية، أو معلومات غير دقيقة لمجرد المواجهة العاجلة للشائعات؛ لأن العلاج المؤقت الذي يؤدى إليه هذا سلاحا ذو حدين. إذ أن مجرد عدم تحقيق الوعود، أو التصريحات التي استخدمت كأداة لإطفاء الشائعات يصبح في ذات الوقت دليلا على صدمة ما تتضمنه الشائعات، ويشير هذا أيضا إلى عدم مقدرة الأجهزة التي ترد عليها في معالجة الموقف.

ج – افتعال الأزمات، وحبك المؤامرات:

عبارة عن استغلال حادث، أو حوادث معنية قد تكون بسيطة، ولكن يتم استغلالها لها بنجاح من أجل خلق أزمة تؤثر في نفسية العدو، وتستفيد منها الدولة المستخدمة لهذا الأسلوب. مثال ذلك افتعال إسرائيل لازمة الحدود مع سوريا، ونشاط الفدائيين كمبرر لشن الحرب في عام 1967 كذلك ما حدث في عام 1960 حيث فشل مؤتمر القمة الذي كان مقررا في باريس بين روسيا، وأمريكا إذ أرسلت أمريكا قبل موعد عقد المؤتمر بأيام طائرة تجسس فوق أرض الاتحاد السوفيتي؛ مما أدى إلى انسحاب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي من المؤتمر حين رفضت الولايات المتحدة الاعتذار.

د- إشارة الرعب، والفوضى:

وهذه وسيلة مهمة تستخدم بواسطة استغلال عاطفة الخوف لإرهاب الشعوب، وإخضاعها من خلال استخدام الوسائل المختلفة لخلق حالة من الزعر، والفوضى يسهل علي طريقها السيطرة، والتغلب عليها.

ومن أشد العوامل إثارة للخوف انتظار هجوم العدو، وتخمين نوعة، والجهة التي سيأتي منها. فحينئذ يكون المنطق النفسي للجنود هو : "وقوع البلاء خير من انتظاره".

وحينئذ سود الشك، والقلق نفوسهم، وتكثر التخيلات، والتخمينات، وتجد الشائعات لنفسها مرتعا خصبا بينهم. وكثيرا ما يدفع القلق المستبد بالجنود إلى الهجوم المتعجل؛ ليخلصوا من

الانتظار المخيف، وقد خسر الأمريكيون كثيرا من الجنود بهذه الطريقة أثناء قتال الغابات مع اليابانيين في الشرق الأقصى.

فقد كانوا يندفعون في التقدم فيقعون في الكمائن، وحدث نفس الأمر في شمال إفريقيا إذ دفعت العجلة ببعض القوات الأمريكية الحديثة العهد بالخدمة إلى التقدم دون انتظار لما يقوم به المهندسون عادة في كل تقدم من استكشاف للطريق بغية استخراج الألغام. وكانت النتيجة أن انفجرت الألغام في هذه القوات، وودت بحياة كثير من أفرادها.

طرق التصدي للحرب النفسية:

تدعيم الإيمان الحق، فالحرب النفسية لا تؤثر في المؤمن الحق؛ لأن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى؛ لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية، فالمؤمن إيمانا كاملا لا يخاف التهديد، والوعيد، ولا يرهب، وليس جبانا رعديدا كأولئك الذين يقول الله فيهم:" فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ". سورة الأحزاب آية (19)

حارب الإسلام عوامل الضعف، والهوان، ونزعات الخوف، وعدم الإيمان، وغرس في نفوس المسلمين خلق الشجاعة، والتضحية، والشهامة، والاستهانة بزخارف الدنيا في سبيل نصر ة الحق، ومحبة الله ورسوله.

قال سبحانه وتعالى: قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) سورة التوبة.

ويتفق علماء النفس، وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية: "تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من الإيمان الحق، ومن العقائد الثابتة، وذوي الوعي السياسي الضيق، وغير المثقفين".

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على قوة العقيدة في مواجهة الحرب النفسية للعدو، منها أن قائد الروم في معركة اليرموك التي بعث إلى خالد بن الوليد برسالة تنطوي على التخويف،

والضغط النفسي، وعلى أساليب التخذيل، والدعوة إلى الاستسلام. والحرب النفسية كما ذكرت في البداية تستهدف النيل من نفوس، ومعنويات الجنود، والمقاتلين في ميدان القتال كما تستهدف أبناء الشعب بمختلف فئاته من عمال، وفلاحين، ومثقفين، وهي بذلك أكثر اتساعا، وشمولا من ساحة القتال لذلك فإن تأثيرها أكثر خطورة، وأشد ضررا كما أنها لا تعتمد على المواجهة الصريحة كما يحدث في المعارك العسكرية، ولكنها تلجأ إلى أساليب خفية، وملتوية، ومقنعة غير معروفة بالنسبة لغالبية الشعب.

وقد تؤدي حملات الحرب النفسية إلى بلبلة أفكار أفراد الشعب، أو إلى شعورهم بالثقة بالنفس، وإلى ضعف الروح المعنوية، وانخفاضها، والشعور باليأس، وعدم إحراز الانتصار، وإلى انتشار نزعات استسلامية، وتيارات انهزامية.

وفي كثير من الحيان ما تؤدي الحرب النفسية إلى انعدام ثقة الشعب في الهيئة الحاكمة، وعدم الثقة قدرة القيادة السياسية، والعسكرية، وإلى عدم التفاف الشعب حول قادته، ولذلك كثيرا ما كانت تلجأ أساليب الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية إلى قول الحلفاء مثلا أنهم لا يعادون الشعب الألماني، وإنما يعادون هتلر وحده، وليس ذلك إلا وسيلة من وسائل تصديع قوة الشعب الألماني في ذلك الوقت، وإثارته نحو الانفضاض من حول قائده هتلر.

هذه أمثلة لهداف الحرب النفسية أما وسائلها، فمتباينة، ولكي نتمكن من مقاومتها، ودرء خطرها فلا بد من دراسة هذه الوسائل، والأساليب التي يلجأ إليها العدو في حملات الحرب النفسية التي يشنها.

وتعتمد الحرب النفسية في المحل الأول على معرفة طبائع الشعب الذي ستوجه إليه حملاتها، ولذلك تسعى إلى دراسة عقائد، وميول، واتجاهات، وأساليب تفكير هذا الشعب، وذلك حتى يتسنى لها التأثير فيه، والضرب على مواطن الضعف عنده، كما تلجأ أساليب الحرب النفسية إلى جمع المعلومات، والأخبار التي تحدث فعلا ثم تستغلها، أو تغيرها كلية ثم تنشرها، وتؤولها تأويلا مغرضا يخدم أغراضها.

كأن تثير الشعور بالهزيمة في نفوس الشعب، أو تخفض من معنوياته، أو تثبط من همته، أو تجعله يتكالب، ويتهافت على جمع المؤن، والمواد الغذائية، وتخزينها، وذلك نتيجة لما تفشيه من

أقوال عن احتمال حدوث مجاعات، أو نضوب موارد الغذاء.

وليس من الضروري أن يكون للحرب النفسية أي سند من الحقيقة فقد تختلق أبواق العدو القصص، والأساطير، وتعمل على إذاعتها بين صفوف الشعب معتمدة في ذلك على عدم تحصين عقول أفراده ضدها فقد يذيع العدو عن نفسه أن له قوة لا تقهر، أو أن لديه أسلحة فتاكة سرية.

كما يعمل على إذاعة بيانات عسكرية عن وقوع معارك، وإحرازه انتصارات باهرة فيها، ومن ذلك أيضا ما كان يعمد إليه العدو الإسرائيلي دائما من التبسيط من وطأة الخسائر المادية، والبشرية التي تلحق به، وإصراره على التقليل من شأن الهجمات الفدائية الجريئة.

وفي كل ذلك تعتمد الحرب النفسية على الأصحاء، وإقناع الناس بما تذيعه من الاشاعات تحاول أن تقنع الناس بصحتها، وأن تؤثر في تؤثر في نفوسهم، وأن توجه تفكيرهم، ولذلك ينبغي أن تقابل هذه الإشاعات بمزيد من الحيطة، والحذر؛ لأنها في الأغلب لا تكون بصورة مباشرة بل تكون دائما في صورة خفية مستترة.

وتقع مسؤولية مقاومة الحرب النفسية على كل فرد من أفراد المجتمع، ولكن للشباب دور طليعي في مواجهتها؛ لأن الشباب هو دعامة المجتمع، وعدته، وهو صاحب المصلحة الحقيقية في حاضر المجتمع، ومستقبله، ويمكن تلخيص أساليب مقاومة الحرب النفسية فيما يلي:-

1. عدم إذاعة الأخبار، والمعلومات عن الظروف العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية للوطن، وذلك؛ لأن العدو يحاول جمعها، والاستفادة منها كما يجب الاحتفاظ بوجه خاص بأسرار الوطن حتى لا يلتقطها الأعداء.

2. القيام بعمل إيجابي فعال في ميدان التوعية القومية، وتنفيذ الإشاعات المسموعة بالاستناد إلى الحجج، والبراهين المنطقية، والحقائق الملموسة الواقعية التي تحض الشعب ضد سموم الإشاعات المغرضة التي يروجها الأعداء، وذلك بعقد الندوات، وإلقاء المحاضرات في التوعية، والإرشاد القومي.

3. العمل على تنمية الشعور بالثقة بالنفس، وكذلك الإيمان بالله، وبالوطن فإن الثقة بالنفس أساس كل نجاح كما إنها الدعامة القوية التي يقوم عليها صمود الشعب، واستمرار نضاله، وغرس

القيم الدينية، والخلقية حتى لا تدع الفرصة لتسرب المبادئ الانهزامية.

4. الدعوة لمواصلة الكفاح، والصمود، وعدم اليأس، وحث الناس على المساهمة الإيجابية في المعركة كل في موقعه، فالعامل، والموظف، والفلاح كل يستطيع أن يضرب بمعوله في الإنتاج الذي يرتد أثره، ولا شك على الجندي الرابض على خط النار، فإن الجهاد في الإنتاج لا يقل أهمية، ولا شرفا عن الجهاد في ساحة القتال.

5. الاهتمام بالتدريب العسكري، وكذا على أساليب الدفاع المدني؛ لأن التدريب من شانه أن يبعث على الثقة بالنفس، والاعتزاز بها كما يقوي الإحساس بالقدرة على مواجهة الخطر، وعلى تزكية روح المبادرة في مهاجمة، وإلحاق الهزيمة به.

6. التوعية المستمرة لأفراد الجيش بنوايا العدو، وأهمية الدفاع عن الوطن، ويلاحظ أن أي نقص في الإعلام لجنودنا ما هو إلا مدخل للدعاية التخريبية للعدو.

7. تنمية العلاقات الودية، والصريحة بين القادة، والمقاتلين حتى تسهل مكافحة الدعاية التخريبية للعدو، واستغلال جماعات الإعلام في الوحدات لمعاونة القائد في تنفيذ مهام توعية الأفراد، وهم أفراد منتقمين من بين المقاتلين على درجة عالية من الكفاءة، والذكاء، والشجاعة، ويحظون بإعجاب زملائهم.

8. بث الروح الهجومية لدى المقاتلين أثناء التدريب، وكذا الانضباط العسكري، وروح الفريق، وهي عوامل فعالة لمكافحة الدعاية التخريبية للعدو.

تعدّ الحرب النفسية جزءًا مهمًّا من الحرب الشاملة، فهي أداة استراتيجية ذكيّة حاسمة في أحيانٍ كثيرة، من خلال استهدافها السلبي لمعنويات، ونفسية المقابل، أو المنافس، أو العدو، ولتضفي على الطرف الموالي، والحليف، والمحايد الأثر الإيجابي، ولطالما لعبت، وتلعب الحرب النفسية أدوارًا عظيمة، ومنقذة عند الاستخدام المحترف لها، الاستخدام الأمثل، والذي يأخذ بالاعتبار العوامل؛ الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والتاريخية، والاقتصادية، والنفسية، لتوجّه سهامها بعد ذلك في الوقت، والمكان المناسبين.

فما المقصود بالحرب النفسية، وما هي وسائلها، وكيف تكون الحرب المنشودة التي تختصر الزمن، والجهد، وتأتي بالحلول الغائبة، ولتصبح اللعبة الأخطر، والأشدّ فتكًا من الحرب التقليدية.

- **الحرب النفسية:**

هي الحرب المعنوية، والتي تستخدم فيها الوسائل الدعائية، والنفسية الأخرى للتأثير في الروح المعنوية للمستهدَف، واتجاهاته، ودوافعه، وميوله، سواءً أكان فردًا، أو جماعات، أو مجتمعات بأسرها، وأيضًا تشن الحرب النفسية من أجل عرقلة، وإفشال خطط الخصم، وخلق حالة من الارتباك، والفوضى، والانشقاق، والتذمر بين صفوفه، وتشكيل صور جديدة مغايرة للواقع، والتوقعات، وبالتالي إلحاق الهزيمة به، وتذهب الحرب النفسية إلى التشكيك في سلامة، وعدالة الهدف، أو القضية، وزعزعة الثقة لدى الخصم بإحراز النصر، وتشتيت، وتفريق حلفائه، وكسب الطرف المحايد بطريقة غير مباشرة، وتهدف في بعض الأوقات إلى كسب عامل الوقت، من أجل غرض عمليات إعادة التنظيم، أو خلق الفتور لدى الرأي العام، والمحيط المتابع، والحرب النفسية لا تستهدف الجانب الجسمي الفيزيائي بقدر ما توجّه إلى نفسية، وعقل الخصم.

- **أساليب الحرب النفسية:**

- الدعاية، تعرّف الدعاية على أنها فن التأثير، والممارسة، والسيطرة، والتّعبير، والترغيب لضمان قبول وجهات النظر، والآراء، والأعمال، أو السلوك، وهي في تعريفٍ آخر نشر للآراء، ووجهات النظر التي تؤثر في الأفكار، أو السلوك، أو كليهما معًا، وتقوم على استخدام أدوات الإعلام الحديثة المختلفة من أجل نشر، وترويج المعلومات المتعلقة بالأفكار، والمعتقدات، والأخبار التي تود نشرها، وترويجها بغرض التأثير في نفسية الأفراد، وتستخدم كافة وسائل الاتصالات كالمؤتمرات، والدعوات، والندوات، والمقابلات، والتلفاز، والإذاعة، والمرئيات، والإنترنت، والمعارض.

- الإشاعة: وهي عبارة نشر معلومة لتتناقل من شخص لآخر. عادةً ما تستخدم كمقدمة لعمل، أو حدث مخطط له. الإشاعة جزآن، الأول حقيقي يؤمن به الجميع، نتيجةً لمعتقد معين، أو فكرة معينة، أو حدث معين، أو حتى صفات لشخصية معينة، والآخر خيالي، وهو الهدف المراد إيصاله، وتعتبر بيئة، وأوقات الحروب الأنسب؛ لنشر الإشاعة، حيث يكون الأفراد في حالة استعداد

نفسي، وتلهّف لسماع الأخبار؛ بسبب حالة التوتر النفسي التي تكتنفهم، ولذلك فإنّ كثيرًا من الدول التي أدركت ذلك، أخذت تستخدم الإشاعات كأحد وسائل الحرب النّفسية المهمة.

- افتعال الأزمات وحبك المؤامرات، وذلك عن طريق استغلال أوضاع سياسيّة، أو اقتصادية، أو عسكرية، أو حوادث معنية بهدف خلق أزمة تؤثر في نفسية المستهدَف.

- الزيارات الرسمية، والإعلامية المفاجئة:

وتخلق الزيارات الرسمية غير المتوقعة للمستويات، والمناصب الكبيرة اضطرابات في الاتجاهات، والآراء، وهي فن سياسي إعلامي يدخل إلى حد كبير في جانب الحرب النفسية.

الفصل التاسع

حرب العصابات

حرب العصابات (بالإنجليزية: Guerrilla warfare) هي: حرب غير تقليدية، بين مجموعات قتالية يجمعها هدف واحد، وجيش تقليدي، حيث تتكون هذه المجموعات من وحدات قتالية صغيرة نسبيا مدعمة بتسليح أقل عددا، ونوعية من تسليح الجيوش. وتتبع أسلوب المباغتة في القتال ضد التنظيمات العسكرية التقليدية في ظروف يتم اختيارها بصورة غير ملائمة للجيش النظامي. ومقاتلوا حرب العصابات يتفادون الالتحام في معركة مواجهة مع الجيوش التقليدية؛ لعدم تكافؤ الفرص، فيلجأون إلى عدة معارك صغيرة ذات أهداف استراتيجية يحددون هم مكانها، وزمانها بحيث يكون تأثيرها موجعا للخصم. والاسم الأجنبي أصله إسباني ويعني الحرب الصغيرة.

المكان:

أولا: الكمائن يتم اختيار المكان المناسب لإعداد الكمائن حسب متطلبات المعركة بحيث يؤمن لمقاتلي حرب العصابات العناصر التالية:

1. يؤمن لهم تحقيق عنصر المباغتة، والسرعة، والحسم.

2. يسهل الانسحاب منه.

3. يؤمن لعناصرهم القتالية حماية جيدة.

4. يشكل صعوبة للخصم للتحرك بحرية.

5. يضع قوات الجيش النظامي في مرمى نيرانهم، وإبقائهم مكشوفين لأطول مدة ممكنة.

ثانيا: الإغارة التي تتشابه في تفاصيلها في بعض شروط الكمائن التي تعتمد انتظار وصول القوات المعادية إلى نقطة معينة بينما تستند الإغارة على مباغتة الجيش المعادي في مواقعه.

الزمان:

يتم اختيار الزمان بناء على معطيات المعركة، وأهدافها:

1. غالبا ما تشن هذه الهجمات في جنح الليل مستغلين الظلام الدامس.

2. اختيار الوقت الذي تكون فيه قوات الخصم في أقصى حالات النعاس، والتعب.

3. لا يمنع أن تشن قوات حرب العصابات هجماتها في أوقات أخرى حسب الهدف المقصود، ولكن على حساب تكون فيه المخاطرة أكبر.

التسليح:

ليس هناك مقياس محدد لتسليح العناصر القتالية في حرب العصابات، ولكن لطبيعة ديناميكية الحركة عندهم فتفضل الأسلحة الخفيفة التي يمكن حملها، وأكبر كمية ممكنة من الذخيرة:

- البنادق السريعة الطلقات (الرشاشة).
- الصواريخ المحمولة فرديا، والمضادة للدروع.
- مدفع متوسط لتأمين التغطية الكثيفة، ومنح عناصر المجموعة حرية أكبر من الحركة.
- القنابل اليدوية.
- ألغام لتزرع ضد الأفراد، وضد الآليات.

. أسلحة بيضاء كالخناجر، وغيرها.

الأهداف:

1. أعمال الاستطلاع، والرصد، والتجسس لتحركات الجيش المعادي لصالح عملياتهم.

2. تخريب خطوط اتصال الجيش المعادي.

3. تحقيق أكبر الخسائر في خطوط تموينه.

4. توجيه ضربات سريعة، وحاسمة في قوات الدعم اللوجستي.

5. ضرب بعض النقاط الاستراتيجية التي يملكها الجيش المعادي.

6. عمليات الاغتيال، والخطف.

7. شن حرب نفسية ضد القوات المعادية عن طريق بث الشائعات التي من شأنها إضعاف الثقة بين أفراد قواته.

8. تزوير الوثائق التي من شأنها تسهيل مهامهم المختلفة.

القيادة:

تتميز قيادة حرب العصابات بأحادية القيادة، حيث يجمع قياديوها عادةً، بين القيادة العسكرية، والسياسية. وتعتمد حرب العصابات على الإعلام بشكل رئيسي، وذلك في تصوير، ونشر العمليات العسكرية، قبل، وأثناء، وبعد أي عملية عسكرية، أو كما يتطلب الموقف. كما أن التركيز في استخدام الدعاية، والحرب النفسية مهم بالنسبة لعناصر حرب العصابات؛ وذلك لكسب المزيد من الأنصار، والتبرعات بالأموال.

علاقتهم بالسكان:

يحرص عناصر حرب العصابات على الحفاظ على سريتهم، وسرية تحركاتهم، كما يحرصوا أن يكونوا على صلة طيبة مع السكان المدنيين؛ لأنهم خير من يؤمن لهم غطاء أمنيا، ومصدرا للتمويل، والتموين. وعادة ما تبقى العناصر القتالية في الريف، والأماكن المعزولة

استعدادا لنقل حربهم إلى المدن حالما يحين الوقت. طبعا يعتمد هذا على ما إذا كان مسرح عملياتهم، وأماكن تواجدهم في أرض صديقة، أم لا.

إستراتيجية، وتكتيك حرب العصابات:

تعتبر حرب العصابات من الناحية الإستراتيجية جزءًا مكملًا لحرب الحركة، أو الحرب النّظامية التي يخوضها الجيش النّظامي ضمن إطار، وخطّة حرب التّحرير.

ولما كانت الإستراتيجية تتأثر بالواقع سلبًا، وإيجابًا، وأنَّ واقع هذه الحرب يبدأ بمجموعة صغيرة تؤمن بمبدأ، أو عقيدة، فليس لهذه المجموعة إلا أن تتسلّح بمبادئ إستراتيجية معينة تتيح لها استمرارية، وتطوير العمل، وهذه المبادئ هي:

1- العمل من خلال تنظيم عقائدي.

2- الحرص على الحسم السياسي للصراع كأسبقية أولى، وبدرجة أكبر من الحسم العسكري.

3- التعبئة، وتأييد الشّعب.

4- كسب التأييد الدّولي.

تكتيك حرب العصابات:

على الرغم من أنَّ إستراتيجية العصابات دفاعية، فإن تكتيك هذه الحرب هو تعرضي (هجومي)، وعلى الرغم أيضًا من اختلال ميزان القوى ضد مصلحة العصابات على المستوى الإستراتيجي فإنّها تسعى إلى تأمين التفوق على المستوى التعبوي (التكتيكي). وتطبق العصابات أساليب هجومية كالغارات، والدوريات، والكمائن، وحرب الألغام، والمتفجرات، وقصف المواقع الحساسة بوحدات قصف متحركة (هاونات، ومدفعية خفيفة، وقاذفات صواريخ)، ومهاجمة المناطق المنعزلة، وأرتال العدو، والتصدي لطائرات العدو المقاتلة، والمروحيات.

وأن هذه الأساليب، وغيرها من الوسائل المتطورة تكون فعالة، ومؤثرة تعمل على استنزاف جهد الخصم بشريًا، وماديًا، ومعنويًا، والإبداع، والمرونة في الوسائل، والأساليب ضروري، ومهم؛

لتحقيق مباغتة، وإرباك العدو. ووفق المعادلة المعروفة التي يستخدمها وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق هنري كيسنجر (يكفي للأنصار، والمقاومين أن لا يخسروا حتى يربحوا)

رجال العصابات:

وفقاً للقانون الدّولي يعدّ رجال العصابات مشمولين في فئة القوات غير النّظامية، ومثلهم كمثل جميع المقاتلين يتمتعون بحقوق مختلفة باختلاف إذا كان النزاع المسلح دوليًا، أو داخليًا.

وحسب اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 يعد رجل العصابات شخص يقاتل ضمن قوات غير نظامية مقاتلًا شرعيًا في نزاع مسلح دولي شريطة أن يقاتل وفقًا لشروط معينة محددة.

ولكون رجل العصابات مقاتلًا شرعيًا وفقًا لأحكام المادة من هذه الاتفاقية فله أهمية مزدوجة فأولًا إذا أسر من قبل قوات دولية معادية لا يقاضي، أو يعاقب لمشاركته في القتال، وثانيًا ينبغي أن يعامل كأسير حرب حسب القواعد الدّولية السارية.

ولكي يمنح المقاتل امتيازات المحارب الشّرعية عليه الالتزام بالقواعد الأربع الآتية:

1- أن يقوده شخص مسؤول عن مرؤوسيه، ويقصد بهذا الشرط ضمان أن يكون للقوات غير النّظامية نظام قيادة، وانضباط قادرًا على الالتزام بقوانين الحرب.

2- أن يرتدي شارة، أو قطعة قماش مرئية عن بعد تشير إلى أنه عسكري.

3- أن يحمل سلاحهُ علنًا؛ ليشير إلى وضعه العسكري، وليتميز عن السكان المدنيين.

4- أن يلتزم بقوانين الحرب.

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نوضح بأن حرب العصابات: هي وسيلة ثورية، وعقائدية مسلحة، وهي أحد وسائل، وتقنيات حروب التحرير الوطنية التي تستنزف جهد الخصم، والاحتلال بالذات بشريًا، ومعنويًا، وماديًا.

حرب العصابات.. أسباب النجاح، والإخفاق:

حرب العصابات هي أسلوب قتالي يقوم به المستضعفون ضد المعتدين عليهم بغض النظر عن عقيدة أو هوية أي منها.

وتختلف حرب العصابات عن الحرب النظامية التقليدية اختلافًا كبيرًا،فهي تعتمد على السرية، والرصد، والتخفي، والكمائن، والهجمات المباغتة ثم الانسحاب السريع. والاختفاء، وهدفها ميدانيًا هو استنزاف العدو استنزافًا تدريجيًا لا حسم المعركة ميدانيًا من أول جولة.

ولكي تحقق حرب العصابات أهدافها، أو كثيرًا منها فلابد من إيقاع الخسائر البشرية، والمادية بالأعداء بما يؤدي لاستنزافهم تدريجيًا حتى تخور قواهم لدرجة تُمكِّن المستضعفين منتحصيل ما يريدون، أو كثيرًا منه، فتحقيق الإنجازات خاضع لمهارتهم، وقوتهم في إدارة تطورات الأحداث القتالية، والمناورات السياسية.

حرب العصابات: هي القوة المؤثرة، والمعقدة التي تملكها مجموعات صغيرة متفرقة ذات هدف موحد، لردع، أو استنزاف جيش نظامي كثير العدد، وقوي العتاد، ولقد أثبتت هذه الطريقة القتالية فاعليتها، و نجاحها حتى أنها جعلت كيانات كبيرة، ومتماسكة تستسلم، وتخضع، وتستجيب لمطالب مجموعات صغيرة، كما حدث مع الصحابي الجليل أبي بصير- رضي الله عنه - حين استنزف الكفار بمجموعات صغيرة، وجعلهم يتراجعون، ويتنازلون عن شرطهم الذي اشترطوه على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو: "أن يَرُدَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كل من يأتيه من قريش مسلمًا، وألا تَرُدَّ قريش من يأتيها مرتدًا عن الإسلام"، كما ثبت في حديث الحديبية الطويل من قصة أبي بصير من رواية عروة بن الزبير رضي الله عنهما، حيث قال:

"ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ،

لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}".

الإخفاق بسبب الضغوطات الخارجية، والخيانات الداخلية:

نجح الشهيد عمر المختار، ومعه ثلة من أبناء الإسلام العظيم باستنزاف الجيش الإيطالي مرحليًا بحرب عصابات موفقة، إلّا أن حالة التخبط التي كانت تعيشها الأمة عمومًا بما فيها ليبيا، وكذلك الخيانات – الداخلية، والخارجية - التي تعرّض لها المجاهدون المخلصون بقيادة عمر المختار، والطعنات المتتالية في ظهورهم، وتواطؤ تجار الدين، والوطنية مع الإيطاليين ضدهم؛ كل ذلك أدى في نهايته لحسم المعركة لصالح الإيطاليين، وعملائهم، ولكن ذلك لن يدوم، وسيزول قريبًا بإذن الله، فالأمة نهضت، واستنفرت، ولن تقبل إلا بالتحرير التام، وإقامة دولة الإسلام.

وسيظل الشهيد عمر المختار، وصحبه رحمهم الله أحياء في قلوب الأحرار.

وبما أن الحديث أخذنا إلى حيث الشهيد عمر المختار، فإنني أذكر هنا على سبيل الفخر، والاعتزاز نهاية هذا البطل الأسطورة، والتي سطرها التاريخ بأحرف من نور ستبقى تنير الطريق للمجاهدين المخلصين حتى يأذن الله بالفرج من عنده، ويكرمهم بالنصر المبين. ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبًا.

ففي عام1931 م وبعد يومين من الإبداع في الصمود، والتحدي، وقع الشهيد عمر المختار أسيرًا في يد الإيطاليين، وذلك بعد ملحمة تاريخية بطولية، حينها سارع الإيطاليون بعقد محكمة صورية له تم الحكم عليه فيها بالإعدام شنقًا، وقبيل إعدامه قال للإيطاليين، ومن معهم من الخونة، والمندسين كلمات سطرها التاريخ في أنصع صفحاته، ولازالت الأجيال تتناقلها على سبيل العزة، والاستلهام البطولي: "نحن لا نستسلم، ننتصر، أو نموت، وهذه ليست النهاية، بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم، والأجيال التي تليه، أما أنا فإن عمري سيكون أطول من عمر شانقي".

وهنا تجلى صبر المخلصين، وظهرت خيانة الخونة، والمجرمين الذين تواطؤوا على بلدهم، وأهلها لصالح المحتل الغاشم.وها هي الثورة الليبية نهضت من جديد، وستبقى مستمرة بإذن الله، حتى تعود ليبيا حرة مصونة يعلوها شرع الله، ويسودها العدل.

الإخفاق بسبب استعجال النتائج، وقطف الثمار:

خاض أبطال فلسطين معارك ميدانية كثيرة ضد الاحتلال الصهيوني، والذي وقفت، ولازالت تقف معه أمريكا، وأوروبا، وروسيا، ولا يزالون، وخلفهم المخلصون، والصادقون من الأمة يواصلون جهودهم، وجهادهم فيطريقهم نحو النصر، والتمكين.

وفي عام 1987م اشتعل الجهاد، وعم ربوع فلسطين (وذلك تحت مسمى انتفاضة ال 87)، وبدأت حرب العصابات تنتشر، وتتكاثر، وتقوى، وتتمركز تدريجيًا، إلا أن الاحتلال الصهيوني بدد جهودها، وقزّم نتائجها حين استدرج منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسرعرفات رغبًا، ورهبًا، وخدعهم باتفاق أوسلو، والذي يمثل هزيمة ساحقة لمنظمة التحرير، وكل من أيدها، وشجعها على التوقيع على تلك المهزلة.

وفي عام 2000م (وتحت مسمى انتفاضة الأقصى) تجدد الجهاد، واشتد في كل مكان، وحمي الوطيس ما أدى؛ لقتل أعداد كبيرة من عصابات الاحتلال الصهيوني، وهروب أكثر من مليون محتل منهم خارج فلسطين المحتلة، وذلك حين ضربت المفخخات، والاستشهاديون قلب المدن الصهيونية، وتزلزل أمنها، وهكذا واصلت الثورة تقدمها من نصر إلى نصر، إلى أن تَدخَّل الملك عبد الله السعودي، وقدّم مبادرته المشؤومة عام 2002م، والتي كانت خنجرًا مسمومًا؛ أدى تدريجيًا للالتفاف على الثورة، وشعلتها.

وهكذا بدأت نارالجهاد تخبو شيئًا فشيئًا، وذلك بسبب تخذيل الحكومة السعودية، ومن معها من حكام العرب، وخيانة السلطة، ومن لف لفيفها، وسذاجة، وسطحية تفكير قيادة المقاومة حينها، حيث تم استدراجها تدريجيًا للمشاركة في سلطة أوسلو، والتعامل مع مخرجاتها.

ولكن كل ما سبق لن يكون أكثر من كبوة فارس، واستراحة مقاتل قصيرة، ومن ثم ستشتعل الأرض نارًا تحت أقدام الغزاة المحتلين بإذن الله تعالى.

أقول ذلك: لأن كل أسباب الثورة مهيأة، ولم يتبق لاشتعالها أقوى من ذي قبل إلا موانع بسيطة، وهي على وشك التلاشي.

وستكون أهم أهداف هذه الثورة المنتظرة هي: التحرر من الغزاة، والطغاة، وتحكيم شرع رب الأرض، والسماء.

الخُلاصة:

من يتتبع كل ما سبق يلاحظ كيف نجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في إدارة مرحلة ما قبل صلح الحديبية، وأثناء قيام أبي بصير، والصحابة رضي الله عنهم بحرب عصابات ضد الكفار، وكيف استفاد منها ميدانيًا، وسياسيًا، وكيف أخفقت الأمة الآن، و لم تستفد من حروب العصابات، والتي لازالت تخوضها منذ عقود، يعلم يقينًا أن من أهم أسباب عدم توفقنا، وتحقيقنا إنجازات ميدانية مركزية قوية، هوعدم توكلنا على الله التوكل الذي يجلب معه معية الله، وتوفيقه، ونصرته، وكذلك تشرذمنا، وعدم توحدنا على كتاب ربنا تعالى خلف قيادة ربانية جهادية واحدة موحدة، وكذلك الانجرار خلف الحلول السياسية ضمن أطر، ودوائر النظام العالمي الظالم، والذي لازال يمثل الصخرة الأكبر في وجه تحررنا من الغزاة، والطغاة، وأذنابهم.

أستثني مما سبق بعض الفتوحات، والانتصارات التي يحققها المجاهدون في أفغانستان، والقليل من الفتوحات التي يحققها بعض المجاهدين هنا، أوهناك، والتي تُعتبر قليلة قياسًا على ما تعانيه الأمة، وتُقَدِّمه من تضحيات، وآلام.

لذا يجب على الأمة جميعًا أن تعتصم بحبل الله، وأن تتخلى عن حظوظ النفس، وتتنازل لبعضها، وترص صفوفها خلف قيادة ربانية موحدة، حتى تتمكن منتصرة الإسلام، وأهله، ومجاهدة أعدائها على النحو الذي يحقق النتائج الإيجابية المرجوَّة بأقل الخسائر، والله ولي التوفيق.

جدلية لا شك إن استراتيجية ما عرف بحرب العصابات تعد من أشهر المصطلحات التي تلقى رواجا عند الحديث عن أي مواجهة بين طرفين أحدهما ضعيف للغاية الآخر قوي للغاية، وعلى الرغم من رواج المصطلح، والاستراتيجية، والفكرة سواء من ناحية التنظير، أو من ناحية التجربة العملية في العديد من الصراعات التي سنتناولها لاحقا، إلا أننا نرى العديد من المفاهيم

المغلوطة، والتصورات الناقصة، أو السطحية لهذه الاستراتيجية سواء من قبل الجمهور المهتم من الأمة المسلمة، أو من قبل قادة التغيير، والرأي في الحركات المختلفة عبر العالم الإسلامي لذا سنحاول عبر الأسطر القادمة أن تبيين ما هي استراتيجية حرب العصابات؟ وأهم أركانها، وشروطها بصورة علمية؛ لنجلي المفاهيم التي ربما تكون ملتبسة لدى البعض حولها.

قد تغير شكل الحروب بعد الحرب العالمية الثانية، وبرزت أنماط غير اعتيادية من الحرب مثل: الحرب الباردة، وحرب العصابات، والحروب غير المتوازية، وشهد العالم في فترة ما بعد الحرب العالمية عدد قليل من نمط الحرب النظامية مثل:

– الحرب الكورية.

– حروب العرب مع الكيان الصهيوني (48-67-73).

– الحرب العراقية الإيرانية.

– حرب الفوكلاند.

ويرجع تغير شكل الحرب، ونمطها عن شكل الحروب النظامية المعروف منذ القدم إلى عدة عوامل منها:

تدمير كثير من الدول الأوربية، واضمحلال دول أخرى بعد الحرب العالمية الثانية.

نظام القطبين الذي يهيمن على العالم ثم نظام القطب الواحد أوجد صيغة حاكمة للصراعات الدولية؛ بسبب فرق القوة غير القابل للتناسب بين أمريكا مع الاتحاد السوفيتي قديما ثم أمريكا منفردة، وبين باقي دول العالم.

انعدام التكافؤ، ولو نسبيا في كثير من الصراعات بين الطرفين.

ظهور التقنية النووية، وامتلاك حوالي 9 دول للقنابل النووية، ووسائل إيصالها.

إنهاك الحروب الأوربية المتوالية للدول الكبرى عبر عدة قرون جعل إدارة الحرب، والقتال تكاد تكون منعدمة إلا ضد أطراف بالغة الضعف لا يمكنها إلحاق أي أذى فضلا عن أن تمتلك قوة مقاربة.

انتشار الصيغة الأمريكية لإمبراطورية لحكم العالم عبر وكلاء محليين، ومؤسسات النظام الدولي في معظم دول العالم باستثناء الدول الكبرى، وهذه الصيغة تنتج طغاة محليين يتحكمون بالسلاح، والمال، والسلطة، وشعوب فقيرة مستعبدة تعاني القهر، والظلم، وثروات منهوبة لصالح الدول الكبرى.

سننقل الآن أقدم ما دون حول حرب العصابات في العصر الحديث، ولا يعني هذا أن هذه هي بداية الاستراتيجية فهي قديمة قدم الحرب، ولكن هذا هو أول ما وصل إلينا من كتابات علمية حولها، و ننقلها هنا من كتاب البعد الأول، وهو مختصر كتاب عن الحرب لكلاوزفيتز، ونبين بذلك الخطأ الشائع أن أول من دون فيها هو ماو تسي تونج، فتحت باب بعنوان الشعب المسلح تطرق كلاوزفيتز؛ لمناقشة أسلوب حرب العصابات كاستراتيجية دفاعية، وذلك بناء على السوابق التاريخية، وعلى تجربة عصره التي مثلتها الحرب الإسبانية ضد جيوش نابليون في شبه الجزيرة الإيبيرية.

الظروف التي حددها كلاوزفيتز حتى تكون حرب العصابات ناجحة:

أولاً: يجب خوض الحرب في الأجزاء الداخلية من البلاد.

ثانياً: أن لا تحسم تلك الحرب بضربة حاسمة منفردة.

ثالثاً: أن تلائم السجايا الشعبية العامة هذا النوع من الحرب.

رابعاً: يجب أن يكون مسرح العمليات كثير الاتساع.

خامساً: يجب أن تكون المنطقة وعرة، وصعبة المسالك.

لا يجوز، ولا يمكن استخدام العصابات المسلحة ضد أي قوة معادية بحجم كبير فلا يفترض بها مهاجمة قلب العدو بل مواصلة القضم في القشور الخارجية الهشة، وحول حافات القوة، أو أطرافها، ويكون محور عمل العصابات مؤخرة العدو، وطرق مواصلاته، وأرتاله الضعيفة المتحركة، ويجب ألا تتحول العصابات إلى قوة مادية كبيرة، وثقيلة، وأن تقتصر على كونها قوة غامضة، وغير محددة سريعة التملص، والاختفاء حتى لا يستطيع العدو توجيه قوة كافية إلى مركز هذه القوة وسحقها، كما ينبغي الحفاظ على رجال العصابات من الموت، والأسر، وينبغي للعمل

الدفاعي أن يتميز بالبطئ، والإصرار، والحسابات الدقيقة، وأن يسبب مخاطر أكيدة للعدو، ويجب اللجوء لهذا الأسلوب عند اندحار الجيش الرئيسي، أو قبيل الإعداد لمعركة كبرى مع العدو المتفوق.

على الحكومة (القيادة) أن لا تفترض أن مصير بلدها، ووجودها كلية معلق على نتيجة أي معركة مهما كانت قوة، أو درجة حسمها إذ حتى، وبعد الاندحار هناك، وعلى الدوام إمكانية انقلاب الخط بفعل تطوير، واستغلال لموارد جديدة للقوى الداخلية، أو من خلال المعاناة الطبيعية، والمتتالية التي تقاسيها كل الأعمال التعرضية (الهجومية) على المدى البعيد، أو بفعل مساعدات خارجية فهناك، وعلى الدوام وقت كاف للموت.

بعد انهماك المنتصر بعمليات الحصار، وبعد تركه لحاميات على طول الطريق لتحديد خطوط مواصلاته، أو حتى لو اقتصر على إرسال مفارز لضمان حرية تحركه، ولمنع المناطق الجانبية من إزعاجه، وبعد أن يتم إضعافه؛ بسبب تكبده مختلف أنواع الخسائر في الأرواح، والمعدات يحين عندها وقت المدافع في السيطرة ثانية على الساحة، وساعتها فإن ضربة أحسن إعدادها، وتوجيهها ضد المهاجم في موقفه الصعب هذا ستكون كافية لزعزعته.

لحرب العصابات عدة مسميات ذات دلالات هامة توضح معناها منها:

حرب الأنصار: حرب تقوم على اكتساب دعم الشعب.

حرب الألف جرح، أو البرغوث، والكلب: حرب تقوم على الاستنزاف الطويل لعدو قوي من قبل طرف ضعيف.

حرب الغوار: تقوم على المغاوير الأشداء.

الأمثلة، والتجارب الهامة التي ينبغي دراستها:

– الحرب الإسبانية ضد نابليون: ويمكن مراجعة فصل الشعب المسلح في كتاب عن الحرب لكلاوزفيتز لدراستها.

– عبد الكريم الخطابي في المغرب.

– عمر المختار في ليبيا.

– ماو تسي تونج في الصين.

– حرب فيتنام ضد فرنسا، وضد أمريكا.

– الثورة الكوبية.

– أفغانستان: وقد خاضت في العصر القديم عدة حروب ضد الاحتلال البريطاني، وهزمت بريطانيا في معارك مشهورة، وفي العصر الحديث خاضت حرب ناجحة ضد الاحتلال السوفيتي مرت بالمراحل كلها حتى إقامة دولة ثم تخوض حرب ناجحة ضد الاحتلال الأمريكي، وقد انتقلت من مرحلة الاستنزاف مؤخرا إلى مرحلة المعارك شبة النظامية.

– الصومال: تشابه الوضع في أفغانستان حاليا، وللاطلاع على مزيد تفاصيل عن البلدين يمكن مراجعة مقال الموقف الاستراتيجي للأمة المسلمة.

– الشيشان.

عناصر الاستراتيجية.

جدلية حرب العصابات: حقيقة الاستراتيجية، والمفاهيم المغلوطة 3.

أولا: إطالة أمد الحرب، وهو يعني ضرورة استمرارية العمل، والحرب، والمحافظة على الاستمرارية لعدة أسباب منها:

لكي يتحقق استنزاف قوي العدو، وموارده الكبيرة.

كسب دعم وتأييد الأنصار بشكل تصاعدي.

اكتساب الخبرات، والموارد اللازمة؛ لتقوية العصابات.

ثانيا: الالتزام بالمراحل الثلاثة للاستراتيجية، فالمرحلية هي الركن الثاني، وعدم تطبيقه بشكل دقيق سواء في الالتزام بشروط كل مرحلة، أو في الانتقال بين المراحل المختلفة يؤدي للفشل التام.

المرحلة الأولى: الاستنزاف، أو الدفاع الاستراتيجي.

المرحلة الثانية: الحرب شبه النظامية، أو التوازن النسبي.

المرحلة الثالثة: الحرب النظامية، أو الحسم العسكري.

سمات المرحلة الأولى:

– عمليات صغيرة الحجم، وكثيرة العدد، ومتفرقة، ومنتشرة على أكبر مساحة ممكنة.

– التسليح من العدو، والشئون الإدارية من المحيط المحلي.

– لا قواعد، ولا مراكز، ولا وجود مادي ثابت.

– التكتيك العسكري يقتصر على الكمين، والإغارة مع مراعاة المرتكزات التالية:

التفوق المحلي: ونعني به التفوق على العدو في العملية التي نقوم بها سواء كمين، أو إغارة بالرغم من أن التفوق العام بالتأكيد في صالح العدو إلى أنه لابد من وجود تفوق محلي في أي عملية نقوم بها، وإلا يجب إلغائها، ويحسب التفوق بمبدأ قوة النيران، وليس بمبدأ التفوق العددي إلا في حالات نادرة.

الكر، والفر: أي الحركة الدائمة سواء من أجل الهجوم على العدو حين يكون غير متوقع، ومرتاح، أو للتملص منه حال الاستنفار، والاستعداد لمهاجمتنا.

التمركز، والانتشار: تهدف استراتيجية العمليات لجعل العدو يشتت قوته على رقعة كبيرة جدًا مما يجعله ضعيف في كثير من الأماكن، وعرضة لهجماتنا، وحين يدرك ذلك يقوم بالتمركز، وتجميع قواته في نقاط قوية مما يجعله يترك مناطق، ومساحات؛ لنجعلها خاضعة لنفوذنا، ويعتمد على الأرتال القوية التي يوجهها نحو مناطق نفوذنا، والتي نتعامل معها طبقا للمرحلة.

سمات المرحلة الثانية:

– قواعد، ومراكز ثابتة في المناطق التي يخرج منها العدو، وتخضع لنفوذنا.

– العمل في مناطق العدو التي يحتفظ فيها بقوته مثل: أسلوب المرحلة الأولى.

– العمليات من مناطق نفوذ الثوار تصبح عمليات عسكرية أكبر حجمًا، ونوعًا.

– بناء القوة العسكرية النظامية لمواجهة متطلبات المرحلة، والمراحل القادمة.

– بناء نواة النظام السياسي، ونموذج الدولة في المناطق المحررة.

سمات المرحلة الثالثة:

– عمليات عسكرية نظامية تخضع لقوانين الحرب النظامية، وتهدف لحسم الحرب الطويلة، ويكون هدفها الاستيلاء على العاصمة، ومراكز الحكم.

– العمل السياسي المتكامل الداخلي سواء بالتفاوض مع الحكومة العدو، أو لحشد الشعب وصد المعارضة، والخارجي مع الدول الأخرى؛ لتحييدها على قدر الإمكان، وتقليل خطر مواجهتها للثورة، ودعم النظام العدو.

ملاحظات هامة:

جدلية حرب العصابات: حقيقة الاستراتيجية، والمفاهيم المغلوطة 5

– من الجبال، أو المناطق الوعرة نحو الأرياف ثم المدن ثم العاصمة هذا هو اتجاه العمل المفترض في دورة حياة حرب العصابات.

– إمكانية الرجوع في المراحل بمعنى أنه يمكن الانتقال للمرحلة المتقدمة ثم العودة مرة أخرى للمرحلة السابقة، ويكون هذا سواء لتطور ظروف جديدة، أو لخطأ في قرار الانتقال تثبته الأحداث.

– ضرورة الاحتفاظ بمقومات، وعناصر حرب العصابات خلال جميع المراحل حتى بعد الحسم النهائي بمعنى الاحتفاظ بالقواعد، والتشكيلات، والجسم الأساسي للحرب لإمكانية الرجوع في المراحل كما سبقنا حتى بعد الحسم؛ بسبب احتمالية تدخل أطراف خارجية، وهذا يمكن تطبيقه عبر عمل جسمين منفصلين أحدهما جيش نظامي، وآخر قوات عصابات، أو وضع قوات العصابات ضمن نفس الجسم بمثابة قوات خاصة مع احتفاظها بمقدراتها، واستقلاليتها.

– العمل السياسي، والإعلامي ضرورة أساسية لاكتساب الأنصار، والنجاح العام، وذلك في جميع مراحل حرب العصابات، فالتنظيم المدني للثورة ضرورة أساسية لمساعدة حرب العصابات على التطور، والنجاح.

– قواعد قوات العصابات تكون داخلية في الأماكن الوعرة، وخارجية في دول مجاورة تشترك في الحدود، سرية في المرحلة الأولى؛ لضمان عدم تدميرها من قبل العدو المتفوق، وظاهرة في المراحل الأخرى، ونعني بالقواعد الظاهرة هنا أي المناطق الريفية، والمدن البعيدة التي تخضع لسيطرة الثوار أما القواعد السرية في المناطق الوعرة تظل على حالها من السرية؛ لإمكانية الرجوع في المراحل كما تقدم

أنواع ميادين حرب العصابات:

الغابات: من أفضل ميادين الحرب خصوصًا مع التفوق الجوي للعدو، ويلزم أن تكون مساحتها كبيرة، وغير قابلة للتطويق، ومصادر المياه متوفرة فيها.

الجبال: من أهم، وأشهر ميادين الحرب خصوصا لو كانت جبالة مغطاة بالأشجار، والزروع، ويشترط أن تكون ممتدة على مساحات كبيرة، ومترابطة، و يتوفر فيها مصادر الماء بشكل يسمح بالعيش فيها بصورة مستقلة عن الإمداد الخارجي.

المدن: لا تعتبر المدن ميدان رئيسي مستقل لخوض حرب عصابات، ولكنها ميدان لعملها سواء في المراحل الأولى للقيام بعمليات نوعية ضد أهداف هامة، أو لدعم الحرب بعمليات إعلامية، أو في المراحل الأخيرة حيث تنتقل قوات العصابات من الجبال إلى الأرياف نحو المدن؛ لتحريرها ثم تنتهي بتحرير العاصمة، وتعتبر من أصعب البيئات لعمل العصابات كونها بيئة عمل أمني سري

بشكل كامل، وتتطلب قدرات، وتنظيم يكافئ عمل أجهزة الاستخبارات لكي يمكن العمل فيها بشكل ناجح بسبب التشديد الأمني، وطبيعة السكان، والجغرافيا.

مقومات حرب العصابات، أو شروط نجاحها:

المناخ الثوري: وهو وصف لحالة الوضع السياسي، والاجتماعي المحتقن، أو المتفجر اللازم لاحتضان الشعب للعصابات، ونجاح الحرب، وبدء حرب عصابات في وقت غير مناسب من ناحية المناخ الثوري كفيل بالحكم عليها بالفشل، وغالبًا لا يمكن صنع هذا المناخ؛ لأنه ينتج من عدة عوامل من الصعب التأثير فيها بشكل متكامل، ولكن يمكن تسريع، وتزكية هذا المناخ إن وجدت بوادره.

الجغرافيا المناسبة: طبيعة الميدان، واتساع الرقعة فكما رأينا لابد من وجود أراضي وعرة مناسبة، وأن تكون الحرب على مساحة جغرافية كبيرة.

التركيبة السكانية المناسبة: نظريًا لا يوجد شعب غير قابل للانتفاض، ولكن عمليًا هناك شعوب تتسم بسمات تاريخية تجعلها أكثر قدرة على تحمل تبعات الحرب الطويلة، ولديها من العقيدة، والسمات الشخصية ما يؤهلها لاحتضان الثوار، ومساعدتهم، والتعاون معهم، وهناك شعوب أخرى قد لا تتوفر فيهم هذه السمات بنسبة كافية.

نواة قيادية قوية: على المستوى الشخصي، والعلمي، والعملي فدور القيادة حاسم في نجاح، أو فشل حرب العصابات بشكل كبير.

موارد اقتصادية حرة: بمعنى ليست عبارة عن هبات خارجية، أو تمويل من جهات، أو بلاد أخرى فلذا لابد أن تكون مصادر تمويل، وتسليح العصابات ذاتية بشكل كامل سواء من الغنائم من العدو، أو تبرعات أعضاء الحركة، والشعب، حتى لا يمكن التحكم في مسار الحرب عبر طرف خارجي، وحتى لا تصبح الحركة ورقة ضغط تستعملها جهة أخرى في تحقيق مصالحها الذاتية الخاصة، وتضيع مصالح الشعب، والثورة، ومن الممكن مع الوقت أن تتحول الحركة لمرتزقة بيد من يمولها بعد أن بدأت كحركة ثورية ذات أهداف نبيلة.

استنتاجات هامة:

إن حرب العصابات هي استراتيجية من ضمن استراتيجيات الحرب ليست كلمة سحرية، أو فوضى عشوائية، وتستعمل في ظروف معينة من الضعف، وعند توفر مطالبها، ومقوماتها، وشروطها التي ذكرنا أهمها عبر المقال.

تخضع استراتيجية حرب العصابات لباقي القوانين التي تحكم الحرب، ولها أساليبها الخاصة في العمل في المرحلة الأولى، ولكنها في مراحلها الثانية، والثالثة فهي ذات أسلوب نظامي بكل تأكيد، ولكنها ليست خارج العلم العسكري، والانضباط في كل مراحلها بل أنها تتطلب قدرا أكبر من الانضباط العسكري، والشجاعة أكثر من الحرب النظامية.

يمكن استعمال بعض أجزائها، وأساليبها في بناء استراتيجية الحرب سواء لدولة، أو لتنظيم في أي مرحلة، وليس من اللازم تطبيقها كلها، أو عدم تطبيقها كلها، كما أن حرب العصابات تقع وسط بين طرفين الأول اندحار الجيش، والثاني الإعداد لمعركة حاسمة مع العدو، وليست صيغة نهائية، أو أبدية للصراع.

ليس كل عمل مقاوم، أو عمل ضد عدو أكبر يدخل ضمن حرب العصابات فكما رأينا فهي استراتيجية متكاملة شديدة الانضباط، ولها مراحل، وشروط، ومقومات دقيقة لذا لابد أن ندرك أن الأعمال التلقائية، والفوضوية، والانتفاضات الشعبية لا تدخل في مسمى استراتيجية حرب عصابات على الإطلاق، ولكنها تعتبر أحد الأدلة على وجود المناخ الثوري الذي تحدثنا عنه، ويمكن أن تنظم، وترتب لاحقًا في شكل حرب عصابات حقيقة.

يجب على القادة الذين يخططوا لحرب عصابات ناجحة أن يكونوا على إلمام جيد بأربعة أمور:

أولاً: علم الحروب النظامية؛ لكي يستطيعوا من إدارة الحرب في المرحلة الثانية، والثالثة، ولكي يستطيعوا فهم العدو، وكيفية عمله.

ثانياً: علم الحرب الثورية، أو حرب العصابات خصوصًا الخاصة بالأساليب المميزة للمرحلة الأولى، وكذلك معرفة وسائل مقاومة حروب العصابات.

ثالثاً: العلم بالتجارب، والحروب السابقة الخاصة بمنطقته، أو البلد التي يدير فيها حربه.

رابعاً: الإحاطة بكافة أوضاع، وظروف البلد، ودراستها؛ لبيان إمكانية تطبيق القواعد المناسبة لها.

العمل السري داخل المدن يعتبر جزء من ضمن أساليب استراتيجية حرب العصابات إذا توافرت باقي مقوماتها، ولكنه لا يمكن اعتباره جزء من حرب عصابات إذا افتقدت باقي مقومات، وعناصر الاستراتيجية، والاقتصار على العمل السري المخابراتي ربما يكون استراتيجية مستقلة تتبعها بعض الدول، أو الحركات لأغراض مختلفة منها زعزعة نظام الحكم، أو الإعداد لانقلاب عسكري، أو تدخل خارجي من دولة أخرى مدعوم بحزب سياسي داخلي، أو بعض الأهداف التكتيكية الأقل مثل اغتيال بعض المعارضين، والضغط السياسي على نظام الحكم، وغيرها.

العلاقة بين حرب العصابات، والثورة الشعبية علاقة متداخلة، فالثورة الشعبية السلمية العفوية غير المخطط لها من قبل قيادة محددة، وغير المسيطر عليها عبر تنظيم ثوري لا تعتبر استراتيجية تغيير، وفي كل حالاتها لا تؤدي لنتيجة حاسمة، إلا إذا تطورت إلى شكل صلب سواء حركت انقلاب عسكري، أو تدخل خارجي، أو تغيير سياسي عبر حزب معارض، أو حرب عصابات داخلية، أما العمل الثوري الشعبي بكل أشكاله المخطط، والمسيطر عليه من قبل قيادة حرب العصابات فهو يعتبر من ضمن الأساليب الداعمة لاستراتيجية حرب العصابات في جميع مراحلها.

الفصل العاشر

الحروب الوقائية

وجدت الولايات المتحدة بعد أحداث 11 أيلول أن الخطر عليها في مصدره، وطبيعته قد تغير عن المخاطر السابقة التي تعرضت لها فالأرهاب، والجماعات، والدول التي تأويه، وأسلحة الدمار الشامل المنتشرة بالعالم أصبحت هي الخطر، لذا أسلوب تفادي هذا الخطر يجب أن يتغير هو الآخر، ومن أجل تفادي حدوث كارثة مثلما حدث في 11 أيلول 2001، وجدت الولايات المتحدة في الحرب، أو الضربة الوقائية، والاستباقية كما يحلوا للبعض إن يسميها هي الوسيلة الأمثل للقضاء على أعداءها, وكان وزير الدفاع الأمريكي دونالد راميسفلد أكثر وضوحًا في انتهاج الولايات المتحدة لهذا الاسلوب إذ قال ((إن الدفاع عن الولايات المتحدة يتطلب الوقاية، والدفاع الذاتي أحيانًا المبادرة في العمليات، وقد يتطلب الدفاع ضد الإرهاب، وغيره من المخاطر البارزة في القرن الحادي والعشرين نقل الحرب لدى الأعداء ففي بعض الأحيان يكون الهجوم أفضل أشكال الدفاع)).

وقد ذكر رامسفيلد أيضا ((إذا كان بمقدور الأرهابيين تنظيم هجمات في أي وقت وأي مكان بمختلف الوسائل ربما إنه من المستحيل الدفاع عن كل شيء طوال الوقت، وضد جميع الوسائل، علينا إذ في مطلق الأحوال إعادة تحديد ماهو دفاعي إن الدفاع الوحيد الممكن هو البحث عن الشبكات الإرهابية الدولية، ومعاملتها كما يجب كما فعلت الولايات المتحدة في أفغانستان، والعراق.))

لقد وجدت الولايات المتحدة أن الردع لم يعد الصيغة الأمثل للحفاظ على القوة، ومركز التفوق فما فائدة امتلاك الولايات المتحدة الجيوش، والأساطيل، وهي تتعرض للتهديد، والاختراق لذا وجدت أن الردع قد إنهار، وأن أسلوب استخدام القوة العسكرية هو الأمثل للمحافظة على

مصالحها الكونية، وبعد أن حققت الولايات المتحدة نصر عسكري سريع في أفغانستان وجدت أن استعراض القوة أمام العالم أمر لابد منه فقد يكون ذلك حافز لشن حروب وقائية أخرى, مثلما حصل في العراق بعد ذلك. أن أسلوب الحرب الوقائية يمنع العدو من فعل التهديد فالولايات المتحدة تريد القضاء على العدو قبل أن يهددها، وهي ترى أيضًا في أسلوب الحرب الوقائية هو الذي يعيد استراتيجية الردع فمثلًا عندما كان الرد الأمريكي ضعيف على تفجير سفارتها في كينيا، وتنزانيا من خلال قصف صاروخي لمواقع في السودان، وأفغانستان، وهذا الرد لم يخلق الردع للأعداء، لذا وجدت الولايات المتحدة أن أفضل وسيلة هي البدء بالهجوم من أجل عدم إعطاء فرصة للعدو أن يهدد الأمن القومي الأمريكي فوجدت في النظام السياسي في أفغانستان، والعراق أفضل فرصة للحرب الوقائية فهي رات في أن هذا النظام يأوي للإرهاب، ويسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وفي مثل هذه الحالة سيكون اللجوء للقوة هو الأفضل من أجل منعه من تهديدها، وردع الآخرين.

الأهمية:

لموضوع الحرب، أو الضربة الوقائية، ولاستباقية كما يحلو للبعض إن يسميها، أهمية كبيرة خصوصا بعد ما أصبحت مرتكزا من مرتكزات الاستراتيجية الأمريكية الشاملة بعد أحداث 11/ أيلول 2001 ، حيث حضي هذا الموضوع باهتمام واسع لصانع القرار الاستراتيجي الأمريكي، وشغل فكره كثيرا، ومن ثم ظهر لنا على شكل هذه المفاهيم (الوقائية، والاستباقية في الاستراتيجية الأمريكية)، لهذا فقد وجدنا إن هذا الموضع جدير بالبحث، وذلك لوجود أخطأ كثيرة في التحديد المفاهيمي للموضوع، لذا سوف نعمل على توضيح هذا اللبس الحاصل بين المفهومين بدلالة الأسبقية، ونحن لا ندعي إن هذه الدراسة سوف تشمل الموضوع من كل جوانبه، ولكن سوف نسعى إلى إن نصل إلى جزء من الحقيقة، أو ربما لا نصل إليها.

الإشكالية:

إن الكثير من المعنيين، والأكاديمين لا يميزوا ما بين مفهوم الوقائية، والاستباقية، وهناك من يخلط ما بين الوقائية، والاستباقية، ولا يميزهما عن بعضهما بدلالة الأسبقية، والاشتقاق، والكلية، والجزئية،لذلك تنطلق إشكالية الدراسة بتوضيح هذا المعنى لهذين المفهومين، وتميزهما عن بعضهم بدلالة الأسبقية، والاشتقاق.

الفرضية:

ينطلق البحث من افتراض رئيسي مفاده إن الإدارة الأمريكية بعد أحداث 11/أيلول سبتمبر 2001، تبنت مبدأ الوقائية، ومن ثم الاستباقية كجزء من استراتيجيتها الشاملة، هذا من جانب، ومن جانب آخر تبني دراستنا على افتراض فرعي يقول إن هناك فرق ما بين المفهومين بدلالة طبيعة الظهور، والتطبيق، وهذا الحديث يقود إلى طرح سؤال مركزي سوف نحاول إن نجيب عليه من خلال البحث هو ما هي طبيعة، ومفهوم الوقائية، والاستباقية، وأهم مرتكزاتها التي قامت عليها، فضلا عن ذلك هناك أسئلة فرعية تقول هل كان لمبدأ الوقائية، والاستباقية بعد تطبيقي في الواقع، وهل هذان المفهومان ظهرا بشكل عفوي، أم نتيجة لأوضاع مرت بها الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك سوف نعمل إلى الوصول إلى جزء من الحقيقة وإثبات، أو نفي، أو تعديل هذا الافتراض.

أولا: مفهوم الضربة الوقائية، والاستباقية.

(1) مفهوم الضربة الوقائية:

يمكن التعبير عن مفهوم الضربات الوقائية: (بإنه ذلك النوع من النشاطات العسكرية الهادفة إلى تحديد، أو تدمير أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها الآخرون قبل أن يتمكنوا من استخدامها ضد الطرف الأول). كما تعني الوقائية «منع أعمال تدميرية معينة ضدك، من خصم لك، وأن هناك أوقاتًا لا تستطيع فيها الانتظار حتى يقع عليك الهجوم، ثم ترد» بمعنى الردع، وتعني أيضا الوقائية «أحباط هجوم عدواني، أو خطط، وتدبيرات يرمي (ينوي) الخصم (العدو) القيام بها، وتشن هذه الضربة بناءً على الحدس، والتخمين لتهديدات محتملة"Potential of Threat"». ويذكر الدكتور عبد الوهاب الكيالي مصطلح التدمير الوقائي، ويقصد به توجيه ضربة قاضية لقوات العدو الضاربة في قواعدها، ومراكزها للحيلولة دون تحولها إلى خطر هجومي يتهدد سلامة القوات التي تأخذ زمام المبادرة، فتكون البادئة بتسديد الضربة، وهو اصطلاح شائع في الاستراتيجية العسكرية الحديثة لا سيما بالنسبة لتدمير الأسلحة النووية لدى الدول الكبرى.

وكذلك هناك من يعرف الضربة الوقائية بـأنها «الضربة العسكرية التي تهدف إلى ضرب الخصم عسكريًا قبل أن يشن الخصم ضربته العسكرية؛ أي محاولة مبادرة الخصم بالضربة العسكرية قبل أن يقوم هو بها، ويندرج تحت هذه الضربة الوقائية مفهوم الإحباط ، أي محاولة ضرب الخصم، وإحباط جميع استعداداته العسكرية.أن اسلوب الحرب الوقائية يمنع العدو من فعل التهديد. وبمعنى آخر، إنها الضربات العسكرية التي تهدف إلى منع الخصم من الاستعداد للمعركة أو حرمانه من قيامة ببناء قوة عسكرية قادرة على التحدي». كما تعني الضربة الوقائية «الاستراتيجية المصممة لإتقاء هجوم معادٍ قادم مع الزمن لا محالة، ولكن تتحمل الانتظار، ولا تحتاج إلى السرعة الآنية كما في حالة الضربة الاستباقية، وقد تكون الضربة الوقائية بداية لحرب طويلة الأمد، أو في أي وقت بعد نشوبها بحسب تطورات الموقف، ويكون ذلك على المستوى السوقي (الاستراتيجي) بقرار سياسي عسكري يأخذ بالحسبان تدمير قدرات العدو التي تشكل الخطر الكامن»، وتبني الضربة الوقائية على أسلوب الحدس، والتخمين، ولذلك قد تكون نتائجها كارثية أحيانًا. وكما يعني التدمير الوقائي «توجيه ضربة قاضية لقوات العدو الضاربة في قواعدها، ومراكزها للحيلولة دون تحولها إلى خطر هجومي يتهدد سلامة القوات التي تأخذ زمام المبادرة» وكذلك تعني الضربة الوقائية على وفق المفهوم الأمريكي «محاولة ضرب (عمليات تطهير جراحية"surgical operations") للمناطق التي تراها الإدارة الأمريكية أنها مناطق ينبع منها الإرهاب، ومن ثم يتم نقل المعركة إلى هذه المناطق، بدلًا من انتظارها تصل إلى السواحل، والأراضي الأمريكية».

(2) مفهوم الضربة الاستباقية:

إن الضربة الاستباقية، وكما أشار لها (نعومي تشو مسكي في كتابه الموسوم الإمبراطورية المنطوية على نفسها) هي الظن بأن هجومًا أوشك أن يقع، أو في طريقه إلينا، وهنا تقع المبادرة في الهجوم على الخصم الذي يعد العدة لهجوم وشيك لا مفر منه خاصة عندما تكون قواته مبثوثة بأوضاع هجومية استعدادًا لهجوم فعلي، لذلك تقرر الدولة المعنية بمباغتة الخصم بالهجوم عليه؛ لتحجيم قدراته العسكرية، وربما تدميرها بالكامل. وكذلك إن الضربة الاستباقية تعني اتخاذ موقف عسكري بما يجيزه، ويسمع به القانون الدولي تجاه الدولة التي هي على وشك شن الهجوم، وذلك للقضاء على المخاطر الواضحة، والراهنة. وبالتالي توجه الضربة الاستباقية ضد قوات الخصم التي

تم نشرها فعلا في أوضاع هجومية استعدادًا لهجوم فعلي، أي استباق الخصم بتوجيه ضربة اجهاضية ضد قوات العدو ؛ لتفشيل هجوما متوقعا.

وأيضا تعرف الضربات الاستباقية هي التي توجه ضد قوات الخصم التي نشرت فعلًا في أوضاع هجومية استعدادًا لهجوم فعلي لذلك يجري (استباق) الخصم بتوجيه ضربة ضد هذه القوات لتفشيل هجومها المتوقع. يستند مصطلح الضربة الاستباقية حسب الفقه إلى وجود بعض الأدلة المادية التي تبرز خطرا هائلا، وتفترض التصرف، أو التدخل المسبق.

وهناك من قال أن الضربة الاستباقية هي مبادرة عملياتية تتخذ ضد الحشود العدائية، وتستهدف احتلال مواقع ذات شأن أمني حيوي عند العدو قبل أن يبدأ هجومه المفترض بل، واحتلال أراضي إستراتيجية داخل أراضي العدو. وبتعبير آخر فهي تحقيق مسبق في العمل الذي يعتمد على السرعة في التنفيذ عندما يكون الطرفان على أهبة الاستعداد لإنزال الضربة، بشرط أن يسبق أحدهما الآخر في الضربة، أو الهجوم لإتقاء ما ينوي الطرف الآخر الإقدام عليه من خلال القضاء على قدراته؛ لتنفيذ ذلك العمل.

ثانياً: الفرق بين الوقائية، والاستباقية:

لقد وجدنا من خلال البحث في مفهوم الوقائية، والاستباقية إنه ثمة خلط، والتباس في استخدام المفاهيم التي تتعلق بمفهوم (الضربة الوقائية). فكثيرًا ما يتم استخدام مفهوم الوقائية(preventive)، ومفهوم الأستباقية pre-emptive)) بشكل مترادف. لكن الواقع يشير إلى اختلاف كبير بين المفهومين. فالأول يؤكد على منع نشؤ التهديدات المستقبلية، والثاني يقصد به العمل الذي يضفي إلى استباق العدو بالفعل بعد أن أكتملت جميع مؤشرات البدء بالفعل لدى الخصم.

إذا كان الخلط في بعض الكتابات غير مقصود، فأن الخلط، والالتباس الذي جاء على لسان الإدارة الأمريكية الحالية، والمؤطرين، والمروجين للإستراتيجية الوقائية، كان مقصودًا لإضفاء جانب من الشرعية، والأخلاقية عليه، وجعلها مقبولة أكثر في نطاق البيئة الدولية عن طريق الاستشهاد ببعض المواد، والفقرات الموجودة في ميثاق الأمم المتحدة، والتي تتضمن الدفاع عن النفس ضد تهديد خارجي وشيك هو أمر مقبول من قبل البيئة الدولية. وتختلف الضربة الوقائية عن الضربة الاستباقية في أن الاخيرة هي أكثر قبولًا من وجهة نظر القانون الدولي عندما يكون هناك

تهديد وشيك مؤكد، أما الضربة الوقائية فهي لا تنطوي على ذات القدر من التأكد أي استخدام القوة العسكرية ضد تهديد متخيل، أو ملفق.

فالضربة الوقائية تكون بمجرد الشك في نية الطرف الثاني فإن ذلك يعطيها الحق في توجيه ضربة وقائية له، إما الاستباقية فذلك يعني أن هناك تعبئة، وتحشيد، وتصعيد من قبل جميع الأطراف، والاستعداد للحرب كقيام أحد الأطراف باستباق الطرف الآخر، والقيام بضربه قبل أن يضرب هو. وأيضا أن عامل الزمن مطلوب، وضيق في الضربة الاستباقية حيث أن الوقت محدود جدا، وتوقع شن الخصم ضربة على القوات المعادية بين لحظة، وأخرى لهذا يكون عامل الوقت، أو الزمن عامل خطير، ومهم للغاية، بينما يكون عامل الزمن في الضربة الوقائية ليس على درجة من الخطورة العالية، وإنما يتحمل أن يكون هناك هامش جيد للحركة، والاستعداد لشن الضربة الوقائية.

وكذلك فإن الضربة الاستباقية تقوم على أساس نوعي، ودقيق يؤدي إلى أحداث ضرر كبير في منظومة العدو، وإرباكه، أي إنها موجهة ضد هدف بعينه يؤدي إلى أحداث شلل في منظومة الخصم، بينما قد تكون الضربة الوقائة هي بداية لحرب من الممكن أن تنشب بعد هذه الضربة.

ويمكننا أيضا إن نتلمس الفارق ما بين مفهوم الوقائية، والاستباقية، فالأول يؤكد على منع نشؤ التهديدات المستقبلية، والثاني يقصد به العمل الذي يضفي إلى استباق العدو بالفعل بعد أن اكتملت جميع مؤشرات البدء بالفعل لدى الخصم. وأخيرا يمكننا القول إذا كان الخلط في بعض الكتابات غير مقصود، فإن الخلط، والالتباس الذي جاء على لسان الإدارة الأمريكية الحالية، والمؤطرين، والمروجين لأستراتيجيتها الوقائية، كان مقصودًا لإضفاء جانب من الشرعية، والأخلاقية عليها.

ثالثا : ركائز الضربة الوقائية، والاستباقية.

هناك العديد من الركائز التي تتعكز عليها إستراتيجية الضربة الوقائية، والاستباقية، واخترنا منها الآتي:

(1) الركيزة السياسية:

يقصد بالركيزة السياسية تلك القدرات التي تتوافر عليها الدولة، والناجمة عن توظيف مدخلات القوة النابعة من البيئة الداخلية، والخارجية، والتي يتاح لحكومة ما استخدامها لتأمين ما تريده, ولا يكاد يخرج الكلام عن المقومات السياسية للولايات المتحدة عن هذا الإطار إذ ساهمت عدة متغيرات سياسية، واقتصادية، وعسكرية ...إلخ.

وفي تشكيل مقومات السياسة الأمريكية. وقد وضفت الولايات المتحدة الأمريكية الركيزة السياسية للتسويق لأعمالها، ومن بينها الضربات الاستباقية، والوقائية التي وجهتها لكثير من الدول بدافع الدفاع عن النفس، والحماية المسبقة من الأخطار، ولهذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بهامش واسع من الحركة السياسية على المستوى العالمي يؤهلها للعب دور القوة العظمى بالرغم من حداثة النشأة - قياسا بالدول الأخرى - إذ لا تمتد في عمقها التاريخي إلى أكثر من ثلاثة قرون. ويتفق المراقبون في العالم على أن «القرن العشرين كان أمريكيًا» بامتياز إذا تمكنت فيه الولايات المتحدة من احتلال المواقع المتقدمة الأولى في الميادين جميعها.

التكنولوجية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية، والدبلوماسية. وصارت "زعيمة العالم الحر" الغربي من مواجهة الاتحاد السوفيتي، طوال نصف قرن، قبل أن يتركها انهيار هذا الأخير على نفسه؛ لتصبح القوة العظمى الوحيدة المتربعة على عرش النظام العالمي ما بعد الحرب الباردة. ومن المعروف إن صناعة القرار مهما كان شكلها سواء أكان القرار إداريًا، أَم اقتصاديًا، أَم سياسيًا، أَم استراتيجيًا، ليست بالعملية السهلة، وإنما هي عملية تتباين أنماطها تبعًا لما تمتاز به من تعقيد في الأداء، أو البناء المؤسساتي الرسمي، أو غير الرسمي من اضطراب.

وهكذا يبدو التعقيد قابعًا، وهذه مفارقة حقيقية، في تعدد المؤسسات القرارية الأمريكية. وإذ يضن البعض بذلك ميزة تشترك فيها الديمقراطيات الغربية، إلا أن فيصل التفرقة هنا يكمن في التغير المستمر في القابضين على الأداء السياسي، وقدرتهم على التأثير في صياغة، تغير، أو تغذية، التوجهات الاستراتيجية، ولا سيما مؤسسة الرئاسة التي لها قدرات مناورة تصل في أحيان كثيرة إلى حد الالتفاف على الدستور تأثرًا بالمؤسسات العاملة، ومركز القوى، وجماعات المصالح، أو تأثيرًا بها.

ولا جدال في أن هذا الدور تبلور بفضل عوامل، ومتغيرات دولية عديدة , فضلا عن المقومات الاقتصادية، والعسكرية التي ساهمت بشكل أساس بإسناد الحركة السياسية الخارجية

الأمريكية بوسائل الإكراة، والإقناع معا، والتي تعد ضرورية؛ لتحقيق الأهداف السياسية لأي دولة فقد شهدت بداية عقد التسعينات انتهاء رسميا للحرب الباردة بعد انهيار القطب الموازن للولايات المتحدة، وهو الاتحاد السوفيتي ذلك الانتهاء الذي لم يشكل فرصة أمريكية سانحة للهيمنة على الساحة الدولية فحسب, بل مثل بدلالاتة الأعمق للتغير, فرصة تاريخية لكي يحقق للولايات المتحدة مشروعها الكوني الممتد نحو القيادة العالمية.

وكان لهذا التحول انعكاسات كبرى على سياسات، ومواقف ومن ثم أنماط العلاقات الدولية التي كانت سائدة حتى عام 1990. ومنذ ذلك الوقت صدرت الكثير من التصريحات التي تروج "للنظام العالمي الجديد" أن الولايات المتحدة الدولة الأكثر قدرة على تزعم العالم، وأن الآخر لابد أن تأتمر بأوامرها , وأن تكون جميع التفاعلات، والأنشطة السياسية الدولية تجري بمعرفتها، أو على الأقل الحصول على موافقتها صراحة، أو ضمنا.

وهذا الكلام كله قبل إن تقع أحداث 11/أيلول التي غيرت مجرى التاريخ، وأعلنت بداية حقبة جديدة في العلاقات الدولية على تطور مفهوم الردع إلا، وهي الضربات أو الحروب الوقائية، والاستباقية التي مارستها الولايات المتحدة من خلال نفوذها السياسي الواسع من خلال دورها في الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، وأيضا الضغوطات التي تمارس على الدول الأخرى لشرعنت حروبها، واستحصال القرارات من مجلس الامن على أساس مبدأ من ليس معنا فهو ضدنا الذي روج له الرئيس جورج دبيليو بوش بعد أحداث 11/أيلول ثم تطور، وأصبح ما يسمى عقيدة بوش القائمة على مكافحة الإرهاب وفق رؤية تقول إننا يجب علينا أن نذهب إلى المعركة بأنفسنا، ولا نجلس ننتظرها لكي تأتي إلينا، وهذا ما ترجم إلى ما يسمى الضربات الاستباقية، والوقائية عن طريق التوظيف السياسي لها وشرعنتها بدافع الدفاع عن النفس المشروع، ونتيجة لهذه الديناميكية التي أصابت الفكر الاستراتيجي الأمريكي.

أصبح لدينا مفاهيم جديدة، ومن أهمها التصنيفات التي أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية كالدول المارقة، ومحور الشور، ومنابع الأرهاب، والعدو المحتمل، وغيرها الكثير من المفاهيم التي تصب في مصلحة التدخلات العسكرية على أساس الضربات الوقائية، والاستباقية.

(2) الركيزة العسكرية:

لا شك أن القوة العسكرية تعتبر من العناصر المهمة، والأساسية في تحديد مركز الدولة، ومكانتها في النظام الدولي؛ وبسبب من همية القوات المسلحة في قوة الدولة أخذ الخلط يغزو مفهوم القوة بمعناه العام حتى زاغ النظر عن معطياته الاستراتيجية؛ ليركز على الزاوية العسكرية البحتة كضمان أساس للأمن القومي وحمايته.

والولايات المتحدة حالها حال الدول الأخرى اعتمدت في الجانب الأكبر لوضع استراتيجيتها، وتحديد أهدافها على القدرات العسكرية التي تتمتع بها حتى أصبحت الأخيرة صاحبة الفضل في ما وصلت إليه الولايات المتحدة من مكانة عالمية، ومصالح واسعة الانتشار، تردفها قدرات عسكرية تقليدية ضخمة، وقدرة نووية فريدة، وانتشار عسكري عالمي واسع في كافة انحاء العالم إضافة إلى نظام تحالفات استراتيجية مستمرة.

ومن الوسائل التي كانت، وما زالت تستخدم لهذا الغرض هي القواعد العسكرية فضلًا عن إنشاء الأحلاف العسكرية، أو الدخول في أحلاف قائمة، وربط أمن الدول المنظمة إليها بأمن الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ينطبق على حلف شمال الأطلسي الناتو. أن الولايات المتحدة تتصرف بأسلوب تحاول من خلاله تأكيد الغلبة لها على المستويات، والأصعدة كافة لاسيما العسكرية التي تعد الركيزة الأساس في القيادة الأمريكية للنظام، أوالنسق الدولي. وتجدر الإشارة إلى أن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية تتمتع بميزة مهمه جدا، وهي قدرتها على إعادة التنظيم، والتكيف المستمر مع البيئة الدولية.

فقد شهد القرن المنصرم محاولات متكررة لإعادة القييم بهدف إعادة تنظيم مقوماتها في ضوء المتغيرات المتلاحقة التي واجهها الدور الكوني للولايات المتحدة الأمريكية لاسيما بعد انغماسها العميق في الأدوار الاستراتيجية الكونية.

وقد جعلت الولايات المتحدة الأمريكية من الأداة العسكرية منطلقا لكي تقوم بعملياتها الوقائية، والاستباقية من خلال وجودها في الكثيير من مناطق العالم، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالكثير من العمليات العسكرية تحت شعار الوقائية، والاستباقية، ومن بينها الحرب على العراق، والحرب على أفغنستان، وبهذا فأن الولايات المتحدة تعتمد على الركيزة العسكرية؛ لتنفيذ إستراتيجيتها في جميع أنحاء العالم.

رابعا: أفغانستان نموذجا للضربة الوقائية:

تبنت الولايات المتحدة استراتيجية جديدة بعد أحداث (11/أيلول/ 2001) ترتكز على استخدام القوة العسكرية تحت مسمى الضربة الوقائية: (وهي استراتيجية تمثل الدفاع بصيغ الهجوم) في مواجهة تحديات القرن الجديد، فأن الواقع لحد هذه اللحظة لم يكن بالقدر الذي يسمح بالتنبؤ بنتائج تلك الاستراتيجية، وانعكاساتها على المدى البعيد، وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على موقعها المتفوق الحالي على قِمة الهرم الدولي كقوة عظمى وحيدة، من خلال استثمار الفرص السانحة، أو صنعها إذا تطلب الأمر في سبيل تعزيز الهيمنة الأمريكية، محققين بذلك صلة قوية بين الفكر، والاستراتيجية القائمة على أساس توفير المقومات اللازمة للوصول إلى الهيمنة.

ليست السياسة الأمريكية التي أبرزت أنيابها في أفغانستان وليدة حدث فرض نفسه على واشنطن في 11/9/2001، كما تزعم الدبلوماسية الأمريكية أحيانًا، بل هي وليدة إعداد مسبق، وجهود متواصلة، اتخذ ذلك الحدث مكانه في مجراها، وجرى توظيفه فساهم في تحقيق أهداف موضوعة من قبل وقوعه.

حيث شكلت أحداث 11 سبتمبر عام 2001 فرصة ذهبية للولايات المتحدة لإعادة صياغة التوازنات الاستراتيجية في العالم، وخاصة في منطقة آسيا الوسطى التي تفصل بين الصين شرقًا، وأوروبا غربًا، إذْ يمثل التمركز في وسط آسيا المحور الرئيسي للحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان، فأفغانستان لها أهمية استراتيجية كبيرة، من حيث تعد هي الدولة المفتاح بالنسبة لمنطقة وسط آسيا، وهي المنطقة التى تضم دولًا مهمة متصلة جغرافيًا، ومشرفة على مواقع استراتيجية أمنيًا، واقتصاديًا، هذه الدول لم تبدأ فقط في تعزيز استقلاليتها عن دائرة الهيمنة الأمريكية، بل بدأت في إقامة علاقات تفاعل، وتكامل فيما بينها، ومع دول قريبة منها جغرافيًا أيضًا، وهى العلاقات التى يمكن أن تعزز استقلالية دول شرق أوروبا عن الولايات المتحدة، ويكفي تدليلًا على ذلك أن نلاحظ كمثال، الدعوة المستمرة منذ منتصف تسعينات القرن الماضي من جانب الصين، وروسيا حول ضرورة بناء عالم متعدد الأقطاب.

وعلى هذا اللأساس برز موضوع الإرهاب إلى الوجود بعد الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول2001 بوصفه عدوًا عالميًا جديدًا، وضرورة محاربته بقيادة الولايات المتحدة، وطبقًا

لتوجهاتها، وإملاءاتها، إذْ بدأت الولايات المتحدة حملة عالمية لمكافحة الإرهاب في إطار نظرية الرئيس بوش المعروفة باسم الضربة الوقائية.

والإرهاب هو (العدو الجديد) الذي كانت تبحث عنه الإدارة الأمريكية بوصفه محفزًا جديدًا لإبقاء الإرادة الداخلية متماسكة، ومتمسكة بالحفاظ على سياسة التسلح، والمحافظة على مواقع القوة، وسياسة ملء الفراغ في المناطق الحيوية بعد غياب المحفز الاستراتيجي الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي.

وبدأت الحملة الأمريكية ضد الإرهاب في الانتقال إلى مرحلة جديدة طبقا للاستراتيجية الشاملة، التي أشار إليها الرئيس جورج بوش أمام الاجتماع المشترك لمجلسي الكونجرس، والشيوخ الأمريكي يوم20 سبتمبر2001، بعد تسعة أيام من الهجمة الإرهابية المدمرة التي تعرضت لها الولايات المتحدة، إذْ ترتكز هذه الاستراتيجية على محورين رئيسين هما الاستمرارية، والشمول.

وقد باشرت الولايات المتحدة عملياتها العسكرية ضد أفغانستان في السابع من أكتوبر/2001، وكانت هناك بعض الصعوبات التي تركزت في الطبيعة الجغرافية لأفغانستان، من حيث استحالة الوصول إليها برا، أو جوا من دون المرور بدول أخرى، وقسوة أراضيها الجبلية، وما تمثله من صعوبة حقيقية لآية حملة برية، وما تمنحه للخصم الموجود على الأرض من ملاذ آمن ليس من السهل اكتشافه، أو الوصول إليه.

وبهدف الوصول إلى خيار مناسب لسيناريوهات الحملة العسكرية، طرحت القيادة السياسية، والعسكرية في الولايات المتحدة على بساط البحث عدداً من الخيارات:

الأول: الاكتفاء بالحملة الجوية، وتوجيه ضربة كاسحة من صواريخ الكروز، والمقذوفات الموجهة الدقيقة بالطائرات القاذفة مثل B52 وB2. وميزة هذا الخيار أنه يجنب الولايات المتحدة التعرض لخسائر بشرية، لكنه لا يحقق هدف الوصول إلى بن لادن إلا إذا قام طالبان بتسليمه تحت وقع الضرب الجوي.

الثاني: غزو أفغانستان، واحتلالها بالكامل باستخدام القوات البرية، والجوية معا. وكان واضحا أن هذا الخيار يحتاج إلى أعداد كبيرة من الجنود، وإقامة قاعدة أمريكية داخل الحدود الأفغانية، والتخطيط للدفاع عنها.

الثالث: الاعتماد بشكل رئيسي على قوات الجبهة الموحدة لتحالف الشمال عدوة طالبان الأساسية التي تمتلك قوة قوامها نحو 20000 رجل متمركزين في أماكن حاكمة بالنسبة للعاصمة (على مسافة 50 كم)، وبقية مناطق أفغانستان. وكان من الواضح أن تحالف الشمال يمكنه فضلًا عمّا سبق تقديم عدد من الخدمات الحيوية للحملة الأمريكية مثل: توفير المعلومات عن قوة طالبان، وأماكن تمركزها، وطريقتها في القتال، وشبكة القيادة التابعة لها، وتقديم الدعم، والتوجيه العمليات للقوات الأمريكية، كما يمكنه المساعدة في فتح الطريق إلى إقامة حكومة مؤقتة موسعة بدعم من المجتمع الدولي.

وعلى هذا الأساس تم اعتماد الضربة الوقائية على أفغانستان بأهداف، ودوافع معلنة، وغير معلنة منها الحرب على الإرهاب، ومنها للعب دور استراتيجي أوسع في آسيا الوسطى، وكذلك لكي يكون للولايات المتحدة موطئ قدم في الإقليم الأوراسي، والقرب من الصين، وروسيا ، وكذلك إيران خصوصا أن المنطقة غنية جدا بالنفط، والموارد التي تشكل حوالي 75 % من نفط العالم، والتي تُدعى الحزام الأوراسي، هذا الأمر الذي أدى بالنهاية إلى إعلان الحرب على أفغانستان، وكذلك إعلانها دولة داعمة للإرهاب، ومن هذا المنطلق قامت الولايات المتحدة بعمليتها بدافع حماية الأمن القومي الأمريكي من خطر الإرهاب خصوصا بعد أحداث 11/ايلول 2001.

خامسا: العراق ما بين الوقائية، والاستباقية:

(المغالطة المفاهيمية، والتعمد في تسويق الاستباقية):

شغلت الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق ، مساحات واسعة من مخيلات الكثيرين من الذين أخذوا على عاتقهم إن يقوموا بتوضيح ماهية هذه الحرب، ولعل الكثيرين منهم لم يضع يده على الجرح كما ينبغي أو إنه متعمدون إن يغلطوا نفسهم، وهم يعلمون جوهر الحقيقة، وذلك لاعتبارهم إن الحرب على العراق هي حرب استباقية، وهذا الأمر شاع استخدامه ما بين الكثير من الكتاب العرب، والغربيين الذين تناولوا هذا الموضوع، وعلى هذا الأساس سوف نقوم بإثبات إن هذه الحرب التي شنت على العراق هي حرب وقائية أكثر منها استباقية، وذلك؛ لأن الحرب الاستباقية قائمة على أساس إن الطرفين هم على أهبة الاستعداد للهجوم، وأيضا وجود تصعيد، وتعبئة من قبل الطرفين، كان يكون نشر الجيش على مناطق حدودية، وإعلان النفير العام، وهذه الأعمال يقوم بها الطرفين، ولا يقوم بها طرف واحد فقط،

وأيضا يكون عامل الوقت مهم جدا بحيث لا يعلم أي الطرفين متى يحدث الهجوم عليه، وكل هذه الأمور تدخل في ضمن الحرب الاستباقية، فهل تنطبق نقطة من النقاط السابقة على حرب العراق عام 2003 ؟؟

أنا أرى، ومن خلال الاطلاع على هذا الموضع إن حرب العراق التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية هيه حرب وقائية أكثر منها استباقية، وذلك؛ لأن الحرب قد تم الإعلان عنها قبل إن تبدأ فعليا على أرض الواقع، وكذلك لم يكن هناك أي تصعيد عراقي لهذه الحرب يتجاوز وضعية الدفاع عن النفس، مقابل التصعيد الأمريكي الكبير، والذي أعدت له طوال أشهر، وعملت عليه، وهنا يكمن عامل الوقت الذي هو مهم في الحرب الاستباقية حيث يكون هامش الوقت ضيق جدا للحركة.

وبالحديث عن الولايات المتحدة، وإعلانها إن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وما هي إلا مسألة وقت لكي يشن العراق هجومه الاستباقي على المصالح الأمريكية في المنطقة، ومن ضمنها (إسرائيل)، أنا أرى إن الولايات المتحدة اتفقت مع نفسها بأن تعلن إن العراق يمتلك الأسلحة الدمار الشامل التي تهدد بها أمن إسرائيل، وأمن الولايات المتحدة في المنطقة، وبذلك أعطت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها حق الدفاع عن نفسها، واستباق العراق، وضربه قبل إن يقوم العراق بهذه العملية، وبالنتيجة وجدوا إن العراق لا يملك أي تقنية عالية؛ لكي يقوم بصد الاجتياح الأمريكي.

وبهذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية كذبت على الآخرين، وصدقت كذبتها بأن العراق يملك اسلحة دمار شامل لكي يقوم بشن الحرب على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وإذا ما أردنا إن نفهم هل إن الحرب العراقية الأمريكية عام 2003 كانت حرب استباقية أم وقائية؟! فعلينا إن نرجع إلى المفهوم، والمعنى للوقائية، والاستباقية، ونلاحظ الفرق ما بين المعنيين. ومن ثم نسحب ذلك على التطبيق العملي لهذه الحرب، وبالتحديد الحرب العراقية الأمريكية الأخيرة، وسوف نجد إن هذه الحرب تنطبق عليها صفة الحرب الوقائية أكثر من الحرب الاستباقية.

فكيف يمكن إن تعد الحرب العراقية الأمريكية الأخيرة حرب استباقية مقارنة مع الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر الأمريكي عام 1941، أي إن الفارق كان بأن الطرفين يقوم بالتحشيد، والتعبئة حتى، وأن كانت الحرب مشتعلة، ومن ثم قامت اليابان بشن هجومها الاستباقي

على الميناء الأمريكي الذي كانت تعتمد عليه الولايات المتحدة الامريكية كثيرًا كعصب اقتصادي، وحيوي لها.

الخاتمة:

بعد إن تناولنا موضوع الضربة الوقائية، والاستباقية، ووضحنا المفهومين وجدنا إن أحداث 11/ ايلول 2001، وما رافقها من تغير جذري في طبيعة العلاقات الدولية، أثرت، وبشكل كبير، ومباشر، وغير مباشر في الاستراتيجية الأمريكية بحيث دفعت الولايات المتحدة إلى تبني استراتيجيات تسعى من خلالها إن تستعيد هيبتها التي ضربت في العالم، حيث سعت، وبشكل كبير إلى إن تعيد هذه الهيبة التي تراجعت جراء أحداث 11/أيلول 2001، وقامت باحتلال أفغانستان عام 2001، ومن ثم احتلال العراق عام 2003، وبالتالي كانا الركيزتين التي تحارب من خلالهما الإرهاب في العالم، وبأن تصنع من هاذين الدولتين مستنقعا؛ لكي يغرق فيه جميع أعداء الولايات المتحدة، وكل ذلك كان مخطط له من قبل صانع القرار الأمريكي، وبشكل مفصل، وبالتالي، وبعد هذا الجهد الجهيد من خلال هذا البحث توصلنا إلى عدة تفسيرات، واستنتاجات، وهي كالآتي:

1 – إن الكثيرين من الباحثين، والمعنين الأكاديمين لا يميزوا ما بين الضبة الوقائية، والاستباقية من حيث الدلالة، والمفهوم ، حيث إن هناك من يستخدم المفهومين بدلالة نفس المعنى، وهذا خطأ شائع منتشر بين الأوساط الأكاديمية، والمعنية بهذا المجال.

2- بعد البحث، والاطلاع على مفهوم الضربة الوقائية، والاستباقية توصلنا إلى إن الضربة الوقائية هي أسبق من حيث الظهور، ومن ثم اشتقت منها الضربة الاستباقية، وهذا الأمر أيضا فيه مغالطة كبيرة حيث يضن البعض إن المفهومين ظهرا بنفس الوقت، والمدة ، إلا إن الحقيقة تشير عكس ذلك بأن الوقائية ظهرت، ومن ثم ظهر لدينا الاستباقية.

3- وأيضا توصلنا بعد الاطلاع المعمق، والتطبيقي للضربة الوقائية، والاستباقية بأن الضربة الأفغانية (الحرب على أفغانستان) هي ضربة وقائية حسب دلالة المفهوم، والمعنى للوقائية.

4- وكذلك توصلنا إلى حقيقة مفادها إن الضربة العراقية، أو (حرب العراق) هي ضربة وقائية، وليس استباقية كما يشاع عنها، وذلك إذا ما سحبنا مفهوم الاستباقية، وطبقناه على العراق لوجدناه ينافي المفهوم أساسا، وإذا ما طبقنا مفهوم الوقائية على العراق لوجدناه مطابق فعلا.

5- وهناك حقيقة يجب ذكرها هي إن الولايات المتحدة تسوق بأن حرب العراق تدخل ضمن مفهوم الاستباقية، وذلك لأنها أعلنت بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل تهدد به الأمن القومي الأمريكي في المنطقة، عندما احتلت العراق لم تجد أي شيء من الأسلحة التي أعلنت وجودها، وبالتالي فأن هذه هي ابسط حقيقة يمكن لنا إن نتلمسها، وأن نستنتج من خلالها الزيف الأمريكي للحقائق، وإصرارها على إن حرب العراق الأخيرة عام 2003 هي حرب وقائية، وأن الواقع يشير عكس ذلك.

6- إن المفكر الأمريكي، وصانع القرار يدرك تماما إن حرب العراق لا تدخل من ضمن الضربة الاستباقية، ولكن هم يعلنون إنها استباقية، ويعلمون في نفس الوقت إنها وقائية.

7- يمكننا القول أيضا إذا كان الخلط في بعض الكتابات غير مقصود، فأن الخلط، والالتباس الذي جاء على لسان الإدارة الأمريكية الحالية، والمؤطرين، والمروجين لأستراتيجيتها الوقائية، كان مقصودًا لإضفاء جانب من الشرعية، والأخلاقية عليها.

8- واخيرا توصلنا إلى حقيقة مهمة مفادها إن الضربة الوقائية لم تستخدم في الاستراتيجية الأمريكية منذ عام 2003 حتى الآن.

- قد أدى غياب مفهوم محدد لماهية الإرهاب إلى ممارسة الولايات المتحدة ضغوطا شديدة على كل الأطراف الدولية، والإقليمية دون استثناء، فقد اعتمدت الحرب ضد الإرهاب على التعريف الأمريكي، والذى تبلور في صورة قوائم، وتقارير خاصة بالتنظيمات الإرهابية، والدول التي وصفت بالراعية للإرهاب، الأمر الذي عكس المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى من جهة، وسطوة النفوذ الأمريكي على السياسات الدولية من جهة أخرى، وإن لم ينف ذلك اعتراض كثير من القوى الدولية على هذه المواقف الأمريكية. المصدر: مركز الأهرام للدراسات السياسة، والاستراتيجية، الولايات المتحدة، وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب، التقرير الاستراتيجي العربي، الإنترنت، الموقع.

الفصل الحادي عشر
الحرب الشاملة

الحرب الشاملة Total war، هي حرب تستخدم فيها الأطراف المتحاربة التعبئة العامة لجميع الموارد المتاحة، والسكان.

في منتصف القرن التاسع عشر، عرف الباحثون "الحرب الشاملة" كتصنيف منفصل للحرب. في الحرب الشاملة، هناك اختلافات أقل بين المقاتلين، والمدنيين أكثر من النزاعات الأخرى، وفي بعض الأحيان لا يوجد مثل هذا الاختلاف نهائيًا، باعتبار أن جميع الموارد البشرية، المدنيين، والجنود سواء، يمكن اعتبارهم جزءًا من المجهود الحربي.

لعبت الحرب الشاملة دورًا رئيسيًا في النزاعات بدءًا من الحروب الثورية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية. أنهى انتشار الأسلحة النووية فترة الحرب الشاملة، حيث يمكن بسهولة تدمير مناطق تمركز السكان، والإنتاج. كانت العقيدة السوفيتية تؤمن بأن "الحرب القادمة" (الحرب العالمية الثانية) ستدور بواسطة الجيش الموجود في الميدان لفترة أيام، أو أسابيع، بدلًا من سنوات، بدون دعم الجبهة الداخلية. سيؤدي هذا التصعيد إلى نتائج في الحرب النووية الاستراتيجية، والدمار المؤكد المتبادل لكلا الدولتين المتحاربتين، منع الحرب الشاملة. ومع ذلك، فبعض الحروب بين القوى الغير نووية شهدت تعبئة لمعظم موارد الدولة المتاحة، والشعب، على سبيل المثال الحرب الإيرانية العراقية في ثمانينات القرن العشرين، شملت التفجير الاستراتيجي للمدن التي كان آخر ذكر لها في العالم المتقدم عام 1945.

تعريف الحرب الشاملة:

الحرب الشاملة: هي استيراتيجية يستخدم فيها العسكريون أي وسيلة ضرورية ليفوزوا بالحرب، حتى الممارسات التي تعتبر منافية للأخلاق في سياق الحرب، والهدف من الحرب الشاملة ليس فقط تدمير العدو، ولكن أيضًا إضعاف معنوياته حتى لا يتمكن من استكمال القتال.

تتميز الحرب الشاملة بعدم وجود تمييز بين الجنود المقاتلين، والمدنيين، والهدف منها هو تدمير موارد المنافس حتى لا يتمكن من مواصلة الحرب، وقد يشمل ذلك استهداف البنية الأساسية الرئيسية في دولة العدو، ومنع وصول إمدادات المياه، أو الأغذية، بالإضافة إلى ذلك لا يوجد في الحرب الشاملة حدود لنوع الأسلحة المستخدمة، حيث يمكن استخدام الأسلحة البيولوجية، أو النووية، أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل.

وبينما تميل الحروب الإمبريالية إلى استهداف أكبر عدد من الضحايا، فإن عدد القتلى، والإصابات ليس هو وحده الذي يحدد أن تلك الحرب شاملة، فحتى في الحروب القبيلة الصغيرة يمكن أن تتضمن جوانب الحرب الشاملة عن طريق استعباد، وقتل المدنيين، وهذا الاستهداف المتعمد للمدنيين هو الذي يوسع الحروب القبلية إلى مستوى الحرب الشاملة.

وقد تلزم الدول التي تشن حربًا شاملة مواطنيها بقوانين معينة، أو التجنيد الإجباري، أو أسلوب الدعاية، أو أي جهود داخلية أخرى تعتبرها ضرورية لدعم الحرب على مستوى الجبهة الداخلية.

تاريخ الحرب الشاملة:

بدأت الحرب الشاملة في الظهور منذ العصور الوسطى، واستمرت خلال فترة الحربين العالميتين، وبينما كانت هناك قواعد ثقافية، ودينية منذ زمن طويل تحدد ما يجب استهدافه، وما لا يجب استهدافه في الحرب، لم تكن هناك أي قوانين دولية تنظم الحروب إلا بعد توقيع اتفاقية جنيف التي أوجدت ما يعرف بالقانون الإنساني الدولي IHL.

الحرب الشاملة في العصور الوسطى:

أحد أشهر، وأقدم الأمثلة التاريخية على الحروب الشاملة التي وقعت في العصور الوسطى هي الحروب الصليبية، والتي تمت في القرن الحادي عشر، حيث قادت الجيوش الأوروبية سلسلة

من الحروب خلال تلك الفترة قتلوا خلالها أكثر من مليون شخص، وقاموا بحرق عدد لا يحصى من القرى تحت زعم الحفاظ على ديانتهم، وقد قتلوا سكان قرى بأكملها.

ومن أمثلة الحرب الشاملة أيضًا سلسلة الحروب التي قادها القائد المغولي جنكيز خان في القرن الثالث عشر، وهو الذي أسس إمبراطورية المغول التي نمت بسبب انتشار قواته في شمال شرق آسيا، والاستيلاء على عدد كبير من المدن، وذبح معظم سكانها، لمنع أي انتفاضة في المدن المهزومة حيث لم يتبقى لديهم أي موارد بشرية، أو مالية.

الحرب الشاملة في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر:

خلال فترة الثورة الفرنسية انخرطت المحكمة الثورية الفرنسية في أعمال حرب شاملة، وهي الفترة التي أطلق عليها اسم "عصر الإرهاب الفرنسي"، وخلال تلك الفترة أعدمت المحكمة أي شخص لا يظهر دعمًا قويًا، وثابتًا للثورة، كما مات آلاف الأشخاص في السجن في انتظار المحاكمة.

وخلال الحروب النابليونية التي أعقبت الثورة، تشير التقديرات إلى أن ما يقرب من خمسة ملايين شخص لقو حتفهم على مدى فترة العشرين عامًا، وخلال هذه الفترة أصبح الإمبراطور نابليون بونابرت معروفًا بوحشيته.

وهناك مثال آخر شهير على الحرب الشاملة، وهو ما حدث خلال فترة الحرب الأهلية الأمريكية مع مسيرة الجنرال ويليام تي شيرمان إلى البحر، وعلى طول الطريق أحرق كل المدن الصغيرة التي مر بها من أجل تدمير البنية الاقتصادية لمزارعي الجنوب، وإضعاف معنويات جيش الكونفدرالية، ومنع الجنود، والمدنيين من الحصول على أي إمدادات للتعبئة من أجل المجهود الحربي.

الحربين العالميتين، والحرب الشاملة:

في الحرب العالمية الأولى قامت الدول بتعبئة المدنيين من أجل المجهود الحربي من خلال التجنيد الإجباري، والترشيد، وكلها من جوانب الحرب الشاملة، أما الأشخاص الذين لم يجندوا فقد اضطروا للتضحية بالغذاء، والوقت، والمال من أجل الحرب.

وعلى الجانب الحربي فقد قامت الولايات المتحدة بحصار ألمانيا لمدة 4 سنوات حرم خلالها المدنيين، والجنود على حد سواء من وصول أي موارد بما فيها الإمدادات الزراعية، والغذائية، ووصول الأسلحة أيضًا.

وكانت الحرب العالمية الثانية تشبه الحرب الأولى إلى حد كبير، فقد استخدم كل من قوى المحور، والحلفاء أسلوب الدعاية التعبئة العامة على جميع الجبهات، وطالبوا المواطنين بالتقشف، وكان على المدنيين أن يعملوا لساعات أطول لتعويض القوى العاملة التي فقدت في الحرب.

وأيضًا استهدف الحلفاء المدنيين الألمان للإسراع في إنهاء، حيث قامت القوات البريطانية، والأمريكية بتدمير مدينة دريسدن الألمانية، لأنها كانت إحدى العواصم الصناعية في ألمانيا، ودمروا كل نظام السكك الحديدية في البلاد، ومصانع الطائرات، والموارد الأخرى.

غير أن فكرة الحرب الشاملة انتهت تقريبًا مع الحرب العالمية الثانية بعد استخدام القنبلة النووية؛ لتدمير مدينتي هيروشيما، وناجازاكي اليابانية، وهذا القصف يعتبر نهاية الحروب النووية الشاملة، حيث أنه بعد مرور خمس سنوات على هذا الحدث حظر القانون الإنساني الدولي استخدام أي أسلحة بشكل عشوائي في الحرب.

الفصل الثاني عشر
الحرب الإلكترونية

الحرب الإلكترونية: هي مجموعة الإجراءات الإلكترونية المتضمنة استخدام بعض النظم، والوسائل الإلكترونية الصديقة في استطلاع الإشعاع الكهرومغناطيسي الصادر من نظم، العدو، ووسائله، ومعداته الإلكترونية المختلفة مع الاستخدام المتعمد للطاقة الكهرومغناطيسية في التأثير على هذه النظم، والوسائل لمنع العدو، أو حرمانه، أو تقليل استغلاله للمجال الكهرومغناطيسي، فضلًا عن حماية الموجات الكهرومغناطيسية الصادرة من النظم، والوسائل الإلكترونية الصديقة من استطلاع العدو لها، أو التأثير عليها.

انطلاقًا من هذا الفكر في تعريف الحرب الإلكترونية، فإن مفهوم الحرب الإلكترونية: هو مجموعة الإجراءات التي تنفذ بهدف الاستطلاع الإلكتروني للنظم، والوسائل الإلكترونية المعادية، وإخلال عمل هذه النظم، والوسائل الإلكترونية، ومقاومة الاستطلاع الإلكتروني المعادي، وتحقيق استقرار عمل النظم الإلكترونية الصديقة تحت ظروف استخدام العدو أعمال الاستطلاع، والإعاقة الإلكترونية.

نشأتها:

عند تتبع تاريخ نشأة الحرب الإلكترونية في العالم، نجد أن جذورها تعود لما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، فقد بدأت الاتصالات بين أرجاء العالم المختلفة باستخدام المواصلات

السلكية مـن طريق المورس "جهاز البرق الصوتي" عام 1837، ولم يتحقق أي اتصال آخر في ذلك الوقت إلا من طريق تبادل المراسلات باستخدام السفن في نقل الرسائل بين الموانئ البحرية.

منذ اندلاع الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية، في أبريل 1861، كانت خطوط التلغراف هدفًا مهمًا للقوات المتحاربة إذ كان عمال الإشارة يتداخلون على خطوط المواصلات السلكية، من طريق توصيل هاتف على التوازي مع كل خط من هذه الخطوط للتنصت على المحادثات، ولهذا السبب، كان كل جانب يقطع المواصلات الخطية عند عدم الحاجة إليها، حتى لا يتداخل عليها الطرف الآخر.

ثم كانت بداية استخدام الاتصال اللاسلكي في عام 1888 مع الألماني هرتز (Hertz). وفي منتصف عام 1897 استطاع "ماركوني" Guglielmo Marconi المهندس، والمخترع الإيطالي من تطوير جهاز لاسلكي يناسب الاستخدام في البحر. ثم استخدم اللاسلكي في أعمال الاتصالات بالمسرح البحري الأوروبي في عام 1901.

ونتيجة لتزايد الاستخدام اللاسلكي، كان طبيعيًا أن تظهر الشوشرة على الاتصالات اللاسلكية، وكانت في البداية شوشرة طبيعية، نتيجة لكثرة استخدام الأجهزة اللاسلكية، وهو ما يعرف بالتداخل البيني للموجات الكهرومغناطيسية عند إشعاعها بكثافة عالية في مساحة محددة، أو في مناطق مغلقة، مثل: المضايق، والممرات الجبلية.

ومن هنا بدأ التدريب على العمل في ظل الشوشرة نتيجة الاستخدام اللاسلكي المكثف، ثم بدأ الاستخدام المتعمد للشوشرة؛ لإعاقة الاتصالات اللاسلكية بين الوحدات العسكرية المعادية؛ لإرباكها وشل سيطرتها على قواتها، وأسلحتها. وفي عام 1904 قصفت السفينتان اليابانيتان الحربيتان "كاسوجا ونيشين" القاعدة البحرية الروسية في ميناء "آرثر" Arthur، وكانت معهما سفينة صغيرة تصحح النيران باستخدام الراديو "اللاسلكي"، وسمع أحد عمال "الإشارة" الروس، بالمصادفة، تعليمات تصحيح النيران، فاستخدم جهاز إرساله اللاسلكي في إعاقة الاتصال الياباني بالضغط على مفتاح الإرسال على تردد الشبكة اليابانية نفسها، مما عطل بلاغات تصحيح النيران من أن تُبّلغ لمدفعية السفينتين؛ وهكذا، لم ينتج عن هذا القصف البحري سوى إصابات طفيفة؛ لعدم دقة النيران في إصابة أهدافها.

وحتى عام 1905، وخلال المعارك بين السفن اليابانية، والروسية، استخدمت السفن الروسية الأسلوب نفسه ضد الشبكات اللاسلكية اليابانية، وانعكس ذلك في أن السفن الروسية استطاعت إخفاء اتصالاتها، قدر الإمكان، من طريق تقليل فترات استخدام اللاسلكي لأقل فترة ممكنة، وبأقل قدرة إشعاع لاسلكي تحقق الاتصال المطلوب، وكانت السفن الروسية تتنصت، وتراقب الإرسال اللاسلكي الياباني، ثم تشوّش عليه أثناء القصف بهذا الأسلوب نفسه.

وفي عام 1906 استطاع مكتب معدات البحرية الأمريكية من استحداث جهاز تحديد اتجاه لاسلكي؛ لخدمة الملاحة البحرية في البحر، وهو ما يعرف باسم "المنارة اللاسلكية" لإرشاد السفن، وتحديد مواقعها، وخطوط سيرها، مما كان له أثر كبير في مجالات الحرب الإلكترونية فيما بعد.

وقد عم في العصر الحديث استخدام الترانزيستور بدلا من الصمامات الإلكترونية، فبها تضبط شبكات الكهرباء كما تعمل الاتصلات بها من هاتف محمول، وغيرها.

ويضبط بها عمل الأجهزة العسكرية ، من دبابات، ومصفحات، وطائرات، و مدافع, وتعمل بالترانزيستور أجهزة اتصالاته، و الرادار، و أجهزة التصويب.

ونظرا؛ لأن الترانزيستور يعمل بجهد (فولطي) صغير، فهو بذلك عرضة للفساد، والشوشرة؛ بسبب حساسيتها المرتفعة للأمواج الكهرومغناطيسية، ومن ضمنها أشعة غاما، والأشعة السينية. لهذا فكر كل من المعسكر الغربي، والمعسكر الشرقي غيرهم من الدول في اختراع، وتنفيذ قنابل بسيطة تفسد عمل الترانزيسور على أرض العدو، وفي ميدان القتال، تلك القنابل تنتج في المقام الأول أشعة كهرومغناطيسية شديدة فتشل بها جميع أسلحته. بل، وتشل بها جميع شبكاته الكهربائية، وشبكات اتصالاته المدنية، وغيرها، فتعم الفوضى بين صفوفه القتالية، وتنقطع الاتصلات، وتعم الفوضى أيضا في بلاده إذ ينقطع التيار الكهربائي، وخطوط الاتصالات، و المواصلات.

الحرب الإلكترونية في الحرب العالمية الأولى:

في بداية الحرب العالمية الأولى، في أغسطس 1914، قبل أن تدخل بريطانيا الحرب إلى جانب بلجيكا، و فرنسا، ضد ألمانيا، والنمسا، مرت سفينتان حربيتان بريطانيتان، بجوار السفن الألمانية في بحر المانش، ولم تحاولا الاشتباك مع السفن الألمانية. إلا أن أدميرال الأسطول الألماني "إرنست كينج"، أوضح أن هاتين السفينتين البريطانيتين، نفذتا عمليات التنصت اللاسلكي على

الاتصالات اللاسلكية للسفن الألمانية، وذلك عندما حاولنا التشويش على الاتصالات اللاسلكية الألمانية، بهدف اختبار كفاءة أعمال الحرب الإلكترونية لديها في التداخل، والشوشرة اللاسلكية على الشبكات اللاسلكية الألمانية.

وأثناء العمليات البحرية التالية في الحرب العالمية الأولى كان التشويش على الاتصالات اللاسلكية يستخدم من حين إلى آخر، ولكن وُجد أنه، لكي تنفذ الشوشرة على أي اتصال لاسلكي، كان لا بد أن تسبق عملية التنصت هذا الاتصال، الأمر الذي تبين منه في أحيان كثيرة، أهمية المعلومات التي يتبادلها الجانب المعادي، والتي يمكن الحصول عليها، معرفة نواياه المستقبلية.

الحرب الإلكترونية بين الحرب العالمية الأولى، والثانية:

أجرت عدة دول تجارب على قيام الطائرات بتوجيه القنابل لاسلكياً. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي تطورت أجهزة الإرسال بدرجة كبيرة، وأُنتجت أجهزة استقبال ذات حساسية عالية، وهوائيات دقيقة التوجيه، وهو ما أدى إلى التفكير في التداخل اللاسلكي لإفشال أعمال التوجيه.

وفي هذا الوقت، بدأت التطبيقات العملية للظواهر المكتشفة عام 1900، صدى الصوت، إذ كان عندما يرفع الصوت، ويسمع صدى في الإجابة، يعرف أن الصوت وصل حائطًا بعيدًا، أو حاجزًا، ولا بد أنه انعكس من المكان نفسه.

وهكذا، بدأ تطبيق تحديد المكان لأي جسم متحرك، مثل سفينة في البحر، إذ يمكن من تحديد مسافة تحركها في زمن محدد، وحساب سرعتها، ففي البداية، يحدد مكان الهدف المتحرك وتوقيته في موقع ما، ثم بعد فترة زمنية محددة، يعاد تحديد مكان الهدف، وتوقيته في موقع آخر، وبحساب المسافة التي تحركها الهدف، بين الموقعين الأول، والثاني، والزمن الذي استغرقه في قطع هذه المسافة، تحدد سرعة الهدف من المعادلة الآتية: "السرعة = المسافة ÷ الزمن".

وقد طبق العاملون في معمل أبحاث البحرية الأمريكية ذلك، خلال تجارب اكتشاف الرادار عام 1922. وفي عام 1934، كان جهاز الرادار الأمريكي، قادرًا على اكتشاف الطائرات على مسافة 50 ميلاً؛ وفي هذه الفترة، كان هناك عمل مشابه، ينفذ في بريطانيا، وألمانيا.

وبحلول شهر يونيه 1935، أُنتج أول رادار نبضي للبحرية البريطانية، يمكنه كشف الأهداف حتى مدى 17 ميلًا. وفي مارس 1936، أُنتج جهاز مماثل معّدل بمدى كشف 75 ميلًا.

وهكذا، تطور تصنيع الرادارات على المسرح الأوروبي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

الحرب الإلكترونية في الحرب العالمية الثانية:

تمكنت الدول الأوروبية حتى عام 1938 من إنتاج رادارات، ذات مدى كشف راداري 100 ميل عن الطائرات المعادية توفر زمن إنذار لأكثر من نصف ساعة، عن هجوم قاذفات القنابل المعادية، فضلًا عن إنتاج رادار بحري، يوفر مدى كشف راداري 15 ميلًا عن القطع البحرية المعادية.

ومنذ أكتوبر 1935، كلف مسؤول البرنامج البريطاني لتطوير الرادار بدارسة إمكانية التشويش على أجهزة الكشف الراداري، إذ بدأت التجارب، وأمكن تحقيق نتائج إيجابية في عام 1938، وفي عام 1939. كما بدأت في إنجلترا دراسة إمكانية تشغيل عمال الرادار على أجهزتهم، في ظل قيام العدو بأعمال الإعاقة، والتشويش، على الرادارات الإنجليزية. ومع تزايد الانتصارات الألمانية في فرنسا، وهولندا وبلجيكا، في صيف 1940، والإجلاء السريع للقوات البريطانية من الجزء الرئيسي من أوروبا، وتزايد إمكان دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب الحلفاء، بدأت واشنطن، في سرية تامة، بتعبئة الهيئات العسكرية الصناعية، والعلمية، وتنظيمها، لخدمة الحرب الإلكترونية.

أما الإنجاز الكبير الذي حدث بعد ذلك، هو أنه، بعد سقوط فرنسا، هرب العالم "موريس دولورين" إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومعه ثلاثة من زملائه الذين كانوا يعملون في نوع جديد من أجهزة تحديد الاتجاه ذات التردد العالي للبحرية الفرنسية، وبدءوا العمل في مختبر الاتصالات اللاسلكية الفيدرالي في "أماجا نسيت" بولاية "لونـج أيلاند" Long Island، وسرعان ما قاموا بتشغيل نموذج متطور لتحديد الاتجاه اللاسلكي يعمل على الشواطئ، ثم طوروا جهازًا آخر للعمل بالسفن الحربية، دخل الخدمة في القوات البحرية بعد ذلك. ومنذ أوائل ديسمبر 1941، وقبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب مباشرة، أنتجت رادارات متقدمة منها SCR-270، ثم SCR-271، وذلك بزيادة حيز تردداتها، ركبت فيما بعد، بالسفن الحربية، وحاملات الطائرات،

والطرادات، بما أدى إلى التغلب على أعمال الاستطلاع والإعاقة الرادارية. وفي الوقت نفسه، كانت الإجراءات المضادة للرادارات تسير سيراً حسناً، مثل مستقبل التحذير الراداري من الرادارات المعادية Radar Warning Receiver: RWR من نوع P-540، والذي تطوّر، بعد ذلك، إلى ما أطلق عليه P-587، والذي أقر في مختبر الطاقة الإشعاعية.

وهكذا، زاد التنافس بين القوات المتحاربة في المحيط الأطلسي، والمحيط الهادي، مما ساعد على التطوير المستمر في معدات الحرب الإلكترونية، وأعمالها، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، في ظل التطور الهائل لتكنولوجيا الإلكترونيات.

وهكذا استمر الصراع الدائر للحصول على التكنولوجيا المتقدمة لإنشاء أحدث النظم الإلكترونية اللازمة للسيطرة، وإدارة النيران، وللمعاونة في إدارة أعمال القتال.

وكان يتبعها دائماً العمل الدائم في مراكز الأبحاث للوصول إلى أكثر المعدات الخاصة بالحرب الإلكترونية تعقيدًا من وسائل للاستطلاع، والإعاقة على هذه المعدات المتقدمة، التي يتم إنشاؤها. ثم يأتي دور اختبار هذه المعدات الجديدة في مجال الحرب الإلكترونية؛ ليتم إنزالها إلى ساحة القتال، لمعرفة تأثيرها، ثم تجري أعمال التطوير مرة أخرى على ضوء ما يدرس من مزاياها، وعيوبها.

ظهر ذلك واضحًا في حروب ما بعد الحرب العالمية الثانية: "كوريا ـ فيتنام ـ حرب 1967 ـ حرب أكتوبر 1973 ـ فوكلاند ـ سهل البقاع ـ خليج سرت ـ حرب تحرير الكويت ـ ثم حرب البلقان."

الأهداف الإلكترونية المعادية للحرب الإلكترونية:

هي الأهداف المطلوب أن تتعامل معها الحرب الإلكترونية بأعمال الاستطلاع، والإعاقة الإلكترونية، ويمكن أن إيجاز أهم هذه الأهداف فيما يلي:

محطات الاتصال اللاسلكي، واللاسلكي متعدد القنوات.

أنظمة الرادار العسكرية.

للإنذار، وتوجيه النيران.

للإنذار، والمراقبة الساحلية.

للتوجيه لمراكز السيطرة الجوية.

لقيادة نيران المدفعية، وتصحيحها.

لمراقبة التحركات الأرضية.

أنظمة الكشف، والتوجيه الكهروبصرية.

تليفزيوني.

حراري.

ليزري.

بصري.

مسارح الحرب الإلكترونية:

العمليات البحرية.

بمقدور السفن الحربية، والغواصات إصابة أهدافها خلف الأفق Over The Horizon: OTH بمعاونة نُظُم الاستطلاع الإلكتروني المتطوِّرة المحمولة جوًا، وفي الفضاء الخارجي، والمتصلة بوحدات الأسطول، كما أنه بمقدور وحدات مكافحة الغواصات من طائرات، وسفن، وغواصات مسح قاع البحار، والمحيطات باستخدام الأجهزة الإلكترونية "السونار"؛ للكشف عن الغواصات، والألغام البحرية المعادية في الأعماق.

العمليات البرية.

العمليات الجوية.

أنظمة الحرب الإلكترونية.

أقسام الحرب الإلكترونية:

الإجراءات الإلكترونية المضادة **(Electronic Counter MeasuresECM)**

وتعني تنفيذ أعمال الإعاقة الإلكترونية الإيجابية، والسلبية، أو أعمال التدمير للنظم، والوسائل، والمعدات الإلكترونية المعادية.

أعمال الاستطلاع الإلكتروني: **(Electronic Reconnaissance)**

وهو ما يطلق عليه اسم "المساندة الإلكترونية" (Electronic Support Measures ESM)، إذ يؤدي الاستطلاع الإلكتروني دورًا إستراتيجيًا في تحديد تكتيكات العدو، وإمكاناته، وأهدافه، وينفذ خلال السلم، والحرب، وقبل العمليات، وأثناءها من خلال النظم، والمعدات الإلكترونية ذات التقنية العالية التي تزود بها الطائرات، و السفن، والأقمار الصناعية.

الأعمال الإلكترونية المضادة لإجراءات الحرب الإلكترونية المعادية:

(Electronic Counter Counter Measures ECCM)

وتعني التأمين الإلكتروني للنظم، والوسائل الإلكترونية الصديقة من أعمال الحرب الإلكترونية المعادية.

مفهوم الحرب الإلكترونية:

يُشير مصطلح الحرب الإلكترونيّة، والذي يطلق عليه بالإنجليزية (Cyber warfare) إلى استخدام جُملة من الممارسات، والإجراءات التي تسعى لإلحاق الخلل، والعطل بالأنظمة، والوسائل الإلكترونية الخاصة بالعدو، بالإضافة إلى تحقيق الحماية للذّات من الاستطلاع الإلكتروني المعادي، ومقاومته، وتحقيق الاستقرار للنُّظم الإلكترونيّة الصديقة، ويعتبر استخدام الطاقة الكهرومغناطيسيّة في نطاق الحرب الإلكترونيّة ضرورياً؛ وذلك لغايات تعطيل حركة العدو، ومنعها من استغلال المجال الكهرومغناطيسي الصديق.

إن الحرب الإلكترونيّة تتّخذ من شبكة الإنترنت حلبَة صراع لها، وتأتي الهجمات التي تُشّن فيها؛ بسبب دوافع سياسيّة، وتُوجَّه الضربات الإلكترونيّة على مواقع الإنترنت الرسميّة للعدو، وكل ما يتعلق بشبكاته، وخدماته الأساسيّة، وتكون الضربات بقرصنة، وتعطيل المواقع، وسرقة البيانات السريّة، وتخريبها، واختراق الأنظمة الماليّة.

أنواع الحرب الإلكترونيّة تُقسم الحرب الإلكترونيّة إلى نوعين رئيسييّن، وفقاً للهدف الذي تقصده الحملة الحربية الإلكترونيّة، وهما:

حرب الإشعاع: (Radiation Warfar)، ويرمز لها اختصارًا بـ (WR)،

وتعتبر هذه الحرب ركنًا أساسيًا في الحرب الإلكترونيّة، إذ يعدّ استخدام الأشعّة الكهرومغناطيسيّة جزءًا مهمًا في تخفيض مستويات الجودة، التي تتمتع بها المعلومات، والبيانات المعادية، ويتم تدميرها بالاعتماد على البحث الإشعاعيّ.

حرب البيانات: (Data Warfare)، ويرمز لها اختصارًا بـDW.

ويقتصر هذا النوع على استغلال البيانات دون إلحاق الدمار بها، وتنتهي فور توقّف تبادل البيانات بين طرفي الاتصال. ويشار إلى أن حرب الإشعاع أكثر دقةً، وكفاءةً من حرب البيانات، بالرغم من احتواء كلا الحربين على بيانات، إلا أنّ ما يميّزها قدرتها على فرض السيطرة على

المعلومات، والبيانات، والتحكّم بها، وتحليلها، مما يجعل القرار الأساسي بيد الصديق، وليس العدو، وتُشنُّ الحرب الإشعاعيّة غالبًا بالفيروسات، أو التشويش.

أساليب الحرب الإلكترونيّة:

ومن أساليب الحرب الإلكترونيّة تتلخص بما يلي:

الإجراءات الإلكترونيّة المضادّة: ويُطلق عليها بالإنجليزية (Electronic Counter Measures)، وتُختصر بـECM.

ويتمثّل هذا الشكل باتخاذ إجراءات تعيق الأعمال الإلكترونيّة للعدو بكافة أشكالها، وضرب الأنظمة، والوسائل، والمعدات الإلكترونيّة الخاصة بالعدو، وتدميرها. أعمال الاستطلاع الإلكتروني: ويُطلق عليها بالإنجليزية (Electronic Reconnaissance)، وتُعرف أيضًا بعمليات المُسانَدة الإلكترونيّة، وهي تكشف "تكتيكات" العدو التي ينوي القيام بها، ويُعتبر دورها في غاية الأهمية؛ لأنها تطَّلع على إمكانيات العدو، وأهدافه، ويمكن اتباع هذه الأعمال بحالتي السلم، والحرب.

الأعمال الإلكترونيّة المضادّة لإجراءات الحرب الإلكترونيّة المعادية:

ويُطلق عليها بالإنجليزية (Electronic Counter Counter Measures)، ويشار إليها اختصاراً بـECCM, وهو استخدام عدد من الإجراءات الإلكترونيّة لمقاومة الاستطلاع الإلكتروني المعادي، والتصدِّي له، من خلال تنفيذ أعلى درجات التأمين الإلكتروني في النظم، والوسائل الإلكترونية، ومن أهم الإجراءات في هذا الأسلوب وقاية النظم، والمراقبة الإلكترونيّة للإشعاعات الكهرومغناطيسيّة الصديقة.

الحرب الإلكترونية ... جيل جديد من الحروب في مواجهة "الإرهاب":

تحتل أعمال الحرب الإلكترونية، في الوقت الحاضر، مكانًا بارزًا بين الأنشطة العسكرية الأخرى. ويولي كافة الأطراف، من الشرق، أو الغرب، الكثير من الاهتمام لتطوير وسائلها، وأساليب استخدامها بعد أن أثبتت خبرات الحروب المحدودة التي تلت الحرب العالمية الثانية أهميتها، سواء في الدفاع، أو الهجوم.

وقد أحدث استخدام معدات الحرب الإلكترونية في الحروب الحديثة تطورًا هائلًا في مجالات هذه الحروب، ومراحلها، وأصبح الحسم في المعارك الحديثة لصالح الجيوش، والقوات التي تستخدم الحديث منها، وبقدر ما يمتلكه كل طرف من الأطراف المتصارعة، بعد أن كانت تحسم لمصلحة الطرف الذي يمتلك التفوق العددي، أو النوعي، أو يمتلك الأسلحة البعيدة المدى، والدليل على ذلك أن معدات الحرب الإلكترونية المستخدمة في الطائرات المقاتلة يقترب ثمنها من نصف قيمة الطائرة.

ويحفل واقع اليوم بالعديد من المتغيرات التي تدفعنا إلى تسليط الضوء على تلك الآلة العسكرية الجديدة، التي فرضت نفسها بقوة على واقع الصراعات المسلحة، وغير المسلحة في عالم اليوم.

لقد زادت التقنيات الرقمية من فاعلية الحروب الإلكترونية، فكان أول إعلان عن دخول التقنيات الرقمية ميادين الحروب في حرب البلقان في نهايات القرن الماضي على يد حلف الناتو ضد الصرب فيما سمي "بالقنابل المعتمة"، وقد أدى هذا الهجوم الإلكتروني إلى توقف شبكة الحاسب الرئيسية مما أصاب نظم الكمبيوتر الخاصة بوزارة الدفاع اليوغسلافية بالشلل التام.

واستطاعت القنابل الإلكترونية تعطيل الاتصالات عبر التشويش على شبكة الاتصالات الهاتفية الرئيسية "الثابتة" مما دفع القيادة في بلجراد إلى الاتصال بقواتها عبر الهواتف الجوالة، وبالتالي أصبح يسيرا على قوات الحلف مهمة اختراق المكالمات.

الحرب الإلكترونية، وميدان الحرب الإلكترونية، ووسائل الحرب الإلكترونية، مترادفات تفيد في معنى واحدا، هو استخدام العلوم التطبيقية الحديثة – خصوصا تلك التي تحققت في ميدان الإلكترونيات على الصعيد العسكري – في خدمة التكتيكات العسكرية الهجومية، والدفاعية، واستخدام هذه العلوم أيضا لمجابهة التدابير الإلكترونية المعادية، وإحباط فاعليتها، وتستخدم الحرب الإلكترونية المعدات التالية: معدات عسكرية للإنذار، والكشف، معدات السيطرة، والضبط، أجهزة للملاحة، الاتصالات الإلكترونية.

مفهوم الحرب الإلكترونية: هي استخدام تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، والإلكترونيات في الأعمال العسكرية.

أقسام الحرب الإلكترونية:

- **الإسناد، والاستطلاع الإلكتروني (ELECTRONIC SUPPORT MEASURES ESM):**

ويهدف إلى الكشف، والإنذار عن مصادر التهديد الإلكتروني، وأيضا للمساعدة في تحاشى الأهداف، وتوجيه الأسلحة.

- **الهجوم الإلكتروني، أو ما يسمى (الإعاقة الإلكترونية)، أو (ELECTRONIC COUNTER ECM MEASURES:**

وتعرف بأنه ذلك القسم من الحرب الإلكترونية الذى يتضمن استخدام الطاقة الكهرومغناطيسية، أو الطاقة الموجهة بغرض إضعاف، أو تحديد القدرات القتالية للعدو، وذلك بواسطة التشويش، والخداع.

- **الحماية الإلكترونية، أو (ELECTRONIC COUNTER MEASURES ECCM)**

وتعرف بأنها ذلك القسم من الحرب الإلكترونية الذى يتضمن اتخاذ تدابير لحماية الأنظمة الإلكترونية للقوات الصديقة من أى تأثير ناشئ نتيجة استخدام الحرب الإلكترونية سواء كان ذلك من قبل القوات الصديقة، أو المعادية، والذى يضعف، أو يدمر، أو يعمل على تحييد القدرات القتالية للقوات الصديقة.

- **تتم إجراءات الإسناد الإلكترونى، إما يدويا عن طريق محطات المراقبة الإلكترونية سواء كانت محمولة جوا، أو على السطح (برا، أو بحرا)، أو تحت السطح، ويتم التحكم بها بواسطة مشغلي الحرب الإلكترونية الموجودين على المنصات الحاملة لهذه المحطات، ويتم برمجتها سلفا حسب التصور المسبق عن التهديدات المعادية، ومن إجراءات الإسناد الإلكترونى: (البحث- الاعتراض- التحليل- تحديد الموقع، وأخيرا التسجيل)الإلكتروني.**

الحروب الإلكترونية... معارك العالم الافتراضي تنتقل إلى الميدان:

دفع التطور التكنولوجي العالم نحو المزيد من الانفتاح، فاتسع الحيز العام، وتقلص الحيّز الخاص، وتغلب الإنسان على الحدود الجغرافية ببناء علاقات افتراضية عبر شبكة الإنترنت، إلا أن ذلك يختلف فيما يخص العلاقات السياسية الدولية.

وكما في العالم "الواقعي" هناك حاجة دائمة؛ لتنظيم العلاقات بين البشر، وحفظ أمنهم، وحماية ممتلكاتهم من الانتهاكات، أصبحت الحاجة للأمن الإلكتروني أولوية، في الوقت الذي يعتمد فيه الإنسان، والمجتمع، والدول على الوسائل التكنولوجية؛ لتسيير كل أمورهم.

ومن هنا وضعت مصطلحات من قبيل "أمن العالم الافتراضي"، أو "أمن السايبر"، وأصبح هناك "جريمة إلكترونية"، و"حرب إلكترونية" تدور بين أنظمة، ودول وجماعات وأفراد؛ لتعطي شكلًا جديدًا غير تقليدي للحروب، فسلاحها إلكتروني، ولا تسيل فيها الدماء بشكل مباشر، لكنها لا تقل خطورة عن الحرب التقليدية بالأسلحة، والمعدات العسكرية المحسوسة.

-عهد جديد:

ولا شك أن الحرب الإلكترونية التي أعلنها الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، على الانتخابات الرئاسية الأمريكية 2016؛ بهدف التأثير فيها لمصلحة الرئيس دونالد ترامب شكلت عهدًا جديدًا في الحروب، وباتت بوابة "حروب السايبر" المعلوماتية، وانعكست آثارها على الأرض في الولايات المتحدة.

فللمرة الأولى تنتقل حرب السايبر بين الدول إلى الساحة الديمقراطية، بعد أن كانت تقتصر على استهداف المنشآت العسكرية، والاستخبارية.

وأكد تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكية في يناير 2017، "أن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أمر بحملة نفوذ لصالح ترامب عام 2016، خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية".

وأوضح التقرير أن الروس حاولوا "تقويض إيمان المواطنين بالعملية الأمريكية الديمقراطية، وتشويه سمعة الوزيرة هيلاري كلينتون، والتأثير في حظوظها الانتخابية".

كما كشف التقرير أن "عملية القرصنة على الانتخابات الأمريكية تمثل أحدث تعبير لموسكو عن رغبتها القديمة في تقويض النظام الديمقراطي التحرري الذي تقوده الولايات المتحدة، وأن

النشاطات الروسية في هذا المجال باتت أكثر تصعيدًا في مباشرتها، ومستوى النشاط وسعة الجهود، إذا ما قورنت بنشاطاتها السابقة".

ويؤكد مراقبون أن الحروب الإلكترونية، أو (حرب السايبر) هي حرب بكل ما للكلمة من معنى، ويعرّفها الدكتور بول روزنفياغ، أستاذ القانون في جامعة جورج واشنطن، في بحث له عن قانونية هذه الحرب نشر في عام 2012، أنها "حربٌ ذكية أقوى من أي هجوم برّي، أو جوي، وأكثر ذكاءً، وأقل تكلفة، فهي لا تحتاج إلى معدات حربية، ولا جنود، لكنها تحتاج إلى قدرات علمية عالية".

وأشار روزنفياغ إلى أن الحرب السايبر "تأثيرًا عالميًا مدمرًا، إذ قد تؤدي إلى تدمير بنية تحتية لدولة ما، بما في ذلك سدودها المائية، ومفاعلاتها النووية".

واعتبر أن "حرب السايبر: هي تطور طبيعي في مفهوم الحروب، نقلتها إلى جيل جديد يعتمد على التحكم، والسيطرة عن بعد".

وقبيل أعوام من توصل المجتمع الدولي إلى الاتفاق النووي مع طهران، شنّت الولايات المتحدة الأمريكية حربها السايبرية على مشروع إيران النووي؛ بهدف إضعاف قدرة طهران النووية، وإجبارها على التنازل على طاولة المفاوضات، وهو ما تم وفق خبراء.

فمن ثكنة جورج ميد، بولاية ميريلاند الأمريكية، عكف الجيش الأمريكي على إرسال الفيروسات الخبيثة لتخريب المنشآت النووية الإيرانية، الأمر الذي أضعف قدرتها على تخصيب اليورانيوم.

- **جبهات:**

لكن واشنطن نفسها لم تكن بمأمن من الحرب السايبرية، ففي يوم الجمعة 23 مارس 2018 وجهت وزارة العدل الأمريكية اتهامات جنائية، وفرضت عقوبات على شركة إيرانية، وعلى 9 إيرانيين ناشطين في معهد "مبنا" الإيراني، لاختراقهم أنظمة مئات الجامعات، والشركات، وضحايا آخرين لسرقة البحوث، والبيانات الأكاديمية، والملكية الفكرية.

ووصفت وزارة العدل الأمريكية القراصنة بأنهم عصابة تسلل إلكتروني، حاول أفرادها اختراق مئات الجامعات حول العالم، نيابة عن الحرس الثوري الإيراني الإسلامي، شاملين بتسللهم عشرات الشركات، وقطاعات من الحكومة الأمريكية لحساب الحكومة الإيرانية، وفق ما ورد ببيان قالت فيه الوزارة إن الهجوم الذي وصفته بإحدى كبرى الهجمات الإلكترونية التي ترعاها دولة، بدأ منذ 2013 على الأقل، وبه تمت سرقة أكثر من 31 تيرابايت من البيانات الأكاديمية، وحقوق الملكية الفكرية من 144 جامعة أمريكية، و176 جامعة في 21 دولة أخرى.

كيف تستنزف "حرب السايبر" 600 مليار دولار سنويًا من اقتصاد العالم؟!

وفي العام 2014 كشفت صحيفة نيويورك تايمز أن وحدة المحاربين السايبريين في الجيش الصيني هي المسؤولة عن غالبيَّة الهجمات التي تعرَّضت لها الشركات الأمريكية، وحتى الوزارات.

وكان الرئيس الأمريكي السابق، باراك أوباما، قد حذّر بكين من أن الهجمات السايبرية تُعد شكلاً من أشكال العدوان الحربي على بلاده، متوعدًا بالرد بالمثل.

وكان أقسى انتقام للولايات المتحدة بحق كوريا الشمالية؛ عندما قامت الأخيرة في العام 2014 بقرصنة شركة سوني بيكتشرز إنترتينمنت؛ لمنع عرض فيلم (ذا إنترفيو)، الذي يسخر من ديكتاتور كوريا الشمالية، كيم جونغ أون، وقطعت واشنطن الإنترنت 3 أيام عنها، وعزلتها عن العالم طيلة تلك الفترة.

هذه الحرب لم تكن بعيدة عن الساحة العربية، إذ أنهكت المقاومة الفلسطينية الاحتلال الإسرائيلي بغاراتها السايبرية، والتي كان أبرزها عام 2013، عندما شنت مجموعة من الهاكز تدعى "أنونيموس"، أكبر عملية قرصنة معلوماتية ضد "إسرائيل".

أدت هذه الحرب إلى إسقاط مواقع، وزارات، ومؤسسات إسرائيلية، ومن ضمنها دائرة الهجرة اليهودية، والمحاكم، وإيقاع خسائر مالية بلغت 3 مليارات دولار، باعتراف القناة العاشرة الإسرائيلية، آنذاك.

كما استهدفت أكثر من 100 ألف موقع، و40 ألف صفحة على الفيسبوك، و5 آلاف حساب على تويتر تابعة لمسؤولين إسرائيليين، و30 ألف حساب مصرفي إسرائيلي.

- **متاعب مالية:**

وتزداد تكلفة الهجمات السايبرية بشكل متسارع، بحيث أصبحت تكلّف العالم سنويًا فاتورة باهظة تزيد على 600 مليار دولار، أو ما يعادل 1% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، ما يهدد بمستقبل مخيف للاقتصاد العالمي.

وبحسب تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن بالتعاون مع شركة "مكافي" لبرامج الأمن المعلوماتي، فإن الاقتصاد العالمي يتكلف سنويًا نحو 600 مليار دولار من إجراء تلك العمليات، وهذا الرقم مرشّح للزيادة في السنوات المقبلة، لا سيما في ظل انتشار العملات الرقمية التي أصبحت سوقًا سوداء، وملاذًا لتحويل ما يتم الاستيلاء عليه عبر عمليات الاحتيال.

وأظهر التقرير، الذي نُشر في مطلع فبراير 2018، نموًا متسارعًا في خسائر الهجمات السايبرية؛ من 445 مليار دولار في العام 2014 إلى 600 مليار في 2017، مرجعًا ذلك لاستخدام منفّذي الجرائم الإلكترونية أساليب تكنولوجية حديثة، إضافة إلى تسهيل نشاط العملات الرقمية لأعمالهم، وتحويل الأموال.

مبلغ الـ600 مليار دولار الذي فقده الاقتصاد العالمي العام الماضي بفعل الهجمات السايبرية يعادل ضعف خسائر الولايات المتحدة من جراء 16 كارثة طبيعية شهدتها في 2017، وبلغت تكلفتها 306 مليارات دولار، وفق بيانات رسمية.

وتزيد خسائر الهاكرز في عام واحد فقط كثيرًا عمّا تكبّده الشرق الأوسط في خمس سنوات من نفقات بفعل الصراعات، والتي بلغت 348 مليار دولار، بحسب ما أعلنه "التحالف العسكري الإسلامي لمحاربة الإرهاب" (تقوده السعودية)، في نوفمبر الماضي.

وكما أن حروب السايبر ستتواصل فإن الخسائر الناجمة عنها أيضًا لن تتوقف، ووفق دراسة صدرت العام الماضي عن مؤسسة "أوبن ثينكينغ" (دولية مختصة بالتدريب)، فإنه من المتوقع أن تتسبب الهجمات الإلكترونية بخسارة الاقتصاد العالمي نحو 3 تريليونات دولار بحلول عام 2020، إذا لم تتخذ الحكومات التدابير اللازمة لمواجهتها.

الفصل الثالث عشر

الجيل الرابع من الحروب

(GW4) (Fourth-Generation Warfare) أو "الحرب اللا متماثلة"

هو الصراع الذي يتميز بعدم المركزية بين أسس، أو عناصر الدول المتحارَبة من قِبل دول أخرى. استخدم هذا المصطلح لأول مرة في عام 1989 من قبل فريق من المحللين الأمريكيين، من بينهم المحلل الأمريكي ويليام سترِگس ليند لوصف الحروب التي تعتمد على مبدأ اللا مركزية.

نبذة:

أطلق اسم حرب الجيل الرابع (GW4) على الحرب على المنظمات الإرهابية حسب المفهوم الأمريكي، والتي يكون طرفي الحرب فيها جيش نظامي لدولة ما مقابل لا دولة، أو عدو، أو خلايا خفية منتشرة في أنحاء العالم.

واختلف المحللون الاستراتيجيون، والعسكريون في تعريف أجيال الحروب، فبعضهم من يعرفها بـ:

حرب الجيل الأول: هي الحرب التقليدية بين دولتين لجيشين نظاميين،الخبير العسكري، والكاتب الأمريكي ويليام ليند يعرفها أنها حروب الحقبة من 1648 حتى 1860 حيث عرفت بالحروب التقليدية (بالإنجليزية: Conventional War) بين جيوش نظامية، وأرض معارك محددة بين جيشين يمثلون دول في حرب، ومواجهة مباشرة.

حرب الجيل الثاني: يعرفها البعض بحرب العصابات (بالإنجليزية: Guerilla War)، والتي كانت تدور في دول أمريكا اللاتينية، الخبير الأمريكي ويليام ليند يعرفها بالحرب الشبيهة بالجيل الأول من الحروب التقليدية، ولكن تم استخدام النيران، والدبابات، والطائرات بين العصابات، والأطراف المتنازعة.

حرب الجيل الثالث: يعرفه البعض بالحروب الوقائية، أو الاستباقية (بالإنجليزية: Preventive War) كالحرب على العراق مثلًا، ويعرفها الخبير الأمريكي ويليام ليند ويوصفها بأنها طوُرَت من قبل الألمان في الحرب العالمية الثانية، وسميت بحرب المناورات، وتميزت بالمرونة، والسرعة في الحركة، واستخدم فيها عنصر المفاجأة، وأيضًا الحرب وراء خطوط العدو.

حرب الجيل الرابع: اتفق الخبراء العسكريون بأن حرب الجيل الرابع هي حرب أمريكية صرفة طورت من قبل الجيش الأمريكي، وعرفوها بـ"الحرب اللا متماثلة" (بالإنجليزية: Asymmetric Warfare) حيث وجد الجيش الأمريكي نفسه يحارب لا دولة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، بمعنى آخر محاربة تنظيمات منتشرة حول العالم، وهذه التنظيمات محترفة، وتملك إمكانيات ممتازة، ولها خلايا خفية تنشط لضرب مصالح الدول الأخرى الحيوية كالمرافق: الاقتصادية، وخطوط المواصلات لمحاولة إضعافها أمام الرأي العام الداخلي بحجة إرغامها على الانسحاب من التدخل في مناطق نفوذها، ومثال على هذه التنظيمات: القاعدة... إلخ.

وتستخدم فيها وسائل الإعلام الجديد، والتقليدي، ومنظمات المجتمع المدني، والمعارضة، والعمليات الاستخبارية، والنفوذ الأمريكي في أي بلد لخدمة مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وسياسات البنتاغون.

التعريف الموجز:

الحرب الجديدة حسب تعريف أول من أطلقها في محاضرة علنية، وهو البروفيسور الأمريكي "ماكس مايوراينگ" في معهد الأمن القومي الإسرائيلي حيث عرفها بنقاط مختصرة كالآتي:

الجيل الرابع من الحروب الحرب بالإكراه، إفشال الدولة، زعزعة استقرار الدولة ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية الجيل الرابع من الحروب.

عناصر الحرب:

- **الإرهاب.**
- **قاعدة إرهابية غير وطنية، أو متعددة الجنسيات.**
- **حرب نفسية متطورة للغاية من خلال الإعلام، والتلاعب النفسي.**
- **تستخدم كل الضغوط المتاحة ـ السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والعسكرية.**
- **استخدام تكتيكات حروب العصابات، والتمرد.**

تعتمد الدراسات الإستراتيجية لتوصيف التطور الحاصل على الحروب منذ القرون السابقة، وحتى الآن، إطلاق مصطلح "الأجيال" للتمييز بين أدواتها، وإداراتها من جيل إلى آخر. وبحسب الخبراء فإن معاهدة "صلح ويستفاليا" عام 1648، وارتباطها بنشأة الدول القومية، وامتلاكها القوة، والأسلحة العسكرية، كانت بداية نشوء الحروب الحديثة، وذلك بحسب دراسة أصدرها مركز المستقبل للدراسات، والأبحاث المتقدمة في أبو ظبي، تحت عنوان "حروب الجيل الخامس... التحولات الرئيسة في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم".

أما ما وصلت إليه الحروب البشرية اليوم، التي تسمى حروب الجيل الخامس، فتعتمد ـ في الأساس ـ على خلق تناقضات ما بين الدولة، والمجتمع، باستغلال كافة الوسائل، لأحداث الخلل في العلاقة بينهما؛ إذ يقول الكاتب سمير فرج إن الجيل الخامس يعتمد في إستراتيجيته على احتلال العقول لا الأرض، وبعد احتلال العقول سيتكفل المحتل بالباقي، فهو يستخدم العنف غير المسلح، مستغلًا جماعات عقائدية مسلحة، وعصابات التهريب المنظمة، والتنظيمات الصغيرة المدربة، من أجل صنع حروب داخلية تتنوع ما بين اقتصادية، وسياسية، واجتماعية للدولة المستهدفة، وذلك لاستنزافها عن طريق مواجهتها لصراعات داخلية، بالتوازي مع مواجهة التهديدات الخارجية العنيفة.

ويعتمد صانعو حروب الجيل الخامس على استخدام التقنيات الحديثة، التي تتراوح ما بين القوة المسلحة، كالصواريخ المضادة للدروع، والعمليات الانتحارية، ونصب الكمائن، والأعمال الإرهابية، أو القوة غير المسلحة، التي يكون فيها العدو فاعلًا بدون أن يظهر بشكل مباشر. كما

تشمل التقنيات الإرهاب الإلكتروني، وتهييج الشعوب، لجعلها لاعبًا أساسيًا، يجري تحريكها بحسب أهداف سياسية لدول أخرى.

ويرى بعض الخبراء أن من بين التقنيات أيضًا استحداث حالة فوضى في مواقع الصراع بين أطراف محلية، تتيح للدول الكبرى التدخل، وتوجيهها لمصلحتها. ومن التطبيقات العملية لهذه النظرية ما حدث في العراق عام 2003. وثمة وجهة نظر ترى أنّ "الربيع العربي" هو أحد هذه التطبيقات. كما يرى الخبراء أن إغراق المناطق المستهدفة بالمخدرات هو أحد الأسلحة الفعالة لحروب الجيل الخامس.

أسباب ظهور حروب الجيل الرابع، والخامس:

أولًا: تطور وسائل الإعلام، التي تعد من أهم الوسائل المستخدمة في حروب الجيل الخامس، إذ تم استغلالها في إدارة العلاقات بين الدول، وصناعة رأي عام معارض للسلطة السياسية في الدولة، وذلك لإضعاف قدرتها على الضبط، والتحكم في العلاقة بين المجتمع، والدولة.

وثانيًا: إن تكلفة استخدام القوة العسكرية عالية جدًا، وتعمل على استنزاف القوة الاقتصادية للدول، لذلك عمدت هذه الدول إلى خلق ما يسمى "الحرب الأقل تكلفة".

أخيرًا: قدرة الدول على عقد تحالفات، أو ما يعرف بمفهوم "التشبيك" مع كيانات، وتنظيمات، وأفراد غير حكومية لممارسة سلوك عدواني، مستغلة بذلك التطور الحاصل في دور هذه الكيانات في العلاقات الدولية، ومبتعدة بذلك عن مفهوم التحالفات التقليدي.

تطور الحروب عبر الأجيال:

على مر الأجيال تبلورت الحروب، وتطورت بناءً على تطور النظام الدولي، ونتيجة التحول الحاصل في العلاقات الدولية. وبناءً على ذلك اختلفت كيفية توظيف القوة العسكرية، أو العدوانية في إدارة الحروب.

فحروب الجيل الأول: التي بدأت منذ توقيع معاهدة وستفاليا 1648-1860، استخدمت فيها الدول البنادق، والمدافع البدائية لشن حروبها، واعتمدت على شن معارك بين جيشين متناحرين في

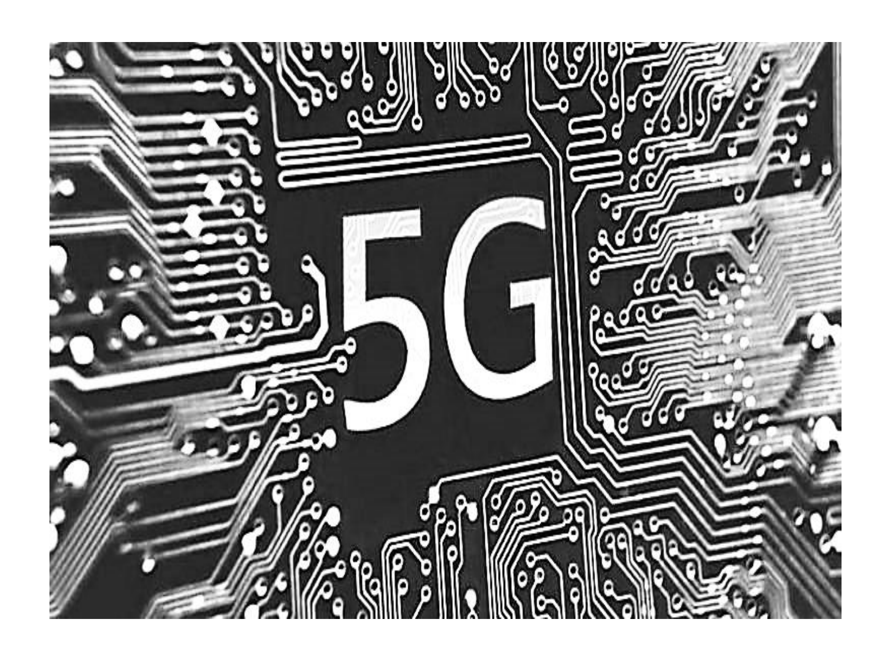
أرض محددة، وبتكتيكات حربية تقليدية، وبهذا دخلت حروب القرون الـ17 و الـ18 والـ19 ضمن هذا التعريف. ومن أمثلتها الحروب النابليونية في أوروبا 1803-1815.

أما الجيل الثاني: فظهر خلال الحرب العالمية الأولى بظهور المعدات العسكرية الحديثة كالمدرعات الثقيلة، والطائرات المقاتلة، وتميزها بشن ضربات استباقية بالمدفعيات، والطائرات، بهدف أحداث خسائر كبرى للعدو، وما ساعدها في ذلك هو قوة الاقتصاد الصناعي للدول الأوروبية لإنتاج عتاد عسكري بكميات ضخمة.

في حين أن الجيل الثالث اعتمد بشكل أساسي على التطور التكنولوجي للقوة العسكرية، وخصوصًا ظهور الدبابات، وتطور صناعة الطائرات المقاتلة، ونظم الاتصالات، والتي أتاحت القيام بمناورات عسكرية لم تكن موجودة من قبل، هذا بالإضافة إلى الاعتماد على عنصر السرعة، والمفاجأة، وهو ما عرف "بالحرب المتحركة"، والتلاعب العقلي بالخصم، لتحطيمه من الداخل، وهو ما اعتمد من القوات الألمانية خلال الحربين العالميتين، وفي الحرب العربية الإسرائيلية 1967.

أما حرب الجيل الرابع فاعتمدت على أسلوب حرب العصابات، فبحسب المحلل السياسي الأمريكي "بيل ليند" يعتمد الجيل الرابع على الجماعات، والعصابات الإرهابية [مثل داعش، والقاعدة، وطالبان]؛ لشن عمليات نوعية، دون الحاجة إلى أرض معركة تقليدية كما في السابق، ولا لنقاط التقاء بين جيشين متصارعين.

وهذا يعني أن الجيلين الرابع، والخامس من الحروب يختلفان كليًا عن الأجيال السابقة بعدم اعتمادهما على ساحة قتال لشن هجمات فيها.


5G

الفصل الرابع عشر
الجيل الخامس من الحروب (التفكيك الساخن)

الأجيال الجديدة من الحروب... هي حرب يتم فيها احتلال عقلك لا احتلال أرضك... وبعد أن يتم احتلالك ستتكفل أنت بالباقى... ستجد نفسك في ميدان معركة لا تعرف فيها خصمك الحقيقى... إنها حرب ستطلق فيها النار في كل اتجاه... لكن يصعب عليك أن تصيب عدوك الحقيقي... وبالأحرى هي حرب من يخوضها يكون قد اتخذ قرار بقتل كل شيء يحبه...إنها حرب تستخدمك أنت في قتل ذاتك، وروحك... وفي النهاية ستجد نفسك كنت تحارب بالوكالة لصالح رجل جالس في مكان آخر اختار أن يخرج مشهد سينمائي جديد لفنون الانتحار الجماعى...حرب المنتصر فيها لم يدخلها، ولم ينزل الميدان، وذلك بالظبط التوصيف الطبيعى لحالة حاملي السلاح في ميدان الدماء الموجود بطول المنطقة، وعرضها.

والجيل الخامس من الحروب، أو ما يسمى الجيل الرابع المتقدم، يستخدم العنف المسلح عبر مجموعات عقائدية مسلحة، وعصابات التهريب المنظم، والتنظيمات الصغيرة المدربة صاحبة الأدوار الممنهجة، حيث يستخدم فيها من تم تجنيدهم بالتكنولوجيا المتقدمة... والسبل الحديثة لحشد الدعم المعنوي، والشعبي... والاختلاف بينها، وبين الجيل الرابع هو أن الجيل الرابع كان يعتمد على تقنيات حرب اللاعنف، لكن الجيل الخامس يستخدم العنف بشكل رئيسي معتمدًا على التقنيات الحديثة، ويُقصد بالتكنولوجيا المتقدمة الأسلحة المتطورة، والتي استخدمت ضمن تكتيكات حرب العصابات، مثل: الصواريخ المضادة للدروع، والطائرات، والعمليات الانتحارية، ونصب الكمائن، والأعمال الإرهابية، ومهاجمة مدنيين، أو هجمات انتحارية من أجل تحقق الأهداف باستنزاف، وإرهاق الجيوش، وإرغامها علي الانسحاب من مواقع معينه، وفي الصين مثلًا تم استخدام هذه

التقنيات في مظاهرات حاملي السكاكين حيث ارتكب مهاجمون مسلحون بسكاكين، مجزرة حقيقية قتل فيها 30 شخصا في محطة للقطارات جنوب غرب الصين، في عملية لا سابق لها، و"إرهابية" على حد وصف الشرطة الصينية.

هذا الجيل الجديد من الحروب الذى تواجهه مصر، والمنطقة العربية الآن سيتم فيه استخدام عمليات مركبة تتحالف فيها تقنيات حرب اللاعنف، والميليشيات المسلحة، والاختراق السياسي، وأنماط من العنف المجتمعي. والجزء الجديد في حروب الجيل الخامس: هو صناعة تكتلات صراعية على سبيل المثال صناعة حروب داخلية سياسية، واقتصادية اجتماعية من داخل الدولة المستهدفة، واستنزاف هذه الدولة التي تعانى من صراعات داخلية بمواجهة تهديدات خارجية عنيفة.

ولأن التفكيك الساخن يقوم على العنف بأشكاله المتعدده، فصاحب المخطط لم ينسى أن يصنع لنا العدو السوبر، والذى يتم فيه اجبار الدول التي تشترك في مصالح أو التي لديها القليل من القواسم المشتركة ضد عدو مشترك... حيث يتم صناعة "العدو السوبر" مثل: داعش على سبيل المثال، وبناء، وشيطنة العدو حتى تستطيع أمريكا اختراق دول تخطط للاستيلاء عليها بالاستنزاف العسكرى، والأمنى خارجها...

خاصة، وأن محاربه تنظيم ليس له قوام رئيسى أشبه بالدخول في حرب أشباح، وهذا هو المطلوب صناعة حرب استنزاف لطاقة الدولة الرئيسية، وتشتيت تركيزها في أنماط من الحروب الصغيرة، والمتوسطة داخليا، وخارجيا.

في مصر مثلا ستسعى أمريكا إلى استبدال شعارات الديمقراطية، وحقوق الإنسان، بحقوق الأقليات، وشعارات الفتنة الطائفية، وستبدأ الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا في الترويج لشخصيات سياسية ذات طابع طائفي خلال الأيام القادمة، بالإضافة إلى العمل على إنضاج تجارب الميليشيات في ليبيا، والاعتماد على العائلات، والقبائل في إنشاء حالة صراع داخلية تارة بينها، وبين بعضها، وتارة بينها، وبين الدولة، بالتزامن مع، وهو نشر أنماط من حروب اللاعنف بالتتابع بهدف تشتيت تركيز الدولة، وفي الوقت نفسه البدء في تشكيل ميليشيات منظمة تستهدف تحويل النمط السلمى في المظاهرات إلى نمط عنيف، وبالتزامن مع المظاهرات، والاعتصامات في العاصمة، أو في المدن الكبرى، يتم طرق أبواب المناطق الحدودية بقصف من الميليشيات

الإرهابية، ويصاحب هذا حرب بين القبائل، والعائلات في الصعيد بهدف تشتيت التركيز, وذلك بهدف تشتيت جهود الدولة لإنقاذ الموقف.

كل ذلك بالتزامن مع حرب نفسية يتم فيها الإعلان عن سقوط مناطق حدودية، أو مدن حدودية بهدف التأثير في معنويات الجماهير، وهنا يأتي الدور الأمريكي وفق مبدأ الشراكة المتساوية لإدخال الدولة المصرية في حالة تفاوض مع هذه الميلشيات، مع محاولة تطبيق حظر جوى على سماء مصر، وهذا جزء من سيناريوهات الإدارة الأمريكية الحالية في كسر إرادة مصر.

"حروب الجيل الخامس": شبكات التواصل، والتجنيد الإلكتروني والـ «درون».

إنها تحدث الآن. وتجري معاركها بخفاء أحياناً، وبضجيج يصم الآذان في معظم الأحيان، على رغم أن أحدًا لا يسميها باسمها مباشرة. أحيانًا، تصدر تصريحات من قادة «حلف الناتو»، والجيش الأمريكي، ونظرائهم في روسيا، والصين، عن معارك سيبرانية لا تتوقف عبر الإنترنت، وتديرها مراكز قيادة باتت مستقلة بجيوشها، خصوصًا في الولايات المتحدة، وروسيا، والصين.

ولكن، يجب التنبّه إلى أن الحروب السيبرانية Cyber Wars التي لم يتوقف الحديث عنها منذ مطلع الألفية الميلادية الثالثة، ليست سوى جزء من «حروب الجيل الخامس». ولم تكتمل معالم تلك الحروب إلا بعد النقاشات عن التدخل الروسي الإلكتروني في انتخابات الرئاسة الأمريكية في 2016 التي أوصلت الرئيس الشعبوي دونالد ترامب إلى سُدّة الرئاسة، وهي نقاشات سرعان ما كثفت النقاش علانية في «الحروب الهجينة» Hybrid Wars وصولًا إلى «قمة هلسنكي» في تموز (يوليو) 2018 التي مثلت محطة غير متوقعة في حروب الجيل الخامس.

وفي الاستعادة، برز بُعد مهم في تلك الحروب المعاصرة، بعيد دخول ترامب البيت الأبيض. وفي عام 2017، وقبيل مغادرته منصبه وزيرًا للخارجية، كشف ريكس تيلرسون عن صراع مباشر بين الأقطاب الأساسيّين للنظام العالمي الراهن عبر تأكيده أن بلاده تتعرض لـ «حرب هجينة» من روسيا، فكان ذلك سابقة استراتيجية في عالم ما بعد الأحاديّة الأمريكيّة.

ولا تخطئ العين أنّ كلمات تيلرسون شفت آنذاك عن إقرار بهزيمة واشنطن في تلك الحرب الحديثة التي صارت تُعرّف أميركيًّا وعالميًا بأنّها خليط من حرب استخباريّة – إلكترونيّة، وتضليل

إعلامي واسع. وفي قول آخر، عبرت كلمات تيلرسون عن أن واقع الحروب الهجينة يمثّل جزءًا وبعدًا استراتيجيين في حروب الجيل الخامس.

وذكّرت كلمات تيلرسون التي لم تخف مرارة يعانيها من نطق بها، ببيان مشترك صدر في مطلع 2017 عن «وزارة الأمن الوطني»، و«مكتب الاستخبارات الوطنيّة» الناطق بلسان مجموع مؤسّسات، ووكالات الاستخبارات، حسم أن الحكومة الروسيّة تدخّلت في الانتخابات التي أوصلت دونالد ترامب إلى الرئاسة.

«يجب ألا يكون أدنى لبس في ذلك: تدخّلت روسيا في انتخاباتنا... سيعودون في 2020، بل في 2018». تلك كانت كلمات جايمس كومي المدير السابق للـ «آف بي آي». وشكّلت آنذاك إقرارًا صريحًا بنجاح روسيا في الحرب الهجينة التي رافقت انتخابات الرئاسة الأخيرة، الأمر الذي ربما مهّد لتدخل أوسع في انتخابات الرئاسة المقبلة، أو انتخابات الكونغرس قبلها.

ولا يكاد يكف الإعلام الأمريكي، خصوصًا في معركته الطاحنة حاضرًا مع ترامب، عن استعادة تلك الجولة من الحروب المعاصرة.

دور لضربات الـ «هاكرز»:

هناك شقّان أساسيّان لتلك الحرب الروسيّة الهجينة، تمثّل أولّهما بوضوح في اختراق كومبيوتر «اللجنة الوطنيّة للحزب الديموقراطي»، والاستيلاء على رسائل تتعلق بالمرشحة هيلاري كلينتون، وتمويلها من «مؤسّسة كلينتون» (يقودها زوجها السابق الرئيس بيل كلينتون)، وتواطؤ قيادة الحزب معها؛ لتكون مرشحة الحزب على حساب السيناتور بيرني ساندرز. وآنذاك، لعب تسريب تلك الرسائل دورًا كبيرًا في تأليب جمهور واسع فقد ثقته في عموم المؤسّسة السياسيّة المتمترسة في عمق الدولة، وحزبيها الكبيرين، وأساليب عملهما التي تحوطها شبهة الفساد دومًا، إضافة إلى إبعاد شريحة شابة قلقة من التفاوت الاجتماعي، وكانت ملتفة حول ساندرز.

في ذلك المنحى، من المستطاع القول أن الحرب الهجينة تشمل هجمات، واختراقات «هاكرز»، بالتالي هي جزء من حروب الجيل الخامس.

في بُعدٍ متّصل، استندت الحرب الروسية الهجينة، وفق ما بات شبه مجمع عليه، إلى تلاعب واسع بالرأي العام، شكّلت الـ «سوشال ميديا» أداته الأساسيّة. وبات معروفًا أن روسيا عمدت إلى التلاعب بشرائح واسعة، وساخطة من الرأي العام عبر استغلال الهوامش الواسعة لحريّة الرأي (المبدأ الأعلى في الدستور الأمريكي)، خصوصًا في مواقع الـ «سوشال ميديا» كـ «فايسبوك»، و«تويتر» وشركات الخليوي، والبريد الإلكتروني، بأساليب تضمنت شراء إعلانات سياسيّة ظهرت في تواقيت مدروسة، ونشر رسائل، وتدوينات، وتغريدات ضربت على أعصاب النزاع السياسي الحاد في البلاد عبر معلومات مغلوطة، وأخبار مفبركة تتمحوّر حول كراهية الأجانب، والحساسيّة من المسلمين (هويّة أوباما مثلًا)، ورفض العولمة بوصفها إفقارًا لأمريكا، وإثراءً لـ «الخارج»، والأجانب، وغيرها.

وبرزت في سياق تلك الحرب الروسية الهجينة، سابقة في جعل الإعلام، وحرية الرأي جزءًا مباشرًا من الحرب، بعد أزمنة طويلة من كونهما ملحقًا بالمعارك، وهو أمر نتج من كون الـ «سوشال ميديا» تتيح وصولًا مباشرًا، وفوريًا إلى شرائح واسعة من العقول المطلوب التأثير فيها. وفي اختصار، كرّس التدخل الروسي الإلكتروني مفهومًا أساسيًا في حروب الجيل الخامس، قوامه أن الإعلام بأنواعه كلها، والتأثير في الرأي العام، هو مكوّن رئيسي فيها.

والأرجح أنّ من تابع المسارات السياسية، والإعلامية التي رافقت «قمة هلسنكي» بين الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب، والروسي فلاديمير بوتين، لاحظ الحضور الكثيف لظلال حروب الجيل الخامس فيها، بل إنها زادت حضورًا مع تصاعد حدّة النقاش الداخلي الأمريكي بعدها، وصولًا إلى حاضر الحرب الجارية بين ترامب، والصحافة الأمريكية.

سلاح الـ «سوشال ميديا»:

في قول آخر، توضح تلك المعطيات أن الحرب على القلوب، والعقول (خصوصًا بالوسائط الإلكترونية كالـ «سوشال ميديا») صارت مندمجة تمامًا مع الحروب الإلكترونية (ضربات الـ «هاكرز»، وحروب الفيروسات الرقمية، وسواها)، والمناوشات بطائرات الـ «درون»، إضافة إلى أشكال مألوفة نسبيًّا كالصراع بين الجيوش، والمجموعات المسلحة التي تمتد حاضرًا من أوكرانيا إلى سورية، مرورًا بنيجيريا، ومالي، وليبيا، وأفغانستان، وغيرها.

وفي كتابه «حروب الجيل الخامس»، الصادر حديثًا عن «مركز المستقبل للأبحاث، والدراسات المتقدمة» في أبو ظبي، يذكر الباحث شادي عبد الوهاب أن ذلك المصطلح ظهر نتيجة عوامل عدّة تشمل تراجع احتكار الدولة استخدام القوة المسلحة، وظهور التنظيمات الإرهابية، وعصابات الجريمة المنظمة التي تعتمد على القيادة الكاريزمية أكثر من اعتمادها على العوامل المؤسسيّة، فضلًا عن اعتمادها على «الكيانات» الأيديولوجيات العابرة للحدود القوميّة في بعض الأحيان.

ولعل المثل الواضح عن ذلك برز في سيطرة تنظيم «داعش» على مساحات واسعة من سورية، والعراق، وحكمها بداية من عام 2014 (تحت مسمّى «دولة الخلافة»). واتّبعت حركة «بوكو حرام» في نيجيريا أسلوبًا مماثلًا في ذلك العام ذاته.

وتشمل عناصر تلك الحروب معطى التداخل بين أدواتها المتفاوتة نوعيًا. ويعني ذلك أنها تعتمد على زيادة الترابط بين المشكلات الاقتصادية، والتهديدات الأمنية المتأتية من الاعتماد المتبادل في الاقتصاد الدولي. وبذا، صارت إشكالات اقتصادية، مثل: انقطاع، أو وقف إنتاج السلع الأساسية، مصدر تهديد للأمنين الوطني، والدولي.

وتأتي في السياق عينه، ظاهرة صعود الولاءات البديلة، إذ أدت العولمة، وتكنولوجيا الاتصالات، والمعلومات إلى زيادة ميل الأفراد إلى نقل ولائهم من الدولة إلى قضايا معينة. وصار كثيرون منهم أكثر ارتباطًا بما يثار على شبكة الإنترنت، على حساب الاهتمام بالمشكلات الحقيقية لمجتمعاتهم. ويتمثل مصدر التهديد في تلك الظاهرة من ظهور ميول لدى بعض الأفراد إلى استسهال التطرف، واستخدام العنف وسيلة للتعبير عن الرأي، حتى من دون التقدير المنطقي لعواقب أفعاله. ألا يسلط ذلك أيضًا بعض الضوء على ظاهرة التجنيد الإلكتروني لإرهابيين إسلامويين عبر الإنترنت؟

حروب الجيل الخامس خطر يهدد العرب.. ساهمت في تقسيم السودان، وترويج شائعات انتشار الأمراض الوبائية مثل: إنفلونزا الطيور، وجنون البقر... "الجيل الرابع" مستمرة في ليبيا، والعراق، وتعتمد على إنهاك الجيوش النظامية.

في ظل الصراعات السياسية التى يشهدها الواقع العربى بوجه عام، وانعكاس ذلك على الداخل المصرى، ظهر مصطلحا حروب الجيل الرابع، والخامس، للإشارة إلى محاولات الدول الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، التلاعب بدول الشرق الأوسط، وتحقيق مخططها لتغير خارطته إلى «شرق أوسط جديد»، باستخدام طرق جديدة لا تشمل الاحتلال الفعلى للأراضي، والمواجهات المباشرة مع الجيوش النظامية، وإنما تعتمد في الأساس على حروب المعلومات، ونشر الشائعات، إضافة إلى استخدام الجماعات المأجورة مثل «داعش»، وأنصار بيت المقدس لتنفيذ عمليات نوعية على الأرض.

وعلى الرغم من أن مصطلحي حروب الجيل الرابع، والخامس، هما في الأساس مصطلحات عسكرية، فإن الإعلام المصرى بدأ تداولهما خلال الأعوام الأخيرة، للدلالة على وجود مؤامرة من نوع ما لإفشال الدولة المصرية، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن تعريف المصطلحين السابقين شهد كثيرا من المغالطة، والتشويش، وهو الأمر الذى استوجب العودة إلى المصادر الأمريكية، حيث نشأ المصطلحان السابقان.

الجيل الأول:

على شبكة الإنترنت يوجد عدد لا يحصى من المصادر التى تفسر نظرية حروب الأجيال، لكن أغلبها يعود إلى اجتهادات شخصية لمحللين سياسيين، ومحققين، وبخاصة في المصادر باللغة العربية، فيما تم العثور على كتب معدودة، أهمها كتاب أمريكى على موقع «أمازون» بعنوان «الدليل المختصر لحروب الجيل الخامس».

وإذا استسلمنا لفكرة تقسيم أجيال الحروب إلى خمسة أجيال، فسنجد أن حروب الجيل الأول في التاريخ الحديث، تنحصر في الفترة الزمنية ما بين 1648 و1860، وهي الحروب التقليدية المتعارف عليها، والتى يتم خلالها مواجهة بين الجيشين المتناحرين في أرض معركة محددة، بتكتيكات حربية تقليدية، وبذلك تدخل حروب القرون الـ17 والـ18 والـ19، ضمن ذلك التعريف.

وقد تزامنت حروب الجيل الأول تلك مع احتلال أغلب الدول العربية، عقب المواجهات بين الدول الاستعمارية، والدولة العثمانية التي كانت تلقب في آخر أيامها برجل أوروبا المريض، فقد كان الاستعمار ينهش في الجسد العربى طوال القرون الثلاثة السابق ذكرها، ويمنح خيرات أراضيه

للدول العظمى، وبخاصة بريطانيا، الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، والتي نجحت في احتلال كل من مصر، واليمن، والسودان، والصومال، والعراق، وفلسطين، والأردن، واليمن.

أما حروب الجيلين الثاني، والثالث، فقد ظهرت في فترات زمنية متقاربة، خلال الحرب العالمية الأولى، والتى جرت خلال الفترة من عام 1914، إلى عام 1918، حيث تعرف حروب الجيل الثانى بذلك النوع من الحروب الذى يتميز بضربات استباقية بالمدفعيات، والطائرات، بهدف إحداث أكبر نسبة خسائر في صفوف جيش العدو، ليأتى بعد ذلك دور سلاح المشاة، الذى يسهل عليه تحقيق انتصار خلال نقاط التقاء الجيشين في أرض المعركة، ويرجع الفضل لدولة فرنسا، في ابتكار ذلك الجيل من الحروب.

أما حروب الجيل الثالث، فقد طورت بواسطة القوات الألمانية في الحرب العالمية الأولى أيضا، ولا تعتمد حروب الجيل الثالث على قوة السلاح، بقدر ما تعتمد على عناصر السرعة، والمفاجأة، والتلاعب العقلى بالخصم، والسعي للوصول إلى عمق العدو، وتحطيمه من الداخل، وزرع الجواسيس، بدلا من الاشتباك، والتدمير، ولم تؤد حروب الجيل الثالث إلى تغيير التكتيكات الحربية فقط، بل هدفت إلى تغيير الثقافة العسكرية كذلك، حيث باتت المبادرات الفردية أهم من الطاعة العمياء، وتنفيذ الأوامر.

حرب العصابات:

وخلال عام 1989، وبينما كان حائط برلين يسقط بعد أربعين عاما من تقسيمه لدولة ألمانيا، كتب «بيل ليند»، المحلل السياسى الأمريكى، مقالة بعنوان «تغير أوجه الحرب إلى حروب الجيل الرابع»، موضحا أنه بينما كانت الحروب في القرون السابقة تعتمد على الجيش، والعتاد، والخطط العسكرية المحكمة، فإن الحروب المقبلة ستعتمد على جماعات إرهابية، وعصابات، وعمليات نوعية، لا تحتاج إلى أرض المعارك التقليدية، ولا لنقاط التقاء الجيشين المتصارعين.

وللتأكيد على وجهة النظر تلك، أورد «بيل ليند» تقسيمات محددة للحروب خلال القرون الماضية، وأكد أن هناك أربعة أجيال من الحروب، وأن كل جيل منها، كان يهزم الجيل الذى سبقه؛ بسبب تطور تكتيكاته، والتي تتزامن مع التطور التكنولوجى، وبينما كانت الأجيال الثلاث الأولى من

الحروب، تعتمد على ساحات المعارك في البلدان المتناحرة، باتت حروب الجيل الرابع لا تحتاج إلى ساحات قتال.

في عام 2006، كتب «جون روب»، الطيار السابق في وحدات العمليات الخاصة بالجيش الأمريكى، مقالا حول الفرق بين حروب الجيل الرابع، وحرب العصابات التقليدية، والتي حققت نجاحا في مواجهة الجيوش النظامية، وبخاصة في دول أمريكا الجنوبية.

يقول «روب»، إنه على السطح نجد أن حروب الجيل الرابع تتشابه مع خصائص حروب العصابات التقليدية، المعروفة من حيث التركيز على تشتيت الخصم، وإنهاك قواه، والقدرة على التكيف مع الأوضاع على الأرض، مهما كانت سيئة، مع إمكانية تلقى الإمدادات الحربية بشكل غير مركزى، إلا أن حروب الجيل الرابع تركز أيضا على العامل الثقافي، والمعرفي بنقاط قوة العدو، لتحويلها إلى نقاط ضعف يسهل مهاجمتها، والتسبب في خسائر فادحة، مثال على ذلك أحداث الـ11 من سبتمبر، حين تم استخدام أحد رموز القوة الأمريكية، وهما برجا التجارة العالميان، في ضرب الدولة نفسها بتفجيرهما بطرق غير تقليدية، وإحداث خسائر فادحة.

ويذكر المحللون أن حروب الجيل الرابع توصف بأنها طويلة الأمد، ويمكن أن تمتد إلى أجيال، حيث تتعمد الإضعاف المستمر للعدو باستخدام كل وسائل الضغط المتاحة، من حصار اقتصادي، وضغط دولى، وإشاعات، وتمويل لجماعات ضغط، سواء كانت سياسية، أو مسلحة، وكل ذلك يحتاج إلى عدة سنوات، حتى تتم النتيجة المرجوة.

ويتطابق الطرح السابق مع ما حدث في العراق، وليبيا، وسوريا، وغيرها من الدول العربية، التي لم تغامر القوات الدولية بقصفها، قبل إبراز مدى خطورة الوضع بداخلها على الدول المحيطة، والمدنيين، ففي حالة العراق تم الترويج لوجود أسلحة دمار شامل، وهو الأمر الذي فشلت القوات الأمريكية الغازية في إثباته على الأرض.

غزو العراق:

وفي مقالة للكاتب الأمريكى «وليم لاند»، نشرت بتاريخ 2004، ذكر أنه كان من ضمن الخبراء العسكريين، الذين قاموا بتطوير نظرية حروب الجيل الرابع، والتي لمست أهميتها القوات الأمريكية، خلال حربها في أفغانستان، حين فشلت في اختراق البيئة الوعرة لجبال «تورا بورا»،

بسبب القصور المعرفي حول طبيعة البلاد، بينما وجهت لها القاعدة، وطالبان، ضربات موجعة من مخبئهم، دون أن يتعرضوا هم أنفسهم لإصابات تذكر.

وأضاف أن الغزو الثقافي لبلد ما في مرحلة من المراحل، يعد أصعب من الغزو العسكرى لنفس البلد، وضرب مثالا على ذلك بأن الولايات المتحدة الأمريكية، لم تستطع إخضاع العراق لسيطرتها، إلا بعد القبض على الرئيس العراقى صدام حسين، بطريقة مذلة، تظهر لمن يحارب في صفوفه، أن المقاومة صارت بلا جدوى.

وبرغم ظهور مصطلح حروب الجيل الخامس في الغرب منذ بداية القرن الواحد والعشرين، فإن المصطلح لم يتم تداوله في مصر، ولم يبرز بشكل واضح إلا خلال السنوات التى تلت قيام الثورة، في إشارة إلى محاولات عدد من الدول استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والدعاية الإعلامية؛ لنشر أخبار كاذبة عن الدولة المصرية، بهدف إسقاطها.

وخلال شهر يوليو الماضى، ذكر الرئيس عبد الفتاح السيسي المصطلح المشار إليه، خلال كلمة ألقاها أثناء زيارته لشمال سيناء، جاء فيها أن «مصر تتعرض الآن لما يسمى بحروب الجيل الخامس، والتي تستهدف هز إرادة المصريين، وزعزعة الاستقرار»، وأضاف أن «هذه الحروب تُستخدم فيها وسائل الاتصال، والمعلومات؛ لترويج معلومات مغلوطة، وتقديم صورة غير حقيقية عن مصر».

وقد أعطى الرئيس بكلمته السابقة مفهوما مبسطا؛ لحروب الجيل الخامس، التى ما زالت تلقى جدلا حول تعريفها لدى المحللين السياسيين، فهناك من يحصرها في كونها حرب المعلوماتية، والدعاية، والإعلام، والحروب التي لا تحتاج إلى احتكاك مباشر مع العدو في أرض المعركة، في حين يرى فيها البعض أنها الحروب التى تستخدم التكنولوجيا العسكرية الحديثة، في ضرب مواقع العدو كالطائرات بلا طيار، وغيرها، من الأسلحة التى لا تخلف أدنى خسائر بشرية من جهة المعتدى.

ويرى المحلل العسكري الأمريكي «رأى البرمان»، أن حرب الجيل الخامس تعتمد في الأساس على مهاجمة العدو من السماء، دون الاشتباك على الأرض، واستخدام خطط التلاعب الزماني، والمكاني، وإيهام العدو بأن أى مقاومة لا جدوى منها، وبالتالى يستسلم العدو دون قتال.

في حين ذكر المحقق «توماس برنت»، في تقرير له، نشر بمجلة التايمز الأمريكية، أن أهم ما يميز حروب الجيل الخامس القدرة على تعطيل دفاعات العدو، ووعيه بالخطر، وأنه خلال تلك الحروب، يمكن أن تستخدم الحرب البيولوجية أيضا، لإضعاف العدو، ومنعه من إنتاج غذائه، وأعطى مثالا على ذلك بما حدث خلال عام 2003، حين انتشر مرض جنون البقر، الذي أدى إلى إغلاق أسواق التصدير أمام الدول التي اكتشف على أرضها المرض، وإعدام آلاف الرؤوس الحاملة للمرض.

ويمكن تطبيق نفس المفهوم السابق على فيروس إنفلونزا الطيور، والذي يعده البعض من ضمن الحرب البيولوجية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تسببت في إعدام نسبة لا بأس بها من الثروة الداجنة في مصر، خلال السنوات العشر الماضية، الأمر الذى تسبب في إفقار المزارعين، ونشر الذعر بين المستهلكين، فضلا عن إغلاق أبواب التصدير.

الثورات الملونة:

وخلال شهر يوليو من العام الماضى، عقدت وزارة الدفاع الروسية مؤتمرا بعنوان «الجوانب العسكرية، والسياسية للأمن الأوروبى»، حيث تم استخدام مصطلح جديد وهو «الثورات الملونة»، بمفهوم يتفق مع حروب الجيل الخامس، كونها الاحتجاجات، والمظاهرات التي تتسبب في الإطاحة بالأنظمة القمعية، واستبدالها بأنظمة جديدة ديمقراطية، أو على الأقل غير معادية للأنظمة الغربية.

وأعطى الخبراء المشاركون في المؤتمر أمثلة على ذلك بالثورة التى حدثت في جورجيا عام 2003، والثورة البرتقالية في أوكرانيا، وكذلك ما حدث من ثورات الربيع العربى، ويعلل الجانب الروسي وضع الثورة الأوكرانية ضمن الثورات الملونة، بسبب التدخلات الأمريكية، والأوربية الواضحة، للإطاحة بالنظام الأوكرانى، والتي انتهت بالاستفتاء حول انفصال شبه جزيرة القرم، وضمها للجانب الروسي.

وهل كان انقسام السودان بعيدا عن مفهوم حروب الجيل الخامس؟ حيث استغلت الدول الغربية، النزعة الانفصالية لدى جماعات الجنوب، ودعمتها، حتى اضطر نظام البشير إلى الموافقة على استفتاء، انتهى بانفصال الشمال عن الجنوب، الأمر الذى تكرر في محاولات تقسيم دول

العراق، وليبيا، وسوريا، بطرق غير التقسيم الاستعمارى التقليدي، الذى شهدته المنطقة خلال القرنين الـ19، وتسبب في وضع حدود جغرافية بين الدولة الواحدة، كما حدث في بلاد الشام.

وعلى الرغم من الجدل الذي يثار بين الحين، والآخر حول ثورة 25 من يناير، فإن النظام الحالى يعترف بها كثورة شعبية، ولا يضعها ضمن مخططات حروب الجيل الخامس، بدليل إدراجها في الدستور، واعتبار تاريخ اندلاعها ضمن الاحتفالات، والأعياد الرسمية بالبلاد، وذكر الرئيس عبد الفتاح السيسي لها، خلال خطاباته السابقة.

ولكن المؤامرة تتمثل فيما تبع الثورة من فتن، وانتشار للعديد من المعلومات المغلوطة غير الموثقة، على شبكات التواصل الاجتماعى، ووسائل الإعلام، بهدف إحداث ردود أفعال سريعة غاضبة على المستوى المحلي، والدولي.

من أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث عند سقوط الطائرة الروسية داخل الأراضي المصرية، والاستنتاج السريع غير المبرر من قبل الإعلام البريطاني والأمريكي، بأن الطائرة تم إسقاطها بفعل إرهابي، وليس بسبب عطل فني بها، رغم إن اللجنة المسؤولة عن التحقيق حول أسباب سقوطها، لم تكن قد بدأت عملها بعد.

في السياق نفسه، نشرت جريدة «الإندبندنت»، تقريرا مطولا عن ضعف الإجراءات الأمنية في مطار شرم الشيخ للدلالة على وجود حادث إرهابى تسبب في إسقاط الطائرة الروسية، ودعمت الصحيفة التقرير بصور التقطها مراسل «بي بي سي» في مصر، لأحد موظفي «الخدمة السريعة» بمطار شرم الشيخ، وهو يتقاضى رسوم الخدمة المعمول بها بعدة مطارات عالمية، ومن بينها مطار دبي، وزعمت أنها تظهر رجال أمن يتقاضون «رشوة» لتسهيل مرور سياح أجانب، وتخطيهم الإجراءات الأمنية.

في السياق نفسه يعتبر نقل الإعلام الغربى لإعداد الجرحى، والشهداء من جيش المصري، وفي المعارك ضد الجماعات الإرهابية في سيناء، من قبل تلك الدعاية، فأعداد الخسائر المذكورة كثيرا ما تحمل نوعا من المبالغة، في ظل صعوبة وصول أى من وسائل الإعلام تلك إلى مناطق الصراع؛ بسبب انقطاع الطرق، وخطورة الأوضاع هناك.

ولكن كيف يمكن هزيمة العدو الخفي في حروب الجيل الخامس؟، سؤال أجاب عنه «دافيد اكس»، المراسل الحربي الأمريكي، في مقال له بنفس العنوان، مؤكدا أن الحل يأتى في المقام الأول في عدم الرد في المقام الأول، وعدم الدخول في معارك، وحروب معلوماتية، ومعرفية في المقابل، تمنع النظام من التركيز في الهدف الأهم، المتمثل في التطور، والتنمية الاقتصادية، ورفع مستوى معيشة المواطن، ومراعاة معايير حقوق الإنسان.

أصدر مركز المستقبل للأبحاث، والدراسات المتقدمة في أبو ظبي دراسة مهمة تحت عنوان (حروب الجيل الخامس) للدكتور شادي عبد الوهاب، وفيها يذكر أن مصطلح حروب الجيل الخامس ظهرت كنتيجة لعدة عوامل هي:

تراجع احتكار القوة:

ترتبط بداية الجيل الخامس من الحروب بتراجع احتكار الدولة؛ لاستخدام القوة المسلحة، وظهور عوامل فواعل مسلحة من غير الدولة قادرة على شن الحرب، مثل التنظيمات الإرهابية، وعصابات الجريمة المنظمة، وتعتمد تلك الجماعات على القيادة الكاريزمية أكثر من اعتمادها على العوامل المؤسسية، فضلا عن اعتمادها على الولايات الآيديولوجية العابرة للحدود القومية في بعض الأحيان، فلم تصبح الدولة فقط هي صاحبة قرار الحرب، بل أضحت جماعات محدودة العدد من الأفراد المتشابهين فكريا، قادرة على اتخاذ قرار خوض الحرب.

تدخل أدوات الحرب: تزايد الترابط بين المشكلات الاقتصادية، والتهديدات الأمنية نتيجة زيادة الاعتماد المتبادل في الاقتصاد الدولي الذي جعل من بعض القضايا الاقتصادية، مثل انقطاع، أو وقف إنتاج السلع الأساسية، مصدر تهديد الأمن الوطني، والدولي.

صعود الولاءات البديلة: أدت العولمة، وتكنولوجيا الاتصالات، والمعلومات إلى اتجاه بعض الأفراد لنقل ولائهم من الدولة إلى الولاء لقضايا معينة، وصار العديد منهم أكثر ارتباطًا بما تتم إثارته على شبكة الإنترنت، على حساب الاهتمام بالمشكلات الحقيقية لمجتمعاتهم، ويتمثل مصدر التهديد هنا في أن بعضهم أصبح مستعدًا للتطرف، واستخدام العنف كوسيلة للتعبير عن الرأي، حتى دون التقدير المنطقي لعواقب أفعاله.

إن مجمل هذه التحولات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية يشير إلى بروز أفراد، وجماعات صغيرة تزداد فاعليتهم؛ بسبب تطور أدوات الاتصالات، ويربطهم معًا دفاعهم عن قضية معينة بدلًا من الولاء لدولتهم، ومع توظيفهم للتكنولوجيا الحديثة، فإنهم أضحوا قادرين على توليد قوة مدمرة كانت تحتاج في السابق إلى موارد الدولة.

وتوصف حروب الجيل الخامس بأنها حروب الشبكات، والطائرات (Nets & Jets)، فشبكات المعلومات توفر المعلومات الأساسية عن المعدات، والمواد اللازمة للقيام بعمليات إرهابية، أو تخريبية، كما أنها تمثل وسيلة مهمة لتجنيد المتطوعين المستقبليين، أما الطائرات فسوف توفر الوسيلة الرخيصة للسفر، وتهريب الأسلحة.

تسارع التطورات التكنولوجية: أدت التطورات التكنولوجية، وخاصة في مجالات الذكاء الاصطناعي، و«التصنيع بالإضافة، وتكنولوجيا النانو»، إلى زيادة قدرة الفواعل المسلحة من غير الدول، والأفراد العاديين على امتلاك الأدوات اللازمة لشن الحروب، وعلى الرغم من أن هذه التقنيات التكنولوجية تكون مكلفة في بدايتها، فإنها مع مرور الوقت تصبح رخيصة، وتكون متاحة إتاحتها للاستخدامات التجارية على نطاق واسع، وهو ما يجعلها متوافرة في أيدي عدد كبير من الأشخاص، ويتم توظيفها في شن الحروب، وإحداث قدر كبير من الدمار.

ملامح حروب الجيل الخامس:

تعد حروب الجيل الخامس أكثر من مجرد تطور تقليدي لحروب الجيل الرابع، وأكثر تطورًا من أشكال التمرد، والإرهاب، فهي حرب بلا قيود تستخدم فيها الوسائل كافة لإجبار العدو على الرضوخ، ويتمثل أهمها في تأسيس تحالفات شبكية تضم الدول، والفواعل المسلحة من غير الدول تقوم على المصالح المشتركة بدلًا من الأهداف الآيديولوجية، أو الوطنية، ويمكن القول إن هذا النوع الأخطر من الحروب يتسم بأربع خصائص تتمثل في التالي:

انتشار المناطق الرمادية يقصد بالمناطق الرمادية التفاعلات التنافسية بين، وداخل الفواعل، من الدول، ومن غير الدول، والتي تقع في منطقة وسط بين ثنائية الحرب والسلام، وتتسم بوجود غموض حول طبيعة الصراع، والأطراف المنخرطة فيه، فضلاً عن عدم اليقين حيال السياسة المناسبة التي يجب اتباعها.

اتباع تكتيكات (الحرب الهجينة) يقصد بالحرب الهجينة تلك الصراعات التي تتضمن الجمع بين استخدام القوات المسلحة التقليدية، والقوات غير النظامية (مثل حركات التمرد، والجماعات الإرهابية)، والتي تشمل توظيف الفاعلين من الدول ومن غير الدول، والذين يسعون لتحقيق هدف سياسي مشترك.

تشكيل التحالفات الواسعة تضم التحالف في حروب الجيل الخامس أطرافا متنوعة، مثل: الدولة، والكيانات من دون الدولة، والكيانات العابرة للحدود القومية، والشبكات، والجماعات، والأفراد، مثل: الذئاب المنفردة التي يقوم فيها أشخاص فرادى بتنفيذ علميات إرهابية من دون الحاجة إلى الانضمام؛ لتنظيم إرهابي، ولا تلعب القوات المسلحة النظامية الدور الرئيسي في حروب الجيل الخامس، فالفواعل المسلحة من غير الدول.

مثل: الجماعات الإرهابية، وعصابات الجريمة المنظمة، ومنظمات المعارضة المسلحة، باتت تتصدر ساحات القتال، وهذا لا يعني أن الدول لا تقف خلف هذه الجماعات، أو تدعمها سواء بصورة مباشرة، أو غير مباشرة.

ولا ينفي ذلك أيضًا أن الدول قد تتدخل أحيانًا بصورة مباشرة في المناطق الصراعية إذا اقتضت الضرورة ذلك، وإن كان التدخل يأخذ بصورة أساسية استخدام القوات الخاصة.

ويرجع صعود أدوار الفاعلين المسلحين من غير الدول في الصراعات إلى أن الدول تجد صعوبة في استخدام القوة المسلحة التقليدية، نظرًا إلى الكلفة التي ستتحملها، كالإدانة، أو فرض العقوبات الاقتصادية، أو غيرها من الإجراءات في حين أن الأفراد، والفواعل المسلحة من غير الدول، وقد لا يتعرضون لمثل هذه التداعيات السلبية.

الفصل الخامس عشر

حروب الجيل السادس GW6، أو حروب تدار بالتحكم، والسيطرة عن بعد

مفهوم الجيل السادس من الحروب:

أن تصنيف "الجيل السادس" من الحروب كان أول من أطلقه روسيا باعتبارها ذلك النوع من الحروب الذي لا يعتمد على الاتصال...أو بمعنى آخر تدار كاملة عن بعد "no-contact warfare"... يشمل ذلك كل ما هو معني بالحرب سواء اكان أسلحة، أو إمكانيات، أو أفراد... بداية من الأسلحة النووية التكتيكية إلى إدارة الصراع الاقتصادي، والمعلوماتي إلى استهداف الأفراد أنفسهم عن بعد... سواء أكانوا فرادي، أو مجموعات...

وقد صاغ مصطلح "الجيل السادس الحرب" لأول مرة الميجر جنرال فلاديمير سليبتشينكو لاستخدام أنظمة تسليح عالية الدقة التي يمكن أن تجعل من الجيوش التقليدية أمور عفا عليها الزمن... وقد تجلى ذلك باستخدام الأسلحة "الذكية" من قبل الولايات المتحدة في عاصفة الصحراء في يناير 1991 عقب غزو الرئيس العراقي صدام حسين للكويت... وعام 2003م والحرب في أفغانستان، وفي يوغوسلافيا عام 1999م...أي أن الدول تحارب من خلال نظم، وليس من خلال جيوش...

والأسلحة الذكية تشمل أمور متعددة منها على سبيل المثل لا الحصر الصاروخ القابل للتوجيه عن بعد، والقنبلة الذكية المجهزة للتوجيه بالليزر، أو نظام إرشاد عبر الأقمار الاصطناعية، و نظم الدفاع الصاروخي، أوالأسلحة الذكية التي تعتمد على التوجيه الذاتي، أو الطائرات بدون طيار، أو الألغام التي يتم تفعيلها، أو تعطيلها تلقائيا عبر الأقمار الصناعية، وجمع المعلومات

الاستخبارية، أو باستغلال النظام العالمي لسواتل الملاحة...وكل ما يمكن استهدافه عبر الكمبيوتر او الاقمار الصناعية، أو غيرها....إلخ.

ناهينا بالطبع عن استخدام كل ما هو في الطبيعة كسلاح عن بعد كالأسلحة التكتونية بما فيها هارب، والكيمتريل، و"الصوت الصامت" والحروب البيولوجية بكافة أنواعها، وكذلك التراكب، والتعاون بين كل منهم.

فمثلا تم استخدام الكيمتريل في حرب العراق كما تم دمج فيروسات مخلقة في الكيمتريل الذي ألقى على ساحات القتال قبل المعركة، ومنها ما تسبب في ما عرف ب"مرض الخليج" فيما بعد.

وكذلك الصوت الخفيض تم تسليطه على الجنود، والأفراد في حرب العراق مما أدى للسيطرة، وعمل على استسلام الآلاف قبل الدخول في الضربات العسكرية، كما تم استخدام هارب منذ سنوات طويلة، وبقدراته التقليدية من السيطرة عن بعد إلى تفعيل الكوارث الطبيعية، إلى استهداف، وتعطيل منشآت بعينها.

ساعد على ذلك التقدم الأمريكي الأخير في التكنولوجيا التي تسمح للولايات المتحدة بادارة حرب في نصف الكرة الآخر من العالم.

ومن أهم مظاهر GW6 هو التجنيد الكامل لشبكة الاتصالات العالمية، والنظم المعلوماتية سواء باستهداف منشآت الدول، ونظمها العسكرية، أو المؤسسات والأفراد.

حيث أن مجال GW6 يستند إلى الإنترنت، وصناعة الإرهاب، والعنف بواسطتها في العالم الحقيقي!

حيث بات من الممكن صناعة تشكيلات عصابية عالمية تدار من خلال الشبكة، وحتى سرقة الهوية، والاحتيال، والتسبب في تريليونات من الدولارات من الخسائر، والجمع بين شبكة الإنترنت مع الشبكات الإرهابية، وإدارة حروب كاملة عن بعد.

ويضاف لذلك الدخول على الهواتف الأرضية، أو الخلوية، والكمبيوترات الخاصة، والتلفزيون الكابلي، وأجهزة الريسيفر، وتقريبا كافة الأجهزة المنزلية.

وبالطبع كل بند فيما تحدثنا عنه يشمل تفاصيل لا حصر لها، سواء على المستوى التسليحي كالصواريخ العابرة للقارات ذات الرؤوس القادرة على الانخراط في المناورات الكاملة حتى للمرحلة النهائية، وأسلحة تفوق سرعتها سرعة الصوت مع الرؤوس الحربية التقليدية المتقدمة، والأسلحة الميكروية، وأسلحة البلازما، والقنابل الكهرومغناطيسية، والقدرات الفائقة للأقمار الصناعية الحديثة.

وبخاصة منظومة "الجن الفضائي" التي تحدثنا عنها في السابق، والتي تشتمل على حوالي النصف مليون قمر صناعي صغير نسبيا تم إطلاقها منذ سنوات قليلة في مدارات حول الأرض بعيدة عن المدارات الاعتيادية سواء لأقمار التجسس، أو للأقمار الخدمية، وتشتمل تلك المنظومة الحديثة على قدرات عالية الدقة سواء للتجسس، أو للاستهداف، أو للتعاون مع غيرها من المنظومات التسليحية الفاعلة عن بعد.

ولها العديد من الأهداف الهامة غير مهمة التجسس في حروب الجيل السادس، منها أنها مزودة بأجهزة MMG الخاصة بمسح خريطة النشاطات المغناطيسية للعقل، والجسم البشري. مما يعطيها مزايا عالية في استهداف الأفراد، وإمكانيات عالية للتحكم فيما عرف بشرائح التحكم البشرية RFID، والتي تم بالفعل بعد الحملات الترويجية تم زرعها في أكثر من ملياري مواطن "طواعية" غالبيتهم من أمريكا التي تنوي تعميمها حول العالم!!...

كما أن منظومة الجن الفضائي تتعاون أيضا مع سلاح "هارب"؛ لضمان قدرات متطورة من التحكم سواء لإحداث الظواهر، أو الكوارث الطبيعية المصنعة، أو لاستهداف الأفراد بالموجات الكهرومغناطيسية.. كما أن تلك الأقمار تشترك مع منظومة "إيشلون" للتجسس حول العالم، وغيرها من مشاريع القرصنة الحديثة بأنواعها المختلفة، ومنها القرصنة البيولوجية Bio-Hack التي شرحناها بالتفصيل في السابق.

تلك الأقمار لها دور أساسي مستقبلي في أحكام التعامل مع أجهزة العرض الفضائي المعدة؛ لتنفيذ خطوات مشروع "الشعاع الأزرق"، وخديعة "الغزو الفضائي".

ولا يخفي عنا بهذا الصدد الاشتراك أيضا مع الأنواع المتطورة من "الكيمتريل"، وخاصة بعد دمج الريبوتات النانوية Nano-Ropots في الأنواع الحديثة من الكيمتريل.

وإذا كنا نتحدث عن حروب الجيل السادس GW6 بوصفها حروب تقاد، وتفعل أدواتها، ويتم التحكم بها عن بعد، فلابد أن نلاحظ أن أخطر ما بها هو استهداف الإنسان، وعقله، وجسده، واستغلال كل ما في الطبيعة حوله كسلاح يدار، ويسيطر عليه من مسافات بعيدة، سواء استغلال الهواء كسلاح، أو مظاهر الطبيعة التي يتم تصنيعها، أو حتى مشاريع "السايبورج"، وغيرها من المشاريع المتطورة التي لم تستهدف فقط إلحاق أجزاء مصنعة بالجسد البشري. بل استغلال الحشرات، والطيور، والأسماك، وغيرها من الكائنات كأدوات للتجسس، وإلحاق الضرر عن بعد.

كما تناولنا ذلك أيضا بالتفصيل، والشرح في مشاريع السايبورج، وغيرها من المهام الحديثة التي تقوم عليها عدة مراكز علمية، وبحثية تابعة لجهات عسكرية... وعلى رأسها وكالة داربا للمشاريع المتقدمة، والتابعة للبنتاجون.

الخُلاصة... أن ما نعايشه من تداخل عدة أجيال، أو تصنيفات، أو استراتيجيات في الحروب الحالية أمر نلمسه جميعا، وبات على الجميع سرعة تداركه. سواء أكانت حروب الجيل الرابع، والمعنية ب "إفشال الدولة، وتدمير قواها، وتفتيت مؤسساتها"، أو حروب الجيل الخامس المعنية بالتعامل مع كيانات صغيرة متعددة ممنهجة، وتشكيلات عصابية، وتنظيمات إرهابية، واستخدام المواطنين كلاعب أساسي، وليس بمواجهة جيوش كاملة مع تفعيل المجال السايبري في كلاهما...

وحتى حروب الجيل السادس المعنية بكل ما يتم التحكم به تماما، والسيطرة، وإدارة الحرب عن بعد... والتي تناولناها هنا باختصار، وتم شرح العديد من مشتملاتها الهامة، والحديثة في عشرات المواضيع التي تم نشرها...

وبالطبع كما أن القانون الإلهي انه لا يوجد داء إلا وُجد له الدواء.. فعوضا عن المسؤوليات الفردية المنوط بها كل منا ..لكن أن لمؤسسات الدول المستهدفة، وبخاصة في الدول العربية، ودول الشرق الأوسط الدور الأساسي للتعامل المسؤول المحترف مع متطلبات الردع لمناهج الحروب الحديثة، حيث أن التقنيات المضادة موجوده بالفعل، لكن شغل منطقتنا بالصراعات الدائمة كان من أهم أهدافه دائما، وأبدا ألا تقوم لها قائمة، وألا تفيق كما يجب للمقاومة الواجبة لنوعية الحروب الحديثة، والتصدي لها بل، وعمل ضربات استباقية أيضا... ولذا وجب التكرار مرارا على ضرورة الوعي للمواطنين للوصول لحالة استقرار، وانتماء، وفهم كافي لإعطاء مساحة مطلوبة، وعاجلة

للتعامل مع حقيقة المخططات الحالية، والفكاك من هيمنتها، وسطوتها التي لا تتأتي إلا بضعفنا، وجهلنا، وإبقائنا في صراع دائم.

المصادر



الفهرس